تطور الهوية الأمريكية العربية

تحرير : إيرنست ماك كاروس

ترجمة : أمل الشرقي

مراجعة : د. فؤاد شعبان





دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ـ الأردن

تطور الهوية
الأمريكية العربية

THE DEVELOPMENT of ARAB AMERICAN IDENTITY

edited by Ernest McCarus:

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
١٩٩٨/٥/٧٤٩

رقـــــم التصنيـــــف : ٣٠٥,٧١٠٧٣

المؤلف ومن هو في حكمـه : إيرنست ماك كاروس، ترجمة أمل الشرقي

عنـــوان الكتــــاب : تطور الهوية الأمريكية العربية

الموضـــوع الرئيســـي : ١ ـ العلوم الاجتماعية

٢ ـ الجالية العربية

٣ ـ الولايات المتحدة

بيانـــــات النشـــر : عمّان دار النسر للنشر والتوزيع

* ـ تم إعـداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

رقم الإجـازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
١٩٩٨/٥/٥٤٦

تطور الهوية الأمريكية العربية

تحرير: إيرنست ماك كاروس

ترجمة: أمل الشرقي
مراجعة: د. فؤاد شعبان

دار النسر للنشر والتوزيع ـ عمّــان /الأردن
هاتف/فاكس 4659460 ص ب 910586 عمّان 11191

المساهمون

حصل **نبيل ابراهام** على درجة الدكتوراة في علم الإنسان / أنثروبولوجيا من جامعة ميشيغان مع التركيز على عِرقية الشرق الأدنى وشمال أفريقيا. وقد شكّل حقل عمله الموسّع حول الفئوية السياسية بين العمال اليمنيين المهاجرين في ديترويت أساس أطروحته للدكتوراة؛ التي يقوم الآن بتنقيحها للنشر. وقد انضم إلى هيئة التدريس في كلية مجتمع هنري فورد (ديربورن، ميشيغان) في ١٩٨٥، حيث يدرس الأنثربولوجيا. وقد عمل أيضاً كأستاذ زائر في جامعات أخرى، بما فيها جامعة ميشيغان وجامعة الجزائر، ومساعد باحث في مركز الدراسات المدنية في جامعة ولاية واين. وحيث أنه يتكلم العربية بطلاقة، سافر كثيراً جداً إلى الشرق الأوسط، وهو يكتب ويحاضر عن الشرق الأوسط، وعلاقات الولايات المتحدة العربية، والأمريكيين العرب. كما أنه معلق دائم في وسائل الإعلام ومحرر مساهم لـِ لايز أُف أور تايمز/ أكاذيب زماننا، النشرة الشهرية لمعهد التحليل لوسائل الإعلام في مدينة نيويورك. وإضافة إلى مقالات أكاديمية عديدة ومداخل موسوعية، شارك في تحرير: العرب في العالم الجديد: دراسات في الجاليات الأمريكية العربية (١٩٨٣)والعالم العربي والأمريكي: فَهْم أقلية مهملة (١٩٨١).

إن لويز كينكار عالمة بحث فولبرايت في مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة جوردان. وعملها الحالي هو توثيق التاريخ الاجتماعي للفلسطينيين والأردنيين الذين طردوا من الكويت بعد حرب الخليج، خصوصاً أولئك الذين أعيد استقرارهم في الأردن. وهي مؤسسة مركز معلومات حقوق الإنسان الفلسطيني العالمي، والمديرة التنفيذية له حتى ١٩٢٢.

وقد حصلت د. كينكار على درجة الدكتوراة في علم الاجتماع من جامعة نورث إيسترن؛ وركزت بحثها على الثقافة والمجتمع العربي، والفلسطينيين، وحقوق الإنسان. وسيصدر كتابها: الجنس، الثقافة والسياسية بين المهاجرين الفلسطينيين في الولايات المتحدة، من مطبعة جامعة تمبل.

إن علاء فائق رائد في دراسة المسرح الأمريكي العربي. وقد حصل على درجة الدكتوراة من جامعة ميشيغان؛ وأطروحته تتناول الأشكال المسرحية في الثقافة الإسلامية في القرون الوسطى انبثقت عن اهتمامه في العلاقات الثقافية المتقاطعة في الفنون الأدائية. وقد حصل على درجة الماجستير في المسرح من جامعة ميسوري، وعلى درجة البكالوريوس في فنون المسرح من جامعة بغداد. إنه ممثل ومخرج ومدرس سينما وتلفزيون ومسرح.

ومنذ ١٩٧٦، ظل د. فائق يخرج مسرحيات لجمهور الولايات المتحدة بما فيها مسرحيات: فويتسك، البنّاء المعلم، موت بيسي سميث، العرّافون، أماديوس، أرفيوس يهبط، إضافة إلى الانتاجيات الأصلية لـ غرباء، أوغاد، ومسبحة العنبر في مسرح آن آربر.

إيفون يزبك حداد، أستاذه في التاريخ الإسلامي في جامعة ماساشوستس أمهيرست، ولها سجل واسع في التعليم والبحث والنشر حول الإسلام المعاصر، مع إشارة خاصة إلى المسلمين في شمال أمريكا. وقد حصلت د. حداد على درجة البكالوريوس من كلية بيروت للنساء ودرجة الدكتوراه من هارتفورد سيميناري. وقد سافرت كثيراً جداً في أغلب بلدان العالم العربي والأمم الإسلامية لجنوب وجنوب شرق آسيا. وهي رئيسة سابقة لرابطة دراسات الشرق الأوسط لشمال أمريكا ولمنطقة نيو إنجلند والأكاديمية الأمريكية للدين. وهي محررة مساعدة لـ موسوعة العالم الإسلامي الحديث.

وتتناول منشورات د. حداد الإسلام في العالم الحديث وتجديد الإسلام، القرآن والتفسير القرآني، النساء في الإسلام، المسلمون في أمريكا الشمالية. وأحدث كتبها: بعثة إلى أمريكا: خمس طوائف إسلامية في أمريكا الشمالية(١٩٩٣). مقابلات مسلمين ومسيحيين (١٩٩٤)، الجاليات المسلمة في أمريكا الشمالية (١٩٩٤).

ولدت **إيفا فيرونيكا هيوسيبي ـ** دارفاس في بوداست، المجر/ هنغاريا، لكنها هربت من وطنها في منتصف مراهقتها وأصبحت لاجئة ومهاجرة في الولايات المتحدة. وقد طورت من هذه التجربة اهتماماً دائماً في العلاقة بين الهوية والتغيير الاجتماعي، مع مرجعية خاصة إلى كيفية أن أشكالاً متنوعة من الهجرة تؤثر على الأفراد والمجتمعات. وقد عملت د. هيوسبي ـ دارفاس في بحث في أوروبا الشرقية الوسطى وفي أمريكا الشمالية؛ وحصلت على درجة الدكتوراة في أنثربولوجيا ثقافية من جامعة ميشيغان. وهي تدرس في ديربورن وآن آربر لجامعة ميشيغان، وتحاضر حول تجربة المهاجرين واللاجئين على نحو عام، وأدوار النساء المهاجرات المتغيرة وهوياتهن ومعضلاتهن على نحو خاص. وتغطّي أعمالها المنشورة مواضيع مثل إذاعة المهاجرين المجريين العرقية في ديترويت ووندسور (كندا)، سير ذاتية شفهية لمهاجرين مجريين، الهجرة والجنس، لاجئات يوغسلافيات، مهاجرات كعاملات للاستمرارية في الجالية الأمريكية المجرية.

حصلت **أليكسا ناف**، بعد فترة عمل طويل في إدارة شركات على درجة في تاريخ وسياسة الشرق الأوسط الحديث، مع ميدان رئيسي في التاريخ الأمريكي الاجتماعي. وقد درّست في المستوى الجامعي، بما في هذا في الجامعة الأمريكية في القاهرة. في ١٩٧٦، انضمت د. ناف إلى جماعة الشرق الأوسط التعليمية في واشنطن دي. سي، كمديرة تنفيذية لإنتاج مواد مرئية وطباعية حول الشرق الاوسط؛ وتوثيق للأمريكيين

العرب الناتجين عن هذا. وقد ألهمتها ندرة البيانات حول هؤلاء الأمريكيين مشروع دراسة الأمريكيين العرب، الذي أدارته تحت رعاية المركز القومي للشؤون المدنية والعرقية. ومن هذه الدراسة، نشرت دراسة عميقة مفصّلة بعنوان: أن تصبح أمريكياً: تجربة المهاجرين العرب الأوائل (١٩٨٥) و الأمريكيون العرب (١٩٨٧)، تاريخ مصور لطلاب المدارس القانونية والشباب البالغ على نحو عام. وقد نشرت أيضاً مقالات وحاضرت على نحو واسع.

وقد قدمت د. ناف مجموعة فريدة من مواد واقعية وأرشيفية عن المهاجرين العرب للمعهد السمثسوني، وقد عرض جزء من هذه المواد في المتحف القومي لهذا المعهد عن التاريخ الأمريكي.

رونالد آر. ستوكتون، أستاذ في العلوم السياسية في جامعة ميشيغان ديربورن. وهو رئيس سابق لمؤتمر ميشيغان لعلماء السياسة ومساعد باحث لجامعة وسط ميشيغان للدراسات الشرق أوسطية والشمال أفريقية. وهو يسافر باستمرار إلى الشرق الأوسط، وينشر حول مواضيع شرق أوسطية في ميدل إيست جورنال، وجورنال أف بَلستاين ستديز، والـ أرمينيان ريفيو. وهو يخاطب باستمرار ورشات المعلمين على مستوى المدارس الثانوية وما بعد المدارس الثانوية، كما أنه مؤلف النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، وحدة منهجية للمدارس الثانوية نشرتها جامعة وسط ميشيغان للدراسات الشرق أوسطية والشمال أفريقية.

مايكل و. سليمان أستاذ جامعة متميز للعلوم السياسية في جامعة ولاية كانساس في مانهاتن، كانساس. وقد حصل على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة ويسكنسون. وكتب بتوسع عن المواقف الأمريكية نحو الشرق الأوسط وعن سياسة العرب، النساء في الشرق الأوسط، والاجتماع السياسي في الشرق الأوسط، والجالية الأمريكية العربية. وهو أيضاً محاضر ضيف وملق لأحاديث. بين أعماله المنشورة: الأحزاب السياسية في لبنان (١٩٦٧)، العرب في عقل أمريكا (١٩٨٨). ومع بهاء أبو لبن: الأمريكيون العرب: الاستمرارية والتغيير (١٩٨٩).

ويعمل د. سليمان حالياً على ببلوغرافيا شاملة للأمريكيين العرب وعلى كتاب يذكر بالتفصيل التاريخ الاجتماعي والسياسي للعرب في أمريكا.

مقدمــة

إيرنست ماك كاروس

يشكل مواطنو الولايات المتحدة المنحدرين من أصل عربي اليوم أقلية عرقية صغيرة لكنها بارزة تضم شخصيات مميزة في جميع مناحي الحياة. وفي حين أنهم كانوا من ناحية تاريخية ينحدرون، بدرجة رئيسية، من لبنان وسوريا وفلسطين، إلا أن جميع البلدان العربية أصبحت اليوم ممثلة بين مواطني الولايات المتحدة وجاراتها. ومع ازدياد مساهماتهم في المجتمع الأمريكي، حظي الأمريكيون العرب بالاهتمام والدراسة خلال العقود الأخيرة. فقد خصصت مجلة **دراسات عربية** Arab Studies Quarterly الفصلية على سبيل المثال، عدداً مزدوجاً عنوانه "الأمريكيون العرب: الاستمرارية والتغير" (المجلد الثاني، العدد٢ و٣، ١٩٨٩) حرره مايكل و. سليمان وبهاء أبو لبن.

تتناول هذه المجموعة من المقالات المشهد المعاصر بشكل خاص مما يعكس ما وصلت إليه الصورة في الوقت الراهن. بعد إرساء الخلفية التاريخية، تتناول المقالات مسألة الصراع من أجل هوية دينية وسياسية وثقافية واجتماعية تستلزم جميعها التعامل مع الاتجاهات الواعية وغير الواعية لقولبة أو تهميش العرب والامريكيين العرب.

قدمت الخلفية التاريخية كل من إيفا فيرونيكا هيوسيبي ـ درافاس وأليكسا ناف، وتوفر مقالة الدكتورة هيوسيبي ـ دارفاس المعنونة: "القدوم إلى أمريكا: معضلات الجماعات العرقية منذ ثمانينات القرن التاسع عشر"، الإطار المفهومي لنماذج الهجرات الأوروبية إلى الولايات المتحدة كخلفية يمكن مقارنة الهجرات العربية بها. وفيها تحاول الكاتبة، على حد قولها: "إعطاء صورة عريضة عن المواجهات التي تشتمل عليها الهجرة و . . . تمهيد الطريق نحو استطلاع مقارن للتجربة العربية الأمريكية في الماضي والحاضر". كان الملايين من الذين قدموا من أوروبا الشرقية والجنوبية خلال الفترة من ثمانينات القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى قد اضطروا لمغادرة بلادهم بفعل تغير الظروف الاقتصادية أو السياسية أو كليهما. وقد اعتبروا أنفسهم مهاجرين ولم يحاولوا أن يصبحوا "أمريكيين"؛ وكانوا يسعون إلى الحصول على الفرص الاقتصادية مع الاحتفاظ بفكرة العودة إلى أوطانهم الأم كهدف نهائي. ومع بداية القرن شاع مفهوم "بوتقة الصهر" الذي تم الاعتقاد بموجبه أن التطابق مع النموذج

الأنجلو ـ سكسوني هو الهدف المثالي وأن على جميع الأقليات الأخرى أن تستوعب من قبله لتصبح جنساً جديداً متجانساً. إلا أن القادمين الجدد قد قوبلوا، في الواقع، برفض المجتمع الأصلي. وبحلول الحرب العالمية الثانية بدأت فكرة "الاستيعاب"ـ القائمة على الامتصاص الكامل للأقليات من قبل الثقافة المهيمنة ـ تفسح المجال لمفهوم "الاكتساب الثقافي" الذي تقوم ثقافة الأقلية، بموجبه، باكتساب جوانب منتقاة من ثقافة الأغلبية مع محافظتها على هويتها الخاصة. وتجدر الملاحظة أن الحكومة الفدرالية منذ السبعينات والثمانينات من هذا القرن قد خصصت المبالغ اللازمة لإعداد المناهج الدراسية القياسية باللغات الأجنبية حيثما توفرت أغلبية كافية من السكان الناطقين بلغات غير إنجليزية من أجل تشجيع التنوع الحضاري. وقد كان المهاجرون، في المرحلة الثانية من الهجرة التي تلت الحرب العالمية الثانية، أفضل تعليماً بشكل عام، وأكثر حنكة في الجانب السياسي، كما كانوا مهيئين للاستقرار بصفة مقيمين دائمين ـ أو مواطنين. وقد اتبعت الهجرات العربية هذا النمط، كما سيتضح تفصيلاً في المقالات التالية. كان المهاجرون العرب الأوائل مقيمين مؤقتين استقروا ضمن جاليات عربية ولم يتعلموا من الإنجليزية إلا ما يكفي لترويج أعمالهم. وبالرغم من أنهم قد قدموا، بالأساس، بغية جمع المال والعودة إلى أوطانهم، فقد انتهى الأمر بغالبيتهم إلى استدعاء عائلاتهم والتحول إلى مقيمين دائمين. وبعد الحرب العالمية الثانية، كان المهاجرون العرب أرفع تعليماً بشكل عام ، أو أنهم قد قدموا من أجل الحصول على تعليم عالٍ، وكانوا مهيئين للاستقرار هنا على نحو دائم. وما زالوا يواجهون عنصرية مضادة للعرب مكشوفة ومستترة تضعهم، حتى يومنا هذا، بمواجهة مواقف صعبة.

في مقالتها "تجربة المهاجرين العرب الأوائل" تجد الدكتورة ناف أن المعضلات التي حددتها هيوسيبي ـ دارفاس قد واجهت أيضاً المهاجرين العرب الأوائل. كما وجدت أن الغالبية العظمى منهم، في القرن التاسع عشر، كانت من لبنان. وأنهم، إضافة الى ذلك، لم يهاجروا لأسباب سياسية، بل كان أغلبهم قد جيء بهم للعمل في الولايات المتحدة بسبب النقص المتفاقم في اليد العاملة. جاؤوا بالفعل بنية العمل لبضع سنوات ثم العودة إلى لبنان محملين بالأموال. وقد كونوا جاليات صغيرة عملت كقواعد انطلق منها الباعة المتجولون وصغار رجال الأعمال. كانت الموجة الأولى من المهاجرين تتكون في غالبيتها من الفلاحين القرويين أو الحرفيين الذين كانوا قليلي التعليم وفقراء نسبياً. بعد الحرب العالمية الأولى، أخذوا يتوافدون من مناطق مختلفة من العالم العربي وكانوا متطورين سياسياً؛ وبعد الحرب العالمية الثانية بالتحديد، بدأوا بتنمية هوية عربية، معاكسين الاتجاه الذي كان سائداً بين الأمريكيين العرب نحو تجاهل أو إغفال تاريخهم كشعب. تقدم الكاتبة ناف الجانب الإنساني من القصة متيحة فهماً عميقاً لعقلية أولئك المهاجرين. وهي ترسم صورة للحياة الجماعية بشكل يظهر أن المهاجرين الأوائل كانوا يميلون إلى المحافظة على نظام الامبراطورية العثمانية القائم على تقسيم الناس إلى "ملل" تتقسم بموجبه الجماعات إلى فئات أصغر حسب الانتماءات الدينية، وقد شمل ذلك الطوائف المسيحية أيضاً.

يتناول الفصلان التاليان الهوية السياسية والدينية. وفي مقالته "الأمريكيون العرب والمسيرة السياسية"، يبدأ الدكتور مايكل و. سليمان بمسح سريع لمواقف المهاجرين العرب السياسية عبر السنوات المئة الماضية. فقد تميزت الموجة الأولى، التي انتهت مع الحرب العالمية الأولى، بالمقيمين المؤقتين الذين لم يشعروا أبداً بأنهم أفراد مكتملو العضوية في مجتمع الولايات المتحدة؛ وكان موقفهم الأساسي يهدف إلى أن يكونوا مواطنين صالحين وأن لا يجذبوا إليهم من الاهتمام إلا أقله. وتكونت الموجة الرئيسية الثانية، التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية، من أفراد نشطين يمتلكون حنكة سياسية جلبوا معهم إحساساً بالهوية العربية.

انضم هؤلاء إلى الأحزاب السياسية ونشطوا في مجال السياسة الأمريكية. ويقدم سليمان صورة شاملة للنشاطات والمواقف السياسية للأمريكيين العرب اليوم، تضم نتائج مسح استطلاعي أرسله إلى حوالي٤٠٠ شخص من الأمريكيين العرب الناشطين سياسياً والذين يمثلون شريحة واسعة من السكان. يتناول الاستطلاع قضايا مثل العرقية، والاتجاه الحزبي، والانحياز ضد العرب، والمنظمات السياسية والثقافية العربية، والفاعلية السياسية المناسبة لعمر الشخص الخاضع للاستطلاع. ويستنتج سليمان بأن الأمريكيين العرب اليوم، سواء كانوا شباباً أم شيوخاً، من الجيل الأول أو من الجيل الرابع، يزدادون اقتراباً من أرضية مشتركة توحّد التزامهم بهوية عربية.

في فصل "المحافظة على عقيدة الآباء: اشكاليات الهوية الدينية عند الجماعات المسيحية والمسلمة من الأمريكيين العرب" تقدم الدكتورة إيفون يزبك حداد صورة شاملة وواضحة عن الانتماءات الدينية والدور الذي لعبته في حياة الأمريكيين العرب. من المستحيل، بالطبع، تجاهل دور السياسة في حياة الجالية، إذ تشير حداد إلى أن حرب حزيران عام ١٩٦٧ كانت الحدث الأول الذي نبه أغلب الأمريكيين العرب إلى هذه الهوية الجديدة. إذ أن أغلبيتهم كانت، قبل ذلك الحدث، غير واعية أو غير مكترثه بأصولها العربية. فقد كانوا في واقع الأمر ما يزالون "لبنانيين" أو "سوريين" أو "فلسطينيين". ولم يكن مصطلح "الأمريكيون العرب" قد استخدم بعد. وبالرغم من تأثير الأحداث السياسية، فإن الانتماء الديني ما زال العامل المؤثر في هوية الأمريكيين العرب ـ سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين أو يهوداً ـ وما زال مرتبطاً بدرجة استيعابهم. تعدد الدكتورة حداد بالتفصيل الجماعات الدينية المختلفة في الشرق الأوسط ـ بما فيها المذاهب المسيحية المختلفة والكثيرة، وتأريخ تأسيسها في الولايات المتحدة، والتأثير الذي يمارسه كل منها على مواقف أتباعه. وتسلط ضوءاً خاصاً على الإسلام في الولايات المتحدة، وتاريخ طبيعته المتغيرة وهي تتحول من كيان ذي أغلبية عربية إلى كتلة تضم غير العرب من الأمريكيين الأفارقة وأبناء جنوبي آسيا. وتستنتج الكاتبة أن القوة الجاذبة نحو الاستيعاب عظيمة، وأن كل الجماعات الدينية سائرة، رغم قوة جذب الخصوصية الدينية، نحو التحول باتجاه التكيف مع مجتمع الولايات المتحدة.

تقوم مقالة الدكتورة لويز كينكر "المرأة الفلسطينية في المجتمع الأمريكي: تفاعل الطبقة الاجتماعية والثقافة، والسياسة" على مقابلات مع مهاجرات فلسطينيات يقطن

منطقة شيكاغو. وقد قدمت الدراسة، بصفتها واحدة من الدراسات النادرة التي تستهدف المهاجرات النساء بدلاً من المهاجرين الرجال، عدداً من النتائج المثيرة للاهتمام. ففي حين يتمتع الرجال الفلسطينيون في الولايات المتحدة بالحريات التي يمارسها الرجال الأمريكيون، تبقى النساء الفلسطينيات متعلقات بعائلاتهن وخاضعات لمراقبة وسلطة العائلة. هنالك بالطبع، فوارق حسب الطبقة الاجتماعية: حيث تتمتع نساء الطبقات العليا والوسطى بحريات ممنوعة على أخواتهن من بنات الطبقة الأدنى: وحيث الرجال وحدهم هم الذين يعملون خارج المنزل في الأسر الفلسطينية من الطبقة الدنيا، فإن النساء الفلسطينيات هن اللاتي يتولين، بالدرجة الأولى، المحافظة على القيم التقليدية وغرسها لدى أبناء الجيل التالي. وتنحو النساء الفلسطينيات، أيضاً، إلى الشعور بأن إقامتهن في الولايات المتحدة مؤقتة وأن عليهن، تبعاً لذلك، أن يبذلن جهداً أكبر في الحفاظ على القيم الفلسطينية التقليدية. وتستطلع كينكر الاختلافات في مواقف وسلوك تلك النسوة الفلسطينيات المسلمات من مختلف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية وتخلص إلى استنتاج يقول إن هنالك تعددية في الحقائق المتعلقة بهن وأنه لا يوجد نموذج موحد للمرأة الفلسطينية في الولايات المتحدة.

بالرغم من أن أدب الأمريكيين العرب قد حصل على قدر جيد من الاهتمام [١]، فإن تغطية المسرحية أهملت. إذ لا توجد هناك مواضيع منشورة حول المسرحية لدى الأمريكيين العرب. والموضوع المقدم هنا موضوع جديد. ففي مقالته: "قضايا الهوية: في مسرح الجالية المهاجرة" يتابع الدكتور علاء فائق نشوء الدراما العربية في الولايات المتحدة ويورد مزايا عدد من المسرحيات النموذجية. ففي المرحلة المبكرة، قدم الأمريكيون العرب في نواديهم ومنظماتهم مسرحيات تتناول أمجاد التاريخ العربي. وكانت التجربة الدرامية لدى أغلب الأمريكيين العرب في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية تنحصر بمشاهدة الأفلام المصرية. بعد الحرب، جاءت أعداد كبيرة من العرب من بلدان عربية مختلفة وأوجدت جاليات قادرة على تقديم فعاليات باللغة العربية في المناسبات الدينية والتعليم وأجهزة الإعلام. كما ظهرت العروض المسرحية التي كانت تقدم باللهجة المحلية للجالية المعنية. وكانت المسرحيات تتناول قضايا تهم الجالية مثل العائلة، والزواج، والمخدرات، وظروف العمل، كما عكست التغير الذي طرأ على القيم التقليدية نتيجة تفاعل العرب مع قيم هذه الحضارة. كانت بعض المسرحيات عبارة عن مسرحيات هزلية ترمي إلى تسلية الجالية، في حين قدمت مسرحيات أخرى نظرة ناقدة للحياة في هذا البلد. كما كانت هنالك مسرحيات غنائية وعروض أطفال إلى جانب مسرحيات استهدفت الجمهور العام وكرست لتقديم التطلعات والاحباطات التي تعاني منها الجالية العربية. ويتناول "فائق" بالتفصيل

---

١ . أنظر مثلاً جريجوري أورفلي وشريف الموسى، محررا: أوراق كرمة ، قرن من الشعر الأمريكي العربي (مطبعة جامعة يوتا ١٩٨٨) عجالات سير قصيرة ، ترجمات إلى الإنجليزية لعدد من القصائد لعشرين شاعراً أمريكياً عربياً؛ وجوزيف جيها، Through and Through: Toledo Stories (مطبعة جراي وولف، ١٩٩٠) مجموعة قصص قصيرة.

مسرحية كتبها فريد العبودي بعنوان: **صورة مشبوه Portrait of a Suspect**، تتناول المعاناة التي يتحملها شاب أمريكي عربي يعتقل ويستجوب من قبل السلطات في الولايات المتحدة وسوريا وإسرائيل على التوالي. وقد جاءت تفاصيل أساليب التعذيب، المبنية على بحث قام به الكاتب، دقيقة بشكل مرعب. أما جريمة الشاب فهي هويته - إذ أنه أمريكي عربي. ويخلص "فائق" إلى نتيجة "أن تكون أمريكياً عربياً يعني، حسب ما تقوله هذه المسرحيات، أن تكون في حين واحد عربياً وأمريكياً وهذا يعني - في الوقت الحاضر على الأقل - أنك لست أياً منهما".

يعالج رونالد ستوكتون ونبيل أبراهام موضوع تهميش الأمريكيين العرب باستخدام نماذج نمطية متغلغلة الشيوع إلى حد يجعلنا لا ندرك، في أغلب الأحيان، أننا منغمسين في استخدامها. ففي مقالته "النماذج العرقية والصورة العربية" يتناول الدكتور ستوكتون دراسة لبضع مئات من الصور الكاريكاتورية المنشورة في صفحات الافتتاحيات وفي القصص الترفيهية المصورة "كوميكس" التي تقدم العرب ضمن شخصيات نمطية مزدراة. ويبدأ، أولاً، بإيضاح كيف أن الأنماط الموضوعة للجماعات العرقية تكون، في العادة، من الصنف نفسه - الصنف الذي يكرس اختلافاً أساسياً بين الفرد وبين "الآخرين". حيث يتم تصوير "الآخرين" بصورة أدنى جسدياً أو عقلياً. ويجد ستوكتون أن الشخصيات النمطية يمكن أن تطبق مرة بعد مرة على أية مجموعة من الناس: وأن النماذج التي تمثل العرب قد طبقت، في وقت سابق، على اليهود أو اليابانيين. إلا أن تصوير "الآخر" بصورة أدنى وبشكل مؤثر يتيح للطرف الذي يمارس تطبيق النماذج على الآخرين أن يشعر بالتفوق وبالعصمة عن الخطأ، وبالقدرة على التجاوز على ضحاياه دون رادع. وعلى مستوى أوسع، تبرر النماذج النمطية القرارات السياسية الكبرى: فإضفاء صورة البربرية على الإسلام والفساد الأخلاقي على المسلمين - وهي نماذج يعود تاريخها إلى زمن الصليبيين - يصرف الشعب عن مساءلة سياسات حكومته عندما تقوم، مثلاً، بقصف شخص مثل القذافي بالقنابل دون سبب وجيه. ويؤكد ستوكتون على الطبيعة الخطرة لاستخدام **النماذج النمطية** التي تتيح للأفراد والأمم ارتكاب الظلم. بل أن استخدام النماذج التعميمية الذي يحول دون الفرد والسعي لمعرفة الحقيقة الكاملة يؤدي إلى ارتكاب أخطاء فادحة على مستوى قومي.

يتناول الدكتور أبراهام الموضوع عظيم الأهمية المتعلق بـ "العنصرية والعنف ضد العرب في الولايات المتحدة". إن الأمر الغريب المتعلق بالعنف الموجه ضد العرب هو أنه لا يجلب التفات أحد في هذا البلد وغالباً ما يتم تجاهله من قبل أجهزة الاعلام والسلطات الحكومية. ويحدد الدكتور أبراهام ثلاثة مصادر رئيسية للعنف الذي يرتكب بحق الأمريكيين العرب هي: (١) عنف إيديولوجي الدافع، مثل ذلك الذي تمارسه عصبة الدفاع اليهودية، وهي جماعة إرهابية يهودية تهاجم "أعداء اسرائيل" يعتبرها مكتب التحقيقات الفدرالي/أف. بي. آي. المشبوه الأول في مقتل أليكس عودة. (٢) رهاب الأجانب الموجه ضد العرب الذي لا علاقة له بالصراع العربي الإسرائيلي،

والمستند إلى الاختلافات المحسوسة في الجنس، والثقافة، والعرق، والدين، (٣) العنصرية الشوفينية، وهي خليط من الوطنية المتعصبة والعنصرية المحلية البيضاء الموجهة ضد الآخر وهي تستثار عادة خلال فترات تصاعد التوتر الدولي (مثل حوادث خطف الطائرات، أو احتجاز الرهائن، أو النزاع العسكري). كما يتناول أبراهام أثر حرب الخليج على العنف والعنصرية الموجهين ضد العرب، مفصلاً دور الأفراد والجماعات والحكومة الفدرالية.

إن هذا الكتاب هو نتاج مؤتمر حول "تجربة المهاجر الأمريكي العربي" عقده مركز دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في جامعة مشيغان عام ١٩٩٠. وكان الدافع المباشر لعقد المؤتمر حادثة بغيضة دفعت في أحد الفصول بالجامعة: حيث قام محاضر زائر باستخدام عبارات تضمنت انتقاصاً خطيراً من العرب خالعاً عليهم نماذج نمطية غير مبررة وبطريقة خالية في اللياقة رغم وجود طلاب من الأمريكيين العرب في الفصل. ولغرض التخفيف من حدة الموقف قرر المركز أن يقدم لمجتمع الجامعة وللمجتمع عموماً خلاصة معاصرة عن الأصول التاريخية والحالة الراهنة لهؤلاء الأمريكيين المنحدرين من أصل عربي. فبالرغم من أنهم استطاعوا، كأفراد، أن يحتلوا مواقع متميزة عن طريق مساهمتهم في جميع مناحي الحياة في الولايات المتحدة، فإنهم، كجماعة، يعتبرون واحدة من الجماعات العرقية الوحيدة التي ما زال بالامكان قدحها وإطلاق النماذج النمطية عليها دون رادع. وإننا لنأمل أن يساعد هذا الكتاب في تصحيح ذلك الموقف.

أتقدم إلى إليزابيث "بيتسي" بارلو بأحر الشكر على مساهماتها العديدة في كل مرحلة من عقد المؤتمر الذي استند إليه هذا الكتاب وعلى الدعم الذي قدمته لإنتاجه.

"القدوم إلى أمريكا":
معضلات الجماعات العرقية
منذ ثمانينات القرن التاسع عشر

إيفا فيرونيكا هيوسيبي - دارفاس

"القـدوم إلى أمـريكا" : أية توقـعـات وتطلعـات، أيـة آمال وأحلام، وأية خـيبات أمل وآلام وصراعـات ينطوي عليـهـا مثل هذا الحدث؟ كيف يكون شعور الشخص كمهاجر جـديد ثم وهو يتـحـول إلى مـبتدىء، فإلى فرد في جماعة عرقية؟ أي نوع من المعضلات يواجـهـه المهـاجـرون والأعـراق؟ سأسـتـعـرض هنا أكـثر من قرن من تجربة الهجرة مع الاقتراب بشكل أكبر من الموجة التي مـا زال الدارسـون يطلقـون عليها اسم "المهاجرون الجـدد" - رغـم أن هـذا المصطلح لم يعـد مـلائماً. فأنا أقـصـد بهم أولئك الملايين الذين قـدمـوا من شرق أوربا وجنوبها في حـوالي الفترة الواقـعة بين ثمانينات القرن التاسع عشر والحرب العالمية الأولى.

لماذا التأكـيـد على المهـاجرين الجدد؟ أحد الأسباب هو كونهم يصلحون نموذجاً لحالة المهـاجـر. فقد كانوا، بعد كل شيء، مثل الكثيرين الذين جاؤوا قبلهم وبعدهم. فهم، مثل الايرلنديين[1] الذين سـبقوهم ببضعـة عقـود (والكثير من الجماعات الأخرى التي جـاءت من جميع أنحـاء العالم منذ وصول "المهاجرين الجدد")، قد أخرجوا من أوطانهم بفـعل الظروف المتـغيرة، إقـتـصـادية كـانت أو سـيـاسـية أو الاثنتين معاً. ثم قوبلوا في الولايات المتـحـدة برهاب الأجـانب وعـانوا من الإجـحـاف، والتـمـيـيـز، والتـعميمات السلبـيـة، والافتراءات العـرقـيـة. وهكذا، أرغـمـو أيضاً على مواصلة النضال من أجل البـقاء في كل من مواطنهم في العالم القديم وفي "أرضهم المختارة" في العالم الجديد، على الأقل خـلال العـقود الأولى من السنين. لهذه الأسباب وسواها، أجدني مقتنعة بأن تجربة المهـاجـر والمعـضـلات العـرقية الخاصة بتلك الجماعة ما زالت تشكل إرثنا الحيوي، وهي بذلك تعـتبر درساً لنا في الحاضر ومن المحتمل جداً أنها نموذجنا للمستقبل.

لقـد كانت هناك، بالتأكيد، اختلافات في معاملة الجماعات المختلفة وتكيفها في شتى

---

١ . كيربي ملر، مهاجرون ومنفيون: إيرلندا والخروج الإيرلندي إلى أمريكا الشمالية (نيويورك: مطبـعة جامعة أوكسفورد، ١٩٨٥).

الفترات اعتماداً على عوامل شتى. إلا أن الاختلاف كان في الكم[٢]. وبوسعي أن أفترض أن "القدوم إلى أمريكا" والتحول إلى مهاجر هنا كان أمراً صعباً جداً في الماضي وما زال كذلك اليوم. وينطبق الشيء نفسه على حالة "الفتى الجديد في الحي" والتي يقصد بها الجماعة العرقية الجديدة في هذا الوسط متعدد الأعراق. وما يهمني هنا هو الفكرة الشائعة، رغم خطئها، التي تقول إن المهاجرين القادمين من أوربا، بوجه عام، ومن شرق أوروبا وجنوبها، بوجه خاص، واجهوا في الماضي، ويواجهون اليوم، ظروفاً أسهل وجهداً أقل وأنهم يحققون النجاح الفوري في الولايات المتحدة بخلاف سواهم من المهاجرين القادمين إلى الولايات المتحدة من أنحاء أخرى من العالم. وقد جرى مؤخراً، في مطلع عام ١٩٩٠، بحث هذا الموضوع في البرنامج القيم والمفيد الذي بثته محطةPBS التلفزيونية بعنوان: "مهاجرون جدد: التجربة الأمريكية العربية". وأود أن أبين هنا بأن هذه الفكرة ليست مجرد فكرة مغلوطة تقلل من شأن حقيقة شديدة التعقيد إنما هي توجه غير مفيد نحو دراسة التاريخ الاجتماعي للهجرة إلى الولايات المتحدة وفهمه. والأفضل منها هو مواجهة تراثنا عن "القدوم إلى أمريكا" وسبر ما يمكن أن نتعلمه من تجارب مهاجري الأمس مما يوفر توجهاً أفضل بكثير واكثر انسجاماً مع روح هذا المؤتمر وهدفه الذي يشرفني ويسعدني أن أشارك فيه.

دعونا الآن نتحول إلى هؤلاء "المهاجرين الجدد" القادمين من شرق أوروبا وجنوبها. يكشف دينرشتاين ورايمرز[٣]، شأنهما شأن آخرين سواهما، عن صورة ديموغرافية معبرة. تكونت أكبر المجموعات القادمة من اليهود والبولنديين والإيطاليين. لهذا السبب، شهدت العقود الخمسة التي تلت عام١٨٨٠ زيادة عدد اليهود من سكان الولايات المتحدة بعشرة أضعاف، والبولنديين بثلاثين ضعفاً، والإيطاليين بأربعين ضعفاً. وكانت الغالبية العظمى من هؤلاء القادمين الجدد تنحدر من مناطق ريفية في أوطانهم الأصلية، وكان أغلبهم من الفلاحين. لكن معظم القادمين الجدد، ولأسباب

---

٢. من المستحيل محاولة تقديم مختارات من الكم الهائل من الكتابات المنهجية حول الموضوع. لتقديم اختيار موضوعي، أنظر مثلاً: جوزيف بارتون: **فلاحون وغرباء:إيطاليون ورومانيون وسلافيون في مدينة أمريكية**، ١٨٩٠ـ١٩٥٠(كيمبردج: مطبعة جامعة هارفرد، ١٩٧٤)؛ ميلتونجوردون: **الاندماج في الحياة الأمريكية: دور العرق والدين والأصل القومي** (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٦٤)؛ جون بوكوفسيك: **وأطفالي لا يعرفونني: تاريخ أمريكيين بولنديين** (بلومنجتون: مطبعة جامعة إنديانا، ١٩٨٧)؛ ستيفن ثيرنستروم، تحرير: **موسوعة هارفرد للمجموعات الأمريكية العرقية** (كيمبردج، إنجلترا: مطبعة جامعة هارفرد، ١٩٨٥)؛ وليم توماسوفلوريان زنانييسكي: **الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا** (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩١٨ـ ١٩٢٠)؛ فيرجينيا يانس ـ ماك لوفين: **الأسرة والمجتمع: مهاجرون إيطاليون في بافالو ١٨٨٠ـ ١٩٣٠** (إثاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٧٧).

٣. ليونارد دنرشتاين ودايفيد رايمرز "**الأمريكيون العرقيون: تاريخ هجرة** ط٣. (نيويورك هاربر ورو، ١٩٨٨) فصل٣، ٤. أثيرت هذه النقطة، شأنها شأن بعض النقاش في هذا الفصل في سلسلة مقالات جورج كولمان الرفيعة : "الثقافة والجالية والهوية : منظور عرقي"، مركز التراث العرقي في جامعة ولاية وين.

تتعلق بمتغيرات الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسكانية ـ تحولوا إلى قاطني مدن في الولايات المتحدة بخلاف الكثير من "المهاجرين القدامى" الذين قدموا في أوقات سابقة من شمالي أوروبا وغربها. وقد اختلفوا في هذا، وفي وجوه متعددة أخرى، عمن سبقهم. إلا أن القادمين الجدد، بغض النظر عن الطريقة التي قيّموا بها من قبل السكان المعادين، لم يكونوا جميعاً متماثلين.

في الواقع، كانت هناك اختلافات هائلة داخل هذه الجماعات. فالمهاجرون الإيطاليون، مثلاً، جاؤوا من وطن تكون فيه الهوية المحلية بارزة بشكل غير اعتيادي. فالناس هناك لا يحملون انتماءً قومياً، بل يتباهون مع "أبناء بلدياتهم" الذين ينتمون إلى نفس المقاطعة أو القرية الأم. وكان هذا هو الحال مع بقية الجماعات أيضاً. إضافة إلى ذلك، خلّف الكثيرون وراءهم ـ خصوصاً أولئك القادمون من الديار العثمانية وروسيا والإمبراطورية النمساوية الهنغارية ـ إمبراطوريات متعددة القوميات والألسن. في العادة، يكون القادمون من هذه الامبراطوريات مختلطة الأعراق واللغات أعضاء في جماعات الأقلية في وطنهم، ولذلك أصبحوا في الولايات المتحدة "أقلية للمرة الثانية".

ومما لا شك فيه أن المهاجرين الجدد، الذين أجملوا معاً من قبل موظفي الهجرة وصنفوا اعتباطياً من قبل السكان المضيفين، كانوا غير متماثلين فيما بينهم في العادات ونوعية الغذاء الذي يتناولونه. كما أنهم كانوا غير متماثلين في اللغات واللهجات التي يتكلمونها، والملابس التي يرتدونها، والديانات التي يعتنقونها، والسير التي ينسجونها والتنظيمات الاجتماعية التي يقيمونها. باختصار، كانوا غير متماثلين في الثقافات، أو في أنظمة القيم والمعاني التي نسجوها لأنفسهم.

كما كانت هناك، بالطبع، وجوه شبه بين القادمين الجدد. ففي حين كانت قلة منهم قد هربت من الاضطهاد السياسي، فإن الغالبية العظمى من أفراد هذه الموجة بالذات قد غادرت لأسباب اقتصادية. وقد غادروا، كما يذكرنا بربك، في مجموعات كبرى، تاركين وراءهم مناطق مضنوكة اقتصادياً حيث "الصادرات الوحيدة تكون من اللحم البشري ـ أي المهاجرين. ٤ مع ذلك كان عزمهم على المغادرة مؤقتاً في أغلب الأحوال، فهؤلاء المهاجرون، شأنهم شأن اليد العاملة المهاجرة، جلبوا معهم مخططات العودة إلى أوطانهم. يقول أندرو فازويني:

> لم يكن يخطر [للكثير من المهاجرين] عند وصولهم أن يستقروا. فقد كانت لديهم خطط بسيطة وقصيرة الأجل نسبياً. كانوا يريدون توفير المال خلال سنة أو سنتين لكي يتمكنوا من شراء فدادين قليلة من الأرض، وبعض الخيول، والأبقار عند عودتهم إلى قراهم الأصلية. ٥

---

٤ . جورج جـ . بربك **هجرة الجنوب السلافي في أمريكا** (بوسطن: تواين بَبلشرز، ١٩٧٨).

٥ . أندرو فازويني، "عشيق الزوجة والديوث الرائع": الحياة والحب في مهجع الجاليات المهاجرة، جريدة فولكلور أمريكي ٩١ـ(١٩٧٨)؛ ٩٤٢ ـ ٩٥٦.

اشتغل البعض منهم عدداً من السنين، وأدخروا مالاً، وعاشوا في ظروف بائسة ثم عادوا إلى موطنهم ومكثوا فيه. وطبقاً لتقدير عام، فإن ١٦٪ من مهاجري الفترة تحت الدراسة ينتمون إلى هذه الشريحة.٦ وكان آخرون قد مارسوا الهجرة الدورية قبل تشريع القوانين المحددة للهجرة. وكانوا، في الواقع، يتحركون مثل رقاص الساعة بين القرى التي ولدوا فيها والولايات المتحدة عابرين المحيط الأطلسي خمس، أو ست، أو سبع، أو ثماني مرات أو أكثر. وكانوا يشتغلون بضع سنوات قبل أن يعودوا إلى أوطانهم حيث ينفقون مدخراتهم ثم يعيدون الكرة مرة وأخرى عائدين إلى مواقع الصناعة أو التعدين في الولايات المتحدة من أجل المزيد من العمل (والمزيد من التقتير). وفي الوقت الذي استقر فيه أغلب المهاجرين في الولايات المتحدة لأسباب مختلفة، فإن تصورهم لإقامتهم على أنها إقامة مؤقتة سبب اختلافاً في تكوين الجاليات والمواقف ووجهة النظر العالمية وعدد من الأمور الأخرى التي زادت في تعقيد معضلتهم العرقية (كما في حالة إهمالهم تعلم الإنجليزية، مثلاً، لكونهم لا ينوون البقاء إلا لفترة وجيزة).

علينا ألا ننسى أن المهاجرين، بالإضافة إلى طلبهم للفرص الاقتصادية، كانوا يسعون إلى مثال اجتماعي أعلى يؤمنون به. فالولايات المتحدة لم تكن تبدو مجرد أرض تتوفر فيها الفرص في المجال الاقتصادي، بل بدت وكأنها المفتاح للمصاعب، والحل للمشاكل، والجواب على التساؤلات الأبدية. والواقع أن معظم المهاجرين ـ القدامى والجدد والمعاصرين ـ آمنوا (أو أرادوا أن يؤمنوا) بالدستور وبالفكرة الرائعة التي تقول بأن جميع الناس قد خلقوا متساوين وبمثل الحرية والعدالة السامية.

أشار ديريك ولكوت، الشاعر المنحدر من أصول أفريقية وهولندية، في برنامج ظهر مؤخراً في محطة PBS إلى "أن حلم المهاجرين بأمريكا لا يتزعزع . . . فلم يعرف في التاريخ بلد آخر أراد الناس أن يقصدوه بهذه القوة. لماذا يفعلون ذلك؟ بسبب المثال الأمريكي الأعلى، المتمثل في الدستور، والقائل بأن جميع الناس خلقوا متساوين". يرد الموضوع نفسه في نصوص المقابلات التي أجراها لويس ماليه مع عشرات المهاجرين الجدد وعرضها في فيلمه الرفيع في أواخر الثمانينات ". . . والسعي إلى السعادة". يتكرر الموضوع ليس في تأملات المعاصرين من شعراء وكتاب وصانعي أفلام فحسب، بل في تعقيبات المنحدرين من أسلاف مهاجرين وفي تدوينات السير الذاتية وفي الأعمال العلمية لـ فرانز بواس؛ مؤسس الانثروبولوجيا الأمريكية.

يهدي جاك لا زيينك، الكاتب المسرحي واستاذ الكتابة والأدب، مسرحيته إلى "أمي وأبي، وإلى ملايين المهاجرين [الآخرين] الذين أغنوا هذه البلاد، وغذوها ومنحوها نكهتها". ويتأمل قائلاً في عام ١٩٨٩:

٦. أنظر مثلاً دنرشتاين ورايمرز، **أمريكيون عرقيون**. إنني أناقش الصعوبات التي واجهها أولئك الذين عادوا إلى قراهم المجرية الأصلية خلال الجزء المبكر من هذا القرن، والأثر الدائم الذي تخلف من تجربتهم في الولايات المتحدة. أنظر إيفا ف. هيوسبي "تماسك جالية والحفاظ على هوية في الريف المجري: تكيفات مع تغير اجتماعي موجه" (أطروحة دكتوراه، جامعة مشيغان، ١٩٨٤).

أتطلع إلى الخلف [بإعجاب] إلى شجاعة أبي وأمي عندما قدموا إلى أمريكا حوالي مطلع القرن. تصور الوصول بعد أسابيع من رحلة مزدحمة في سفينة تعمل بالفحم ثم المرور من خلال الارتباك والأضطراب السائدين في جزيرة Ellis Island تجد نفسك في Goldenia Medenia المدينة الذهبية حيث يفترض أن تكون الشوارع مبلطة بالذهب، وتقف وحيداً غير قادر على قراءة الإشارات، أو التحدث باللغة - من أوحال القرية في روسيا إلى نيويورك وديترويت، وناطحات السحاب والسيارات وكثافة الناس ذوي الحزم والعزم. لم تكن أمي تعرف كيف تطلب قدحاً من الماء. ولم يسبق لأبي أن رأى موزة من قبل... لكنهم كانوا قد هربوا، سراً، من ... القرى، من المذابح الجماعية من الفقر المهلهل. لقد كانت رغبة المهاجرين العارمة في تلك السنوات تنحصر في الحصول على حياة أفضل - بمعنى الحرية. مجرد العيش في سلام - على الأقل". ٧

تظهر مفاهيم مشابهة في سرد فرانز بواس للأسباب التي حملته على مغادرة وطنه والمجيء إلى الولايات المتحدة. يقول أبو الأنثربولوجيا الأمريكية:

لماذا رغبت في أن أغادر ألمانيا في ١٨٨٥ وآتي إلى أمريكا؟ حسناً، كنت أريد أن أتزوج. لكن كانت هنالك أشياء كثيرة وراء قراري: معاداة السامية خلال سنوات الجامعة، وفكر أن أمريكا، البلد المثالي سياسياً، كانت الدافع الرئيسي. ٨

هكذا، فإن بواس، مثل الملايين العديدة من المهاجرين، آمن أيضاً بهذه المُثُل. إلا أن هذه المفاهيم النبيلة السامية كانت غالباً ما تتناقض وتتعارض بشدة مع حقائق الحياة اليومية والحياة السياسية التي واجهها المهاجرون وما زالوا يواجهونها اليوم. ونورد بهذا الخصوص أن الولايات المتحدة كانت في حوالي العام ١٩١٠ تبحث جدياً فيما إذا كان عليها أن تسمح للمهاجرين الأوروبيين بالدخول. وكان بواس، خلال تلك الفترة التي تميزت برهاب الأجانب المسعور، يحاول بأعماله العلمية، أن يؤثر في سياسات الهجرة التي تتبعها الولايات المتحدة. كان قد وظف من قبل هيئة معينة من قبل مجلس الشيوخ للنظر في أي من السكان الأوروبيين يمكن قبولهم وأي منهم هم الأقل حظاً. وقد استخدم أدوات متنوعة وقام بقياس أجزاء مختلفة من أجساد العديد من المهاجرين وذرياتهم المولودة في أمريكا. (وكما يشير جورج ستوكنغ، فإنه قد أمن بهذا الاستطلاع الأساس لنمو فرع مهم من الأنثروبولوجيا البدنية فيما بعد). وفي التقرير الذي رفعه للبعثة يؤكد بواس على أن:

فحص عدد كبير من العوائل قد أظهر أن تكوين الانسان يمكن أن يتأثر إلى حد كبير

٧ . جاك لـ زينك، مقتطف من إهداء مسرحيته: سام وإتكه: قصة مهاجرين، عن الحب والشيخوخة، الحياة والموت (١٩٨٩).
٨ . جورج ستوكنج، الإبن، **تشكيل أنثروبولوجيا أمريكية، ١٨٨٣-١٩١١: مختارات من فرانز بواس** (نيو يورك، باسك بوكس، ١٩٧٤).

بالبيئة الاجتماعية والجغرافية ، أكثر من تأثره بالجنس . . .إن الفكرة القديمة حول الثبات المطلق يجب أن تلفظ وأن يلفظ معها الإيمان بالتفوق الوراثي لبعض الناس على سواهم. . . " ٩

إلا أن اعتراضات بواس ومحاججته ضد نظام الحصص وغيره من الإجراءات التقنينية في سياسات الهجرة قد أهملت. مع ذلك فإن ستوكنغ يقترح :

"لقد قدّم [بواس] طريقة جديدة في النظر: وكان أول من قلل من شأن آثار الجنس وقيمة المفهوم العنصري. وقد آمن بأن بوسع العلم أن يحل المشاكل السياسية والاجتماعية الخطيرة. ولكن ما هو مدى التأثير الفعلي لـ بواس على سياسات الهجرة الأمريكية؟ وإلى أي مدى تحقق له النجاح في هذا المجال؟ ليس كثيراً. فلم يتم تقبل وجهات نظر بواس حول العنصر إلا بعد انتصار هتلر وفلسفته العنصرية النازية. وقد كان ذلك بالدرجة الأولى يعود، كما يظن البعض، إلى كون وجهات النظر تلك أكثر انسجاماً مع سياسات أمريكا الداخلية والخارجية . . . ١٠

كان على مهاجري تلك الفترة أن يواجهوا، إلى جانب ظروف العمل الرديئة، والساعات الطويلة، والأجور المتدنية، والحوادث الصناعية، مجتمعاً معادياً بشكل عام.١١ ولتكوين فكرة عن المواقف الاجتماعية السائدة، ينبغي علينا أن نلقي نظرة عل ثلاث إيديولوجيات بارزة ـ التطابق،الأنجلو سكسوني، وبوتقة الصهر، والتعددية الثقافية ـ١٢ حاول بواسطتها السياسيون الدارسون تعريف وتحليل وضع المهاجرين الجدد ضمن النسيج الاجتماعي والتنبؤ بما سيكون عليه في المستقبل.

افترض أنصار التطابق الأنجلو سكسوني وجود تفوق موروث للغة الإنجليزية وللثقافة والمؤسسات البروتستانتية التقليدية للعالم الأنجلو سكسوني. وتنبأوا بأن يقوم جميع المهاجرين بالضرورة بطرح أساليبهم الأجنبية وتبني طريقة حياة وقيم المجتمع المضيف على الفور. وكانت فكرة الاستيعاب هي الفكرة المهيمنة على هذه الإيديولوجية. وكان يفترض أن يتم التماثل بين المهاجرين ومجتمع الولايات المتحدة في مسيرة مستقيمة ومضطردة، وأن تكون نتيجة المسيرة إختفاء العادات الأجنبية الغريبة، واتباع التقاليد الأنجلو سكسونية بحماس، والتقبل التام للمهاجرين المتماثلين مع الوضع الجديد وذرياتهم من قبل المجتمع المضيف.

---

٩ . نفس المصدر.

١٠ . نفس المصدر.

١١ . بارتون : **فلاحون وغرباء.** ثيرنستورم ، **موسوعة هارفرد لمجموعات عرقية امريكية .**

١٢ . لمزيد من التفاصيل والمراجع للنقاش التالي ، أنظر مقالي بعنوان:
" Bevandorlok az Egyesult Allamkban, kutatasi hranyok es eredmenyek az amerilai tarsadalomtudomanyoykban" (Immigrants in the United States : research directions and achievements in American Behavioral Sciences) Ethnographia 95, no. 1 (1984): 151-160 .

ثم ظهر موضوع **بوتقة الصهر** في حوالي بداية القرن الحالي. أو لعل من الأصوب القول إنه عاد إلى الظهور. فقد صار السياسيون والدارسون والكتاب ينظرون إلى الولايات المتحدة بوصفها نوعاً من المراحل الهائلة وتنبأوا بأن يتم، بمرور الزمن، اندماج جماعات المهاجرين المختلفة مع بعضها البعض ومع المجتمع المضيف، وكان يتوقع أن يكون "الحصاد الخصب" لهذا الاتحاد البيولوجي والاجتماعي والثقافي مجتمعاً قوياً غنياً، فريداً من نوعه. وقد بشر أولئك الذين تنبأوا بهذا الخلق التهجيني بميلاد عنصر جديد متجانس قوي.

وكما سبق أن أشرت، فإن نظرية بوتقة الصهر كانت قد عادت إلى الظهور حوالي مطلع القرن. كان قد تم تقديمها، أولاً، من قبل جان دي كريفيكور الفرنسي المولد الذي كتب بحبور في عام ١٧٥٦: "هنا في أمريكا يتم صهر الأفراد من جميع الأمم في جنس واحد من البشر سيتسبب خَلَفه وعمله في إحداث تغيرات عظمى في العالم". ١٣ هذه الاستعارة الضمنية بكل ما تحمله من اسقاطات صناعية تحولت إلى جزء من اللغة الإنجليزية الأمريكية بعد أن بدأ، في عام ١٩٠٨، عرض مسرحية: **بوتقة الصهر** لمؤلفها اسرائيل زانغويل في برودواي حيث لاقت رواجاً شديداً ودائماً. تقدم الشخصية المركزية في المسرحية بكتابة سمفونية عن أمة تمثل بوتقة تنصهر فيها كل الجماعات أولاً ثم تنتج عنها سلالة فريدة متفوقة.

وقد تم تقديم عرض حرفي لظاهرة بوتقة الصهر شارك في تقديمه عمال شركة فورد للسيارات وطلاب المدارس في ديترويت خلال السنوات الأولى من هذا القرن. يقوم العمال والأطفال، الذين يظهرون أولاً الوطنية التقليدية حاملين الأعلام الوطنية التي تخص كلاً منهم، بالدخول في قِدر كارتوني هائل موضوع على المسرح. ثم يُحرك القدر فيفرقع ويبقبق ويصدر فقاعات. أخيراً، يظهر "الأمريكيون الجدد" وهم يلوحون بأعلام الولايات المتحدة ويغنون "ليبارك الله أمريكا". العمال في الزي الموحد لمصنع فورد والأطفال في الزي المدرسي المتماثل. ١٤

ينبغي النظر إلى كل من هاتين الإيديولوجيتين السائدتين ـ التطابق الأنجلو سكسوني وبوتقة الصهر ـ ضمن سياقهما التاريخي والاجتماعي. فقد ظهرت صورهما، أو أعيد إذكاؤها، في زمن تحول اجتماعي، وتوسع اقتصادي، وتصنيع، وتمدين سريع لم يسبق له مثيل في الولايات المتحدة. واضح أن هناك طلباً كبيراً وحاجة إلى اليد العاملة فتحت الموانىء للملايين من هؤلاء الأوربيين الشرقيين والجنوبيين. لكن أعضاء الثقافة المركزية ـ خلافاً لما ترويه الأسطورة الشائعة والتي ما تزال متداولة عن ترحيب المجتمع الأمريكي على الدوام "بالجماهير المشردة التي لا مأوى لها" ـ لم يكتفوا بالخوف من ملايين "الأجانب الغرباء" القادمين من أوروبا الشرقية والجنوبية فحسب، بل

---

١٣ . اقتباس عالميّ الانثروبولوجيا: هوارد شتاين وروبرت هِل. **الملزم العرقي** (مطبعة جامعة ولاية بنسلفانيا، ١٩٧٧)، ٥٩.

١٤ . صوّرت هذه الصور الحّية وفُحِصت في عمل مايكل نوفاك المثير للخلاف: **نشوء الأعراق غير القابلة للذوبان: السياسة والثقافة في السبعينات** (نيويورك مكميلان ١٩٧٢) ١٣٩ .

اعتبروهم أدنى مرتبة على الصعيد العنصري، والثقافي، والفكري. وقد انعكست هذه المخاوف في عدد من الإجراءات السياسية وفي مفهومي التطابق الأنجلو ـ سكسوني وبوتقة الصهر. فقد قام المجتمع الأصلي، في الواقع، برفض القادمين الجدد. وكانت كلا المدرستين الفكريتين "محاولات علمية" للتخفيف من الخوف من الأجانب، بالرغم من وجود اختلافات فيما بينهما. فقد أكدت الأولى، التطابق الانجلو ـ سكسوني، على حتمية الاستيعاب الكامل في الثقافة المهيمنة التي اعتبرت متفوقة. في حين أكد أنصار نظرية بوتقة الصهر على اندماج المهاجرين مع المجتمع المضيف. هكذا تنطوي النظريتان على أمل بالاختفاء الوشيك لـ"الأجنبية" المكروهة والمخشية، والمحو الكلي للاختلافات الثقافية، والأمل بظهور ثقافة ومجتمع "غير مختلطين، ونقيين، ومتفوقين" متحررين من البقايا الأجنبية.

أخيراً، قام "هوراس كالين" في العقد الثاني من القرن العشرين بطرح مفهوم "التعددية الثقافية" في مقالته "الديمقراطية بمواجهة بوتقة الصهر" التي وصف فيها رؤياه لمجتمع متعدد الأجناس، متعدد الثقافات يغيب فيه التميز، والاجحاف، والتمايز الاقتصادي. ١٥

في الوقت الذي يظهر فيه أن **بوتقة الصهر** (وربما كل ما تحمله من معان ضمنية) لا تزال تشكل مفردة أساسية وشائعة الاستعمال في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فإن نظرية كالين قد تعرضت لجدال منهجي ملحوظ. في الستينات، أكد غليزر ومونيهان قطعياً على أن "القضية الهامة في **بوتقة الصهر** . . . هي أنها لم تتحقق . . . " ١٦

منذ نهاية الستينات، وبدلاً من التركيز بوضوح على الغياب المحسوس للاختلافات ما بين الجماعات المهاجرة من عرقيات مختلفة، أظهر السياسيون اهتماماً كبيراً بالاختلافات الثقافية وسواها في سعيهم الحثيث من أجل الفوز بما يسمى بـ "التصويت العرقي" . في حين يركز الدارسون على المحافظة على الحدود الاجتماعية وإدامة التنوع اللغوي والثقافي، وعلى عملية تحول المرء من مهاجر إلى عرقي، وعلى الهويات العرقية والنتائج الاجتماعية والثقافية للاستمرار طويل المدى للجماعات العرقية. وقد تم، ضمن هذه الدوائر على الأقل، استبدال **بوتقة الصهر** باستعارات جديدة تتماشى مع النموذج الثقافي التعددي ـ وعاء السلطة، والمرق، والفسيفساء وغيرها. وفي الوقت نفسه، تحول التأكيد، في بعض الداوائر السياسية والأكاديمية، وإن لم يشمل التحول بالضرورة القطاعات العامة، من الاستيعاب إلى الاكتساب الثقافي. وفي الوقت الذي يتضمن فيه كلا المفهومين الملامسة الثقافية، فإن الاستيعاب يعني استيعاباً كاملاً لثقافة

---

١٥ . إضافة إلى عمل كَلِن المبكر، أنظر مقالات نوفاك: "التعددية: منظور إنساني" ومايكل وولتزر: "التعددية: منظور" سياسي ، في ثيرنستورم، مجموعات عرقية أمريكية ، ٢٢٢ ـ ٧٨١، ٧٨١ ـ ٧٨٧ على التوالي.

١٦ . ناثان جلازر ودانييل موينِهَن، **ما وراء بوتقة الصهر: زنوج، بورتوريكيون، يهود، إيطاليون، وإيرلنديون في مدينة نيويورك** (كيمبردج: أم آي تي ومطبعة جامعة هارفرد، ١٩٦٣)، أنظر أيضاً و. هـ. أودن "**أمريكا ليست بوتقة صهر!**" مجلة نيويورك تايمز، ١٨ آذار، ١٩٧٢؛ ونوفاك، **أعراق غير قابلة للذوبان**.

من قبل ثقافة أخرى (حيث تستوعب ثقافة الأغلبية المهيمنة، عادةً، ثقافة الأقلية الخاضعة للهيمنة). في حين يوحي الاكتساب الثقافي بقيام إحدى الثقافات، بشكل يفترض أن يكون انتقائياً، بأخذ جوانب مختارة من ثقافة أخرى مع الاحتفاظ بكيانها الخاص. ومع كون الصورة أكثر تعقيداً مما يتضمنه بحثي الموجز القصير، وكون الإيديولوجية الثقافية المتعلقة بالهجرة والمهاجرين ما تزال بعيدة عن الواقع الاجتماعي الذي يواجهه المهاجرون وأبناء الأعراق اليوم، فإننا قد قطعنا، في بعض النواحي، مسافة طويلة عما كان عليه الحال أيام "المهاجرين الجدد".

إن الصراع المعني مع الهوية ، والثقافة، والتهميش يفاقم المعضلات متعددة المستويات التي تواجهها الجماعات العرقية ويشوشها. فالهوية، أو الاحساس بالذات، هي صفة عقلانية واجتماعية: إذ أن إحساسنا بمن نكون يتوقف على، وينتج عن، الانتماء إلى مجتمع والمشاركة في ثقافته. فليس عجيباً أن يصبح "إريك إريكسون" الدارس المهاجر أباً لمفهوم الهوية في العلوم الاجتماعية وأن يؤكد على أهميته الستراتيجية والحيوية. فقد أدرك عام ١٩٥٠ :

> أننا نبدأ بادراك قضايا الهوية في تلك الحقبة من التاريخ التي أصبحت فيها هذه القضايا مشكلة. لأننا نفعل ذلك في بلد يحاول أن يصنع هوية فائقة من مجموع الهويات المستوردة التي يتكون منها المهاجرون .[١٧]

منذ لحظة وصولهم إلى الولايات المتحدة، يواجه المهاجرون ارتباكاً ذا علاقة بالهوية، ابتداء من المشكلة المحيرة لتصنيف المرء لنفسه وللتعرض لتصنيف الآخرين، وسيراً مع خطوات التحول من مهاجر الى عرقي إلى عضو في جماعة عرقية في هذا المجتمع التعددي المعقد. وترتبط بقضية الهوية في تجربة المهاجر والعرقي مشاكل التهميش والثقافة ـ تلك الشبكة من المعاني المركبة والمتقاسمة بعناية.

ولنسأل على وجه التحديد ما الذي حل بالمفاهيم الثقافية لأولئك الفلاحين الذين قدموا من شرقي وجنوبي أوروبا والذين تركوا بيئتهم الريفية الزراعية التقليدية والمألوفة ودخلوا عالماً مدنياً صناعياً معاصراً وغير مألوف؟ ما الذي حل بمفهومهم للوقت، وفكرتهم عن المكان، والاستمرارية، والانتماء، والحب، والأبوة، والأسرة؟ مما لاشك فيه أن جانباً مهماً من معضلة الجماعة العرقية يتعلق بالرزمة الثقافية التي جلبها المهاجرون معهم. كيف حافظوا على ملاءمة وعائدية وحيوية العناصر الثقافية في البيئة الجديدة؟ إنني أعرض قول دارس للعبودية الأمريكية إذ يسأل: "كيف يحتفظ المهاجرون أو يعيدوا إنتاج ثقافة حية تظل بالنسبة لهم ذات معنى في عالم يرى لغتهم، وطريقة كلامهم ولهجتهم غريبة، وأطعمتهم وروائحتهم غير مقبولة، وملابسهم

١٧ . إريك إريكسون، طفولة ومجتمع، (نيويورك: نورتون، ١٩٥٠)، ٢٨٢.

والطريقة التي يكشفون بها رؤوسهم أو يغطونها غير مألوفة، وطريقة سيرهم أو جلوسهم شاذة، وتحياتهم وإشاراتهم عجيبة، وطقوسهم، ومعتقداتهم، وعاداتهم غير معقولة؟ تجدر هنا الإشارة إلى ملاحظات مارغريت ميد الساخرة بالهوية الأمريكية. فقد ذكرت أن كون المرء أمريكياً يعني الامتناع عن الأساليب الأجنبية، والطعام الأجنبي، والملابس الأجنبية، .واللهجات الأجنبية إلى آخر ما هنالك.١٨ وبعبارة أخرى كيف يمكن الاحتفاظ بثقافة حقيقية في عالم يرفض ويبغض أبرز عناصر تلك الثقافة.

ومع أنه ليس الدواء الشافي لكل العلل، فإن تكوين الجاليات المهاجرة والمحافظة عليها وإدامتها يساعد في حل المعضلة الناجمة عن التأرجح بين عالمين مختلفين، وبين حضارتين. فباستخدام عناصر منتقاة من حزمتهم الثقافية، قام المهاجرون بخلق ثقافاتهم المميزة التي استمدوا منها هويتهم الخاصة وأنشأوا جاليات مهاجرة وعرقية استمدوا منها عناصر تركيب وتثبيت تلك الهويات.١٩

كانت الجالية المهاجرة في البداية، خصوصاً في المرحلة المؤقتة التي اتخذت فيها شكل المهاجر الشغيل، كياناً بسيطاً في العادة. لكنه اضطلع بوظائف معقدة ومركبة. لنأخذ مثالاً على ذلك ما باحت به أرملة صاحب حانة في عام ١٩٠١:

> لم يكن هناك مركز للهنغاريين في ديلراي. كانت حانتنا بمثابة كل شيء . . .كنا نقوم بكل أنواع الأعمال إلى جانب بيع الخمور. أعطينا المكان صيغة منزلية وكان الكثير من العزاب يتناولون طعامهم في الحانة. وكان لدينا شيء يشبه البنك أيضاً. . . كان الناس يجلبون نقودهم إلينا لنودعها لهم. وكنا نحول النقود الى أوروبا. . . وكنا نبيع تذاكر السفن البخارية والعقارات. وإذا أراد الناس عقد اجتماع عقدوه في القاعة الواقعة فوق الحانة. كما كنا ندير مخزناً يشبه مخازن التجارة العامة في الحانة أيضاً.٢٠

مع تزايد جماعة سكانية معينة، وبالتالي تزايد تماسكها، يزداد تركيب الجالية العرقية تعقيداً. انبثقت روابط، وكنائس، ومراكز ثقافية، وجرائد، وبرامج إذاعية، ونواد، ومشاريع عرقية على أساس طوعي. ورغم أن الجاليات المهاجرة لم تشبه في هياكلها وبؤرها جاليات القرى الأم في الوطن القديم،٢١ إلا أنها حققت وخدمت عدداً من الوظائف الأساسية. والواقع أنها بكونها أداة لمنح الشرعية الاجتماعية للهوية العرقية

---

١٨ . مارجريت ميد، " العرقية وعلم الأنثروبولوجيا" في كتاب **هوية عرقية: استمرارية وتغّير ثقافي**، تحرير جورج دي فوس ولولا رومانوشي ـ روس (بلو ألتو: مايفيلد، ١٩٧٥) ١٧٣ـ ١٩٧.

١٩ . أنظر ليندا ديج، "بقاء وإحياء الثقافة الشعبية الأوروبية في أمريكا" في إثنولاجيا يوروبايا ٢ ـ٣ (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩)، ٩٧ ـ ١٠٧.

٢٠ . اقتبست في إردمان بينون، "مجريو مشيغان" في **التكيّف المهني لمهاجري المجر** (أطروحة دكتوراة، جامعة مشيغان، ١٩٣٣)، ١٢.

٢١ . لأمثلة مختارة قليلة عن جاليات مهاجرة ووظائفهم أنظر ديج: " ثقافات الشعوب" ؛ ليندا ديج: "عِرقية الأمريكيين المجري" Congressus Internationalis Fennu Ugristarium‡: (Turku Suomen Kielen Seura, 1980), 255- 290, Linda Degh, Dial a Story, Dial an Audiance: Two Women Narrators in an Urban Setting" in Women's Folklore, Women's Culture, ed. =

الجـديدة ولتركـيب الثـقـافـة العـرقية قد ساعدت في تقليل الاحساس بالغربة والتهميش والمعضلات العرقية المتعلقة بها.

= Jordan A. Rosan and Susan Kalchik (Philadelphia: University of Pennsylvania, 1985) 3-25, Eva V. Huseby- Darvas," Immigrant Women as Agents of Continuity in the Hungarian - American Community of Delray" n. d., typescript. Eva V. Huseby- Darvas, " Migrating Inward and Out: Validating Life-Course Transition through Oral Autobiograpy " in Life History as Cultural Construction / Performance (Budapest: The Ethnographic Institute of Hun garian Academy of Sciences), 379 -409, Eva V. Huseby- Darvas, " ' Wednesday Hungarians' andCsiga - noodlemaking in Southeast Michigan" in The Digest : A Review for the In terdisciplinary Study of the Uses of Food ed. Yvonne Lockwood and William Lockwood, 9, no, 2: 4 -8 .

تجربة الهجرة العربية المبكرة

أليكسا ناف

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ أشخاص من الناطقين بالعربية بالهجرة إلى الولايات المتحدة من الاقليم السوري التابع للامبرطورية العثمانية والذي كان يضم مقاطعة جبل لبنان. وقد أصبحت أعدادهم كافية لقيام جاليات محددة. وكما هو الحال بالنسبة للملايين الذين تركوا ديارهم في أوربا فإنهم انجذبوا إلى العالم الجديد بفعل الشخصية المتغيرة للولايات المتحدة في تلك الحقبة. ففي الوقت الذي كانت مساحات واسعة من الأرض ما تزال في حاجة لمن يزرعها في الغرب والجنوب الغربي، بدأت المصالح الاقتصادية الناشئة في الشرق بالتنافس مع المصالح الزراعية. وكان من بين المشاكل الناجمة عن ذلك أن كلا القطاعين كان يعاني من نقص متزايد في الأيدي العاملة.

بالرغم من قلة أعدادها بالقياس إلى الجماعات الأوربية الكبيرة، فإن الجاليات السورية أصبحت مميزة بحلول منتصف التسعينات. وفي السنوات العشر أو الخمس عشرة التي أعقبت ذلك تغلغلت هذه الجاليات بين صفوف الأمة نتيجة لاحتراف معظم أفرادها مهنة الباعة المتجولين.

وصل المهاجرون المتكلمون بالعربية، الذين يقدر عددهم حالياً بمليوني شخص، إلى الولايات المتحدة في موجتين رئيسيتين. تتميز الموجة الأولى، أو موجة ما قبل الحرب العالمية الثانية، عن الموجة الثانية أو موجة ما بعد الحرب العالمية الثانية في عدة وجوه. فقد كانت الموجة الأولى في أغلبيتها تتكون من حرفيين أو مزارعين قرويين بسطاء. كانوا فقراء نسبياً ـ وإن لم يكونوا معدمين. وقد كان تعليم المتعلمين منهم ضئيلاً. ولم يتجاوز طموح هؤلاء الرواد الذين هاجروا قبل عام ١٩١٠ الأمل في كسب أكبر كمية ممكنة من النقود في أقصر وقت ممكن ثم العودة إلى أوطانهم موفوري العزة والثراء. أما الموجة الثانية فقد ضمت، وما تزال تضم، نسبة عالية جداً من المهاجرين المتعلمين، والمسيسين، والقوميين والمتحدثين باللغتين العربية والإنجليزية. وبالنظر لنشوئهم في عدد من الدول العربية التي نالت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية، فإن أفراد الموجة الثانية يعرفون أنفسهم بكونهم عرباً. كانت الولايات المتحدة التي قصدوها

قد امتلأت بالسكان، ومرت بتجربة حربين عالميتين، وأصبحت القوة الأولى في العالم في المجالات الصناعية والعلمية والتكنولوجية والعسكرية. وهكذا فإن الموجة الثانية مرت بتجربة تختلف جذرياً عن تجربة الهجرة التي عرفها أسلافهم السوريون.

كم كان عدد السوريين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية؟ كم كانت نسبة المسيحيين منهم وكم كانت نسبة المسلمين والدروز؟ ومن أية شريحة اجتماعية جاؤوا؟ كم عدد المهرة منهم وكم عدد الأميين؟ ليس هناك من جواب موثق لهذه الأسئلة جميعاً. فتنف المعلومات التي يقدمها المهاجرون أنفسهم لا تسهم إلا في إرباك التخمينات في المصادر المنشورة وإضفاء الشك على المعلومات الرسمية.

إن إحصاءات الهجرة والتعداد السكاني لا يمكن أن تكون موثوقة لأسباب عدة. فالمهاجرون الذين قدموا من شرقي البحر المتوسط، على سبيل المثال، كانوا قبل عام ١٨٩٩ يسجلون على أنهم قادمون من "تركيا في قارة آسيا". إضافة إلى أن تصنيف المهاجرين الذي اتبعه مكتب الهجرة لم يشمل الديانة أو الهوية الوطنية. وهكذا، فإن السوريين المهاجرين من امبراطورية متعددة الشعوب لا يتطابق فيها بلد المنشأ مع الهوية القومية ويتم فيها تقرير الهوية القومية تبعاً للدين إلى جانب اللغة والثقافة، لم يكونوا مميزين عن بقية الرعايا العثمانيين.

إلا أن موظفي الهجرة، بعد أن انتبهوا إلى أن معظم أولئك الرعايا العثمانيين كانوا من سوريا، لجأوا في عام ١٨٩٩ إلى إضافة كلمة "سوري" إلى التصنيف المعمول به. أتاح هذا للمهاجرين الناطقين بالعربية طريقة لتمييز أنفسهم في أرض تموج بالمهاجرين من مختلف المناشىء العرقية. وبحلول الحرب العالمية الأولى، تظهر الاحصاءات الرسمية بأن عدد المهاجرين كان حوالي ١٠٠ ألف نسمة، في حين أصبح عدد المهاجرين وذرياتهم حوالي ٢٠٦ ألف نسمة بحلول الحرب العالمية الثانية. [١]

وقد قدر الباحثون، الذين يفتقرون إلى المعلومات الدقيقة التي تحدد ديانة المهاجرين وهويتهم، بأن ٩٠٪ إلى ٩٥٪ من المهاجرين السوريين القادمين قبل الحرب العالمية الثانية كانوا مسيحيين من جبل لبنان. في حين كان الباقون من المسلمين أو الدروز. وقد كانت الفئة الأخيرة من القلة بحيث لم تحظ بذكر في الأدبيات التي تخص السوريين في مطلع هذا القرن. [٢] وكان بين أفرادها بضعة ألوف من الفلسطينيين.

في الولايات المتحدة، أطلق معظم هؤلاء المهاجرين على أنفسهم، وبضمنهم الكثير من الفلسطينيين، اسم السوريين الذي ظلوا يعرفون به لحين استقلال سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الثانية. في حين أنهم قلما عمدوا، في أوطانهم الأم، إلى الإشارة لأنفسهم

---

١ . لمزيد من التفاصيل حول المشاكل المتعلقة باستخدام بيانات إحصائية عن المهاجرين السوريين أنظر: أليكسا ناف: **أن تصبح أمريكياً: تجربة الهجرة العربية المبكرة** (كاربونديل إلينوي، ١-٢: مطبعة جامعة جنوبي إلينوي، ١٩٨٥)، ١٠٧- ١١٧.

٢ . مثلاً، لويس هوبكنز ملر: **سكاننا السوريون:دراسة الجاليات السورية لمدينة نيويورك الكبرى** (غير منشور، كتب حوالي سنة ١٩٠٤)؛ لويس سايمور هاوتون، "سوريون في الولايات المتحدة" النقط من ١-٣ مسح ٢٦ تموز، آب، أيلول ١٩١١)، نقطة ٤، مسح ٢٧ تشرين١ ١٩١١)؛ فيليب كيه. حتي: **سوريون في أمريكا** (نيويورك: جورج دوران، ١٩٢٤).

على أنهم سوريون أو حتى عرباً، على الرغم من اعتزازهم بعروبتهم وبتراثهم العربي. فقد كانت الإشارة إلى السورية أو العروبة سمة ثقافية أكثر منها وطنية بالنظر لعدم وجود كيان سياسي سوري مستقل يمكن أن ترتبط به صفة الوطنية. بعد إعلان فرنسا انتدابها على سوريا العثمانية عام ١٩٢٠، ظهر مكون سياسي ناشيء في هوية بعض المسيحيين القادمين من جبل لبنان حيث أخذ المهاجرون وأبناؤهم يتجادلون حول ما إذا كان عليهم أن يدعوا أنفسهم أمريكيين سوريين أو أمريكيين لبنانيين.

كانت أكثر عناصر الهوية ارتباطاً بالمعنى والتحديد بين السوريين هي تلك العائدة لاسم العائلة، والديانة، والمكان الذي قدم منه المهاجر - وهي عناصر شكلت مصدراً للطائفية والتشظي الاجتماعي في الوطن الأم وفي الأرض الجديدة على حد سواء. إلا أن الطريقة التي عرف بها السوريون أنفسهم في الولايات المتحدة لم تؤثر على قابليتهم للاندماج.

الهجرة

يتفق المؤرخون بشكل عام على أن جبل لبنان في نهاية القرن التاسع عشر لم يكن مكاناً يدفع إلى الهروب. يشير ألبرت هـ. حوراني إلى أن الفترة ما بين ١٨٦١ و ١٩١٥ "كانت فترة رفاهية متزايدة". ٣ ويقول فيليب حتي، وهو مواطن لبناني، إن الناس في جبل لبنان "تمتعوا بفترة ازدهار ثقافي ورفاهية اقتصادية وحققوا حالة من الأمن والاستقرار لم تحققها أية ولاية عثمانية أوروبية كانت أو آسيوية. . . وقد شهد له بأنه أفضل البلدان حكماً، وأوفرها رفاهية وأكثرها سلاماً ورضى في الشرق الأدنى". ٤ والأكثر من ذلك أنه تمتع بنصيب كبير من الحكم الذاتي مقارنة بجيرانه. وإذا ما كانت هناك أية دوافع سببت الهجرة السورية فإنها تظهر أوضح في الظروف السياسية والاقتصادية الأصعب في سوريا نفسها. ومع ذلك فإن عدد المهاجرين الذين غادروا القرى والمدن السورية، حتى المسيحيين منهم، كان أقل بكثير.

إن ما جذب المهاجرين إلى الولايات المتحدة كان، في الواقع، معدلات التحضر والتصنيع المتزايدة فيها التي تطلبت عمالة أكبر من تلك المتوفرة في البلاد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. وهكذا فقد تم تجنيد اليد العاملة من الخارج بواسطة وكلاء الصناعة، وخطوط الملاحة، وحتى من قبل الدول والمقاطعات الغربية الأقل سكاناً. وكان من نتيجة ذلك أن تدفق ملايين المهاجرين إلى البلاد مطلقين بذلك حركة مناوئة للغرباء تميزت بشدة قسوتها قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها بشكل خاص. وقد تبنى

٣ . **سوريا ولبنان: مقال سياسي** (لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٤)، ٣٣.

٤ . **لبنان في التاريخ** (نيويورك: ماكميلان، ١٩٦٧)، ٤٤٧. أنظر أيضاً إيه. روين، "Syrien als Wirschaftsgebiet," في: **التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط: ١٨٠٠-١٩١٤**، تحرير شارلز عيساوي (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٦٦)، ٢٧٢؛ ودومينيك شيفالية: "التطور الغربي والأزمة الشرقية"، في: بدايات العصرنة في الشرق الأوسط: القرن التاسع عشر، تحرير وليم ر. بولك وريتشارد إل. تشامبرز (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٦٨)، ٢٢٠.

الكونغرس، استجابة لذلك، سلسلة من القوانين التي تحدد الهجرة التي توجت بقانون جونسون ـ ريد لعام ١٩٢٤. وقد تحددت حصة السوريين من الهجرة بموجب نظام الحصص هذا بـ ١٠٠ مهاجر سنوياً حتى تم الغاء القانون في ١٩٦٥.

إن أهم المعلومات الموثوقة حول السبب الذي أطلق هجرة السوريين الجماعية إلى الولايات المتحدة هي في شهادات مهاجري مطلع القرن التي سجلت لهم في مقابلات أجريت ضمن جاليات متعددة في كندا والولايات بالمتحدة.٥ ويكاد الإجماع يكون تاماً على القول بأنهم قد جاؤوا لقضاء فترة مؤقتة قد تمتد عامين أو ثلاثة يجمعون فيها النقود ثم يعودون إلى بلادهم، حيث ترك الأغلبية منهم عائلاتهم، ليعيشوا حياة أفضل ويرفعوا مستواهم العائلي. وقد ذكروا بأنهم لم يغادروا بسبب الأضطهاد الديني أو الضيق الاقتصادي. وفي ذلك الوقت، كان الذين جاؤوا سعياً وراء المثل العليا للحرية والديمقراطية لايشكلون إلا الاستثناء النادر.

فيما بعد، التحق آخرون بالرواد. ومع بقاء الحصول على المال مصدراً رئيسياً للإغراء، فإن البعض قد جاء بسبب مشاكل عائلية في الوطن أو هروباً من التجنيد العسكري أو لمجرد الالتحاق بالأقارب. أما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد هاجروا بسبب ضيق العيش، خصوصاً المجاعة، التي عانوا منها أثناء الحرب.

المهاجرون

أن الطريق الى الولايات المتحدة فتحت من قبل التجار والحرفيين الذين شجعهم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وهو طاغية إصلاحي ذو عقلية تجارية، على عرض بضاعتهم في معرض فيلادلفيا المئوي لعام ١٨٧٦. ربما كان هؤلاء الرواد هم الذين نقلوا، عند عودتهم، صورة الثراء السهل و"الذهب في الشوارع". وسرعان ما أخذت الرسائل المبهرجة التي يصف فيها المغامرون الأوائل الثراء الذي لم يحلم به أحد في جذب المزيد من المهاجرين. وزاد في تأجيج الهجرة القرويون الذين عادوا إلى الوطن ببدلات من قماش الصوف الغالي وأحذية جلدية لماعة وساعات بسلاسل ذهبية. بعد أن تحدث فارس ن. مع أبناء العم الزائرين والاطلاع على ما يمكن تحصيله من التجارة، غادر بصحبة ٣١ رجلاً وامرأتين في عام ١٨٩٥، وفي العام نفسه، غادر مايك هـ قريته مع ٧٢ فرداً من الأصدقاء والأقارب. وغادرت مثلهم جماعات من قرى أخرى على نحو يوحي بالمقارنة مع اندفاعات البحث عن الذهب.

كان أغلب الرواد شباناً، وعزاباً، ومغامرين. وانضم إليهم عدد من الرجال المتزوجين مع نسائهم وعدد من النساء العازبات. وفي أغلب الحالات، كان على الرجال، وهم مزارعون، وأبناؤهم أن يعززوا دخل العائلة بالعمل في حرفة أخري أو بالتجارة. ولم يكن غريباً على الأسر، التي اعتبرت نفقات الرحلة استثماراً، أن تقترض

٥ . بإدارة أليكسا ناف خلال مشروع بحث رئيسي عن الأمريكيين العرب، ١٩٦٢ و ١٩٨٠، بمنحة من المساهمة القومية للإنسانيات وضمت في مجموعة الأمريكيين العرب، المؤسسة السمثسونية .

المال أو ترهن الأرض من أجل أن ترسل واحداً أو اثنين من أفرداها لتحقيق حلم الحصول على المال و المركز المرموق.

في أمريكا

عندما أخذ القرويون بالتدفق على الموانىء السورية في بيروت وطرابلس، تشكل خليط من المقاولين والوكلاء الذين كانت غالبيتهم من المجردين من الضمير لتولى حجز الرحلات البحرية للمسافرين البسطاء الذين كانوا يحسبون بأنهم متوجهين إلى نيويورك أو، على الأقل، إلى الولايات المتحدة. إلا أن الكثيرين منهم وجدوا أنفسهم، بدلاً من ذلك، في كندا، أو أمريكا الجنوبية أو الوسطى، أو البحر الكاريبي، أو حتى أستراليا. وقد قام الكثيرون منهم بدخول الولايات المتحدة عن طريق التهريب عبر الحدود المكسيكية أو الكندية، مما جعل الحصول على معلومات ديموغرافية دقيقة أمراً أكثر صعوبة.

لم تكن نيويورك وموانىء الدخول الأخرى التي دخل منها السوريون إلى الولايات المتحدة سوى بوابات فحسب. وعلى نحو عام، كانوا يعرفون هدفهم بالتحديد وما سيفعلونه عندما يصلون إليه. فقد كانوا سيحملون البضائع ويعملون كباعة جوالين من باب إلى باب في المدن، ومن حقل إلى حقل في الريف. وكانوا يطاردون إمكانية الثراء السريع على امتداد الولايات المتحدة. وكان ذلك هو الأمر الذي اجتذب المهاجرين السوريين قبل عام١٩١٠ على وجه التقريب. وبحلول ذلك العام، كانوا قد تغلغلوا في كل مدينة ومقاطعة في البلاد.٦ وقد غطوا القارة الأمريكية بشبكة من طرق التجارة الجوالة تنطلق من شبكة من مستوطنات الباعة المتجولين. والقلة التي انصرفت عن عمل البائع المتجول، لأنها وجدته شاقاً جداً أو متدنياً جداً، التحقت بالقوى العاملة.

تشكلت المستوطنات حول مصدر مؤن يكون عادة بائعاً متجولاً مخضرماً قرر الاستقرار في موقع مختار. ثم قام بتجنيد باعة متجولين آخرين من قريته أو من القرى المجاورة. وكان القريب يجر قريبه وابن القرية يجر ابن قريته حتى تمكن المهاجرون من إعادة التجمع تبعاً للقرابة، أو الدين، أو المذهب، أو بلد المنشأ كما كانوا يفعلون في وطنهم. وكان بالإمكان تتبع الشبكات المتفرعة عن المستوطنات التي ينحدر اعضاؤها بشكل عام من قرية واحدة عبر أكثر من ولاية. وكان للمهاجرين الدروز، وهم فرقة من المسلمين الشيعة ، شبكة فرعية أو اثنتان خاصتان بهم.

كانت مستوطنة الباعة المتجولين عبارة عن جالية منفتحة ومرنة، بمعنى أن الباعة المتجولين كانوا يأتون إليها أو يغادرونها تبعاً لما تمليه مصالحهم الذاتية. وكانت مستوطنة المصدر نقطة انطلاق الباعة المتجولين وكان المجهز زعيمهم المعترف به بحكم اعتمادهم

٦ . تقارير عن هيئة الهجرة، مجلد ٣، مراجعة إحصائية للمهاجرين، ١٨٢٠ ـ ١٩١٠ (واشنطن دي سي، ١٩١١) جدول ٢٧، "المكان المقصود للمهاجرين الذين سمح لهم بدخول الولايات المتحدة، السنة المالية ١٨٩٩ إلى نهاية ١٩١٠ حسب عنصر البشر" ، ٢٦٩ ـ ٢٩٢.

عليه. إلا أنه لم يكن يختص بلقب خاص ولم يكن يطلب منهم الطاعة الخانعة ولم يكن يكتفي بتجهيز البائع بالبضاعة على الحساب، بل كان يؤمن القروض للمجندين الذين لا يملكون المال لكي يحملهم على الانضمام إليه. وكان يستلم بريدهم، ويودع أموالهم في المصارف ويتولى، أحياناً، دور العرّاب لأبنائهم. كما كان يؤمن الاتصال بينهم وبين الجالية المضيفة. كانت العلاقة الطيبة بين المجهز والبائع المتجول قائمة على شرائع التقاليد والمصلحة الاقتصادية المتبادلة.

كان المهاجرون يلقنون في المستوطنات أساسيات وحيل التجارة على أيدي الأصدقاء والأقارب. كانوا يتعلمون، على سبيل المثال، قيمة العملة الأمريكية وطريقة مخاطبة النساء اللاتي يطرقون أبوابهن. وربما كانت عبارة "اشتري شيئاً يا سيدتي" أول عبارة يتعلمونها بالإنجليزية. كما كانوا يتعلمون كيفية السؤال عن مكان ينامون فيه أو طعام يأكلونه عندما يكونون في الريف. وبشكل عام، كانوا يبدأون بتعلم طريقة العيش استناداً إلى معرفة أولية بلغة وعادات البلاد. وتبعاً لذلك، كان بإمكان القادمين الجدد أن يكسبوا قوتهم فور وصولهم تقريباً. وكان الباعة المتجولون يعودون بعد أسابيع أو شهور من التجوال إلى المستوطنة، التي تقوم مقام القرية، لكي ينعشوا أرواحهم بعد الغياب.

انجذب المهاجرون إلى مهنة البائع المتجول لأنها لا تحتاج إلى رأسمال في البداية، ولا إلى تدريب متقدم، ولا إلى خبرة باللغة الإنجليزية. إضافة إلى كونها ملائمة للطبيعة الفردية للعربي وللوضع غير المستقر للمهاجر. والأهم من ذلك أنها كانت تحقق الثروة بأسرع مما كانوا يتوقعون.

كانت مهنة البائع المتجول العامل الأكثر جوهرية في عملية استيعابهم لبضعة أسباب. فقد أجبرتهم على تعلم الإنجليزية بسرعة، لأن تعلم الإنجليزية كان شرطاً أساسياً لنجاحهم، والنجاح كان بالنسبة للمنافسة العريقة التي يخوضونها من أجل الجاه وشرف العائلة هو، بالتحليل النهائي، الدافع الذي حرك السوريين نحو هدفهم في الولايات المتحدة. كما أتاحت لهم المهنة رؤية البلاد والتعامل المباشر مع نمط الحياة فيها. وكانت تدخلهم إلى البيوت الأمريكية وتثير طموحاتهم. ووفرت عليهم قلق البحث عن عمل في المصانع والوقوف في طوابير العمل الطويلة، والتسريح من الخدمة. كما جنبتهم ذهنية الغيتو. وأخيراً وفرت الفرص لآلاف القادمين الجدد.

كان الباعة المتجولون عبارة عن مخازن متجولة متنوعة البضائع، حتى عندما كانوا يتجولون سيراً على الأقدام كما كان الحال مع أغلبهم في البداية. كانوا يحملون كل ما يمكن أن تحتاجه أو ترغب فيه الزوجة التي لا تستطيع مغادرة دارها في المدينة أو امرأة الحقل المعزولة في حقائب جيدة الاعداد يحملون واحدة منها بكل يد والثالثة فوق ظهورهم. كانت لديهم ملابس مدرسية جاهزة، وملابس عمل رجالية، وشراشف ومناشف، ومصوغات وحاجيات منزلية وأشياء أخرى. كما كانوا يحملون مشغولات خاصة مثل الدانتيلا، وأغطية الموائد المشغولة، وأغطية الفراش المطرزة، ومناديل مائدة وقبعات مزينة بالشرائط عادة ما تكون من انتاج نساء من عائلة البائع الجوال يمارسنها

كنوع من الصناعة المنزلية.

في كيس البضاعة، الذي كان الرفيق الثابت للبائع المتجول، توجد كل أنواع الخردوات التي يجدها المرء في محلات البضاعة الكبرى إضافة إلى الأيقونات والمسبحات والإطارات. . . الخ. وإذا كانت يدا البائع المتجول تحملان الحقائب فإن كيس البضاعة كان يتدلى على صدره.

كان بعض الباعة يجوبون نصف قارة على أقدامهم ويغيبون عن المستوطنة شهوراً: وكان بعضهم يعود في ظرف أسبوع أو اثنين بينما تبقى النساء والأطفال، غالباً إن لم يكن دائماً، قريباً من المستوطنة.

كانت مهنة البائع المتجول مهنة محفوفة بالمخاطر. فهؤلاء القرويون المعتادون على الشظف في قراهم، لم يخطر ببالهم أبداً ما يمكن أن يواجهونه على الدرب في الولايات المتحدة. لقد حفظت متاعبهم في مجموعة من حكايات مسلية تمجد الحذاقة والبراعة، تعمل كصمام أمان نفساني لمخاوفهم وإجهادهم وخيباتهم عندما يروونها فيما بينهم. وكان الكثير من الحكايات يتناول صعوبات الطقس، وعدم معرفة اللغة، وصعوبات العثور على مأوى. كانت تروى حكاية الأطراف المتجمدة، والحناجر العطشى، والحرارة القاسية؛ والغوص في الطين، والتعرض للسرقة، والضرب، والقتل والضياع؛ والملاحقة من قبل الفلاحين المسلحين بالبنادق وكلابهم. "كيف تقول للكلب أن يولي إذا لم يكن يفهم العربية؟" هكذا شكا أحد الرواة. بائع متجول ينطق باسم الجميع قال بأنه تحمل الكثير لكنه استمتع بالبلاد وكان "حراً في كسب المال".

كسب الباعة المتجولون المال بالفعل. وكان معدل دخلهم السنوي ١٠٠٠ دولار في حين كان معدل دخل القوى العاملة٦٥٠ دولاراً في السنة. وقد سمحت لهم مدخراتهم العالية وتقتيرهم الشديد بإرسال الحوالات إلى الوطن، وتسديد الديون، ودفع الأجور اللازمة للمجيء بأفراد آخرين من العائلة إلى الولايات المتحدة. وقد ساهموا في التجارة الأمريكية عن طريق توسيع سوق المنتجات الصناعية الصغرى إلى أبعد مناطق البلاد.

في حوالي العام ١٩١٠، تدهورت مهنة البائع المتجول بين المهاجرين. فقد تجاوزها المهاجرون واستبدلت الخدمات التي كانت تقدمها للمستهلكين في الولايات المتحدة بانتشار الأسواق متنوعة البضائع وخدمات البيع البريدي المنزلية مثل خدمات "مونتغومري وارد" و "سيرز روبك".

التحول إلى " أمريكيين "

عندما قرر المهاجرون الاستقرار واتخاذ الولايات المتحدة وطناً دائماً لهم، تمسكوا بالمثال الحضاري المفضل وهو العمل التجاري الحر. تحولوا إلى أعمال عائلية تساهم فيها العائلة بكاملها حتى الصغار من أفرادها. كان المنزل والمخزن، في العادة، عبارة عن بئر السلم أو مدخل الباب. وكانت محلات البقالة أو العطارة هي الأكثر شيوعاً إلا أن المصالح تنوعت من الصيرفة، وتجارة الجملة، والصناعة إلى إدارة دور السينما، وغرف

المراهنات، ومخازن الحلويات ومحلات التنظيف الجاف. وبضآلة الخبرة في هذه المجالات أو انعدامها، كان الفشل أمراً شائعاً إلا أنه لم يكن رادعاً. كانوا يستمرون في المحاولة حتى يحققوا النجاح.

كثير من المهاجرين الذين وصلوا في فترة تدهور مهنة البائع المتجول وما تلاها في العشرينات، التحقوا بالقوى العاملة. وقد انجذبوا إلى الأجور التي تدفعها الصناعة والبالغة خمسة دولارات عن ثماني ساعات عمل باليوم والتي ابتدأتها شركة فورد للسيارات إبان الحرب ثم تبناها صناعيون آخرون. وقد تزامنت هذه النزعة الجديدة مع تدفق المسلمين السوريين. إلا أن معظم الرجال العاملين في خطوط الانتاج فتحوا أيضاً مخازن عملت فيها نساء العائلة وأطفالها.

تقدمت عملية التأمرك بأسرع صورها بعد الحرب العالمية الأولى. فالمستوطنات، التي كانت في الغالب تقع في مناطق متدنية الدخل تضم خليطاً عرقياً من الناس، تطورت في النتيجة إلى جاليات مستقرة عندما قام المهاجرون بشراء المنازل والحصول على رموز الطبقة الوسطى مثل السيارات والأدوات المنزلية. وقد اتبعوا، على نحو عام، طريق الطبقة الوسطى على السلم الاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى تبنيهم للمواقف والأذواق واللهجة الاجتماعية السائدة في الموقع ليصبحوا نيو إنجلنديين وجنوبيين، ووسط غربيين وهكذا.

عكست المؤسسات العرقية التي أوجدوها ـ الكنائس، والصحافة العربية، والروابط الطوعية ـ عوامل الهوية التقليدية، كما كان متوقعاً، وكرست التجزئة التقليدية بين الجماعة. كانت الكنائس الأولى على المذاهب الشرقية، وكانت أبرزها المارونية، والملكية، والأورثوذكسية الشرقية. كما كانت هناك كنيسة بروتستانتية سورية. وقد تم بناء تلك الكنائس في مطلع تسعينات القرن الماضي في مدينة نيويورك التي كانت المستعمرة الأم بالنسبة للسوريين والمركز الاقتصادي والحضاري. وخلال نصف القرن التالي، ازداد عدد الكنائس وانتشرت بشكل بطيء وغير منتظم عبر البلاد. مع ذلك، بقيت مساحات واسعة وما زالت بلا كنائس. وبناء على ذلك، كان السوريون الموجودون في هذه المناطق يؤمون الكنائس "الأمريكية" أي الكاثوليكية والبروتستانتية. وإلى هذا تعود النسبة العالية نسبياً من الزيجات المختلطة قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها. لذلك ذابت الهوية السورية في هذه الأسر ثم في أُسَر أبنائها حتى على نحو أوسع.

إن الاستيعاب المتصاعد للسوريين قد أدى إلى انخفاض عدد الحضور في الكنائس الشرقية. ومن أجل إيقاف هذا التحول، ومخاطبة الأبناء الذين يجهلون اللغة، والمحافظة على وحدة الطائفة، أذعن الزعماء للأمر الذي لا مفر منه. فاختصرت الطقوس وحولت إلى اللغة الإنجليزية، وأصبحت الأناشيد غربية، وحل الكورس محل المرتل.

بدأ تأمرك الكنائس المارونية والملكية في مرحلة مبكرة جداً لأنها، بصفتها تابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، كانت خاضعة للسلطة الإدارية للكنيسة في الولايات

المتحدة . وهكذا ، انتشرت الكنائس المارونية والملكية التي أدارها رجال دين خاصين بها انتشاراً بطيئاً لحين استقلالها عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية بعد الحرب العالمية الثانية .

أما الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في الولايات المتحدة فقد طلبت التوجية من رئاسة الأسقفية الأورثوذكسية الروسية. وقد قامت الأخيرة برسم أول أسقف سوري في الولايات المتحدة. وبعد انقضاء سنة على ترسيمه في١٩٠٤، أسس كاتدرائية في بروكلين. وقد إزداد عدد الكنائس الارثوذوكسية تحت زعامته وعاد الكثير من الأتباع إلى إيمانهم الأصلي.

لم تشيد المساجد قبل الحرب العالمية الثانية إلا ضمن أربع جاليات إسلامية. إلا أن المسلمين مارسوا فروضهم الروحية دون خوف من العقاب. فأي مكان طاهر في البيت أو موقع العمل يمكن، بالنسبة للمسلم، أن يكون مصلى. وكان بوسع المهاجرين المسلمين والدروز أن يعوضوا عن عدم وجود مؤسسات دينية مكرسة بأداء الصلاة جماعة، وتلاوة الكتب المقدسة، ومناقشة الديانة، والاحتفال بالمناسبات الدينية.

لقد سادت عناصر الهوية التقليدية في الصحافة العربية وفي تشكيل الجمعيات والنوادي، وقد تعلم السوريون في الولايات المتحدة التنظيم حول قضية مشتركة أو هدف مشترك. وقد نشأ بينهم ميل شديد إلى التنظيم بحيث أن عدد المنظمات، في أي وقت، كان يفوق في نسبته عدد السوريين في الولايات المتحدة. ومعظم تلك المنظمات كانت، بالطبع، قصيرة الأمد.

انتشرت النوادي الاجتماعية العائلية، والدينية، والقروية لكي تحد من نسبة الزيجات المختلطة من جهة، ولتديم استمرارية المجموعة الفئوية من جهة أخرى. وإذا كان لهذه النوادي من غرض مركزي ومشترك فهو المحافظة على تضامن الجماعة من خلال الزواج ضمن الجماعة بشكل رئيسي. ولهذا، فقد نحت النوادي إلى أن تكون مغلقة. ولم تفلح محاولات السوريين المولودين في الولايات المتحدة في تغيير هذا التقليد المسبب للفرقة إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

كان دور السياسة في الوطن الأصلي في تشكيل هذه النوادي ضئيلاً أو غير موجود إلى أن حل حكم الانتداب الفرنسي محل الأمبراطورية العثمانية البائدة في لواء سوريا السابق عام ١٩٢٠ . لم تتضاعف أعداد النوادي السياسية إلى حد واسع ملحوظ يجعل النوادي الاجتماعية تنجر إلى خلاف حول الهوية. فرنسا هي التي أطلقت الخلاف بمنحها اللبنانيين قسطاً أكبر من الحكم الذاتي، محابية الزعامة المسيحية (والمارونية بالذات) ومرسية أساس دولة لبنان المستقلة المعاصرة بالتوسع في الأراضي السورية وبضمنها الموانىء الرئيسية. حين وقف القريب ضد قريبه، والصديق ضد صديقه، راحت النوادي تناقش بشكل محموم ما إذا كانت ستدعو نفسها أمريكية سورية أم أمريكية لبنانية. فأسس المارونيون نواد فنيقية في محاولة منهم للارتباط تاريخياً بتلك الحضارة والابتعاد بلبنان وبأنفسهم عن سوريا العربية وعن المسلمين الذين كانت غالبيتهم السكانية تهدد الهيمنة المارونية.

اتخذت الصحافة العربية، التي كانت فعالة وتنافسية، من مدينة نيويورك مركزاً لها. وكان الحافز وراء تطورها هو هجرة قلة من المثقفين كان أغلبهم من خريجي المدارس العليا الدينية والعلمانية في المدن السورية. وكان من حسن الحظ والمصادفة أن يلتقي في نيويورك ناشرو الصحف والمجلات، وأغلبهم كانوا من ذوي الخبرة الضئيلة أو المعدومة في المجال الصحفي، بمهاجرين من الكتاب والشعراء العرب في علاقة تكافلية نتج عنها تشكل الانتلجنتسيا/ الطبقة المثقفة المهجرية.

كان ولع السوريين بالنشر يضاهي ولعهم بتنظيم النوادي والجمعيات. وقد ظهرت واختفت بانتظام الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية ما بين ١٨٩٢ و ١٩٣٠. إلا أن الصحافة كانت مؤثرة وساهمت بشكل ملحوظ في عملية التأمرك. وقد عملت منذ البداية على شرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة لقرائها المتعطشين، وإن جاء ذلك في صيغ مبسطة ومثالية. وربطت النجاح بـ "التأمرك"، وعلّمت وحثّت على المواطنة الصالحة. إضافة إلى ذلك، أبقت المهاجرين على اطلاع بما يجري في الوطن الأم. ووصلت إلى كثير من السوريين لأول مرة معلومات عن مجتمع، وسياسة، وتاريخ، وأدب، وثقافة العرب بشكل عام والسوريين بشكل خاص. لم يسبق لهؤلاء القراء، الذين يتكون أغلبهم من القرويين والذين تلقوا تعليماً ضئيلاً، أن عرفوا هذا القدر عن تراثهم رغم كون المعرفة تنقل إليهم عبر ولاءات طائفية. عمد الناشرون السوريون، الذين نالوا صداقة المثقفين، منذ البداية إلى استخدام صفحات مطبوعاتهم لغرض إطلاق واختبار وتطوير النتاج الأدبي المبكر لمدرسة في الأدب العربي المعاصر في الولايات المتحدة كان لها أن تحدث ثورة في الصيغ الأدبية العربية القديمة.

لم تصمد سوى ثلاث من الصحف المؤثرة العديدة خلال فترة الحرب العالمية الثانية. ظهرت في عام ١٨٩٨ صحيفة **الهدى**، التي صدرت بعد ست سنوات من صدور **كوكب أمريكا** أول جريدة عربيـــة، لتتحدث بلسان الجاليـــة المارونية. في عام ١٨٩٩ ظهرت **مرآة الغرب**: صوت الأرثوذكسيين السوريين والقوميين العرب المناوئين للعثمانيين، لتناهض ما اعتبره ناشرها انحرافاً دينياً وسياسياً يتمثل في صحيفة **الهدى**. ونطقـــت **البيان**، التي لم تصدر حتى عام ١٩١١، بلسان المسلمين والدروز رغم أن صاحبها كان درزياً.

على الرغم من تذمرها من تجزئة الجماعة، فإن الصحافة العربية قد عملت على تعميق الخلافات. إضافة إلى أنها، عندما أسست موقفها على أسس علمانية، لم تخاطب بموضوعية، فيما يصدر عنها من مطبوعات، مصالح الجمهور الواسع من القراء، مما أدى إلى تقليص حجم قرائها.

كان صدور مجلة **العالم السوري** الشهرية، وهي مجلة تُعنى بالرأي والأدب في عام ١٩٢٦، إيذاناً بإدراك الناشر لنهاية حقبة زمنية وأزمة في استخدام العربية على حد سواء. فقد كانت موجهة للجيل الذي ولد في الولايات المتحدة والذي لم يكن يقرأ العربية، وهو الجيل الذي دعاه ناشر المجلة سلوم مكرزل بالجيل الأمريكي السوري. كان قانون حصص الهجرة قد حدد دخول القراء العرب في نفس الوقت الذي عملت

فية عملية التأمرك على زوال استخدام اللغة العربية. وحلت الإنجليزية محل اللغة الأصلية بشكل مضطرد في المنازل وفي الوظائف الاجتماعية التي يقوم بها المهاجرون وأبناؤهم المتزوجون. وقد دحرت خطوات الاستيعاب المتسارعة محاولات زعماء الجالية لتعليم العربية لأبنائهم الذين كانوا من نتاج مدارس الولايات المتحدة والذين كانوا مستهلكين متحمسين لبدع الأفلام السينمائية والبرامج الإذاعية. وهكذا اضمحلت فائدة المطبوعات العربية كما اضمحلت أعدادها.

كان أبرز مظاهر عملية التأمرك واضحاً في مجال العائلة، وبشكل أهم، في دور النساء. فقد اكتسبت النساء ثقة أعظم بالنفس وإحساساً بالاستقلالية وهن يضطلعن بمسؤوليات كانت تقليدياً من مهام رب الأسرة. وقد أدت مساهمتهن المتزايدة في رفاهية الأسرة الاقتصادية ومسؤولياتهن في التنظيم واتخاذ القرار إلى الزوال التدريجي للقيود الاجتماعية التقليدية التي كانت مفروضة على النساء ـ وحدث ذلك بشكل رئيس ضمن الجالية المسيحية.

لم يمنع التأمرك السريع الآباء من أن يغرسوا بأذهان أبنائهم مجموعة من القيم التقليدية المهمة التي كانت، كما يبدو، غير قابلة للاندثار. وكان من أبرزها الروابط العائلية القوية، والتمسك بشرف العائلة، وتحسين أوضاعها، والتمسك بمعتقداتها الدينية. وقد دفعت هذه القيم الجوهرية السوريين نحو تحقيق هدفهم الأول في الولايات المتحدة، وسمحت بنشوء قيم لاحقة أثبتت انسجامها مع أهم القيم المحترمة في الولايات المتحدة، وهي: إنكار الذات والاقتصاد، والمبادرة، والثبات، والمواقف الفردية، وأخلاقية العمل المتينة. ففي تصميمه على النجاح أهمل جيل المهاجرين الحفاظ على موروثه الثقافي. وعلى كل حال، كان أغلب ما عرفه ذلك الجيل عن تراثه يتمحور حول الحياة في القرية وأساطيرها. ولم تكن غالبية المهاجرين تعرف عن المساهمات العربية الاسلامية في حضارة العالم إلا القليل. وذلك القليل الذي كانوا يعرفونه كان انتقائياً ومتأثراً بالانحيازات التقليدية.

هذه النظرة القروية للحضارة العربية جعلت أبناء المهاجرين يفتقرون إلى معرفة جذورهم التاريخية العميقة. لقد عرف القليل عن ذلك النوع من الأحداث التي تؤجج عند الأقوام الأخرى العزة القومية والعرقية، لذلك، ملىء الفراغ من بئر التاريخ الأمريكي والاساطير الأمريكية. وكان من النتائج اللاحقة لذلك أن الأجيال التي ولدت أو نشأت في أمريكا أظهرت معرفة واهتماماً ضئيلين بأصولها العرقية. كانت الاشارة إلى الثقافة السورية أو العربية تبدو بعيدة بعد موطن الآباء. ولو لم تعمل الأحداث السياسية في العالم العربي في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية على تنشيط الهجرة العربية، وحث أبناء الموجة الأولى على تبني الهوية العربية، لكان المهاجرون الأوائل قد سمحوا لخصوصيتهم أن تستوعب إلى درجة الزوال.

الأمريكيون العرب والعملية السياسية

مايكل و . سليمان

سأحاول في هذا الفصل أن أتعقب الهوية السياسية للأمريكيين العرب منذ وصولهم إلى الولايات المتحدة قبل ما يزيد على قرن من السنين وحتى الوقت الحاضر. إن مصطلح "الهوية السياسية" يشير إلى وجهات نظر، ومواقف، وتوجهات، وانتماءات الأمريكيين العرب قدر علاقته بالعملية السياسية على جميع مستوياتها محلية كانت أو إقليمية أو وطنية أو دولية. يطلق مصطلح "الأمريكيون العرب" على الأفراد والجماعات التى تتكلم العربية والتى هاجرت إلى الولايات المتحدة واستقرت في هذة البلاد. وقد كان مصطلح "السوريون" أو "اللبنانيون السوريون" هو الذي استخدم للإشارة إلى هؤلاء الأشخاص، كما استخدمه الأشخاص ذاتهم فى الإشارة إلى أنفسهم، في المرحلة المبكرة من هجرتهم إلى الولايات المتحدة بشكل خاص،[١] بعدئذ عرفوا، وعرفوا هم أنفسهم، بانهم أمريكيون عرب. إن استخدام عبارات مثل "السوريون" و "اللبنانيون السوريون" و "العرب" و "الأمريكيون العرب" لا يعني أن هؤلاء الناس شكلوا أو أنهم يشكلون الآن جماعة متماسكة. فالواقع أن الغرض من هذا الفصل هو تتبع التطور (أو الانتكاسات) في مسيرة البحث عن هوية وعن إحساس بالجالية بين العناصر المتنوعة التي تضمها الجماعة. لكن هذة المصطلحات، بما فيها كلمة "الجالية"، ستستخدم كمجرد إشارات مختزلة إلى الجماعة الناطقة بالعربية، مع محاولة محددة للتوصل إلى تعريف مناسب.

إن المعرفة المتوفرة عن النشاطات والتوجهات السياسية للمهاجرين العرب الأوائل إلى الولايات المتحدة هي معرفة عامة في أفضل حالاتها، وناقصة وغير دقيقة في أغلب الأحيان. إن النظرة التقليدية المستندة إلى المقابلات الشفوية، والمصادر الثانوية، وبعض الروايات الشخصية تقدم صورة لجالية خامدة إما بسبب عدم الاهتمام بالسياسة أو الخوف من نتائج التحدي القوي للسلطة المكرسة ـ حتى في الأجواء الحرة والديمقراطية

---

١ . مع هذا، لم يكن هناك أبداً اسم محدد واحد يستعمل بشكل ثابت وحصري لوصف الأمريكيين المتحدثين بالعربية ولم يكن من غير المألوف دعوتهم بالعرب Arabs أو Arabians. انظر مثلاً "Arabian Colony" في مجلة Detroit Journal، ٢١ تموز ١٨٩٧، ٣.

في الساحة الأمريكية. إن تلك الصورة ليست دقيقة تماماً. مع هذا، ستتناول دراسة لاحقة السرد المفصل للنشاطات السياسية للأمريكيين العرب الأوائل، أما بالنسبة للوقت الراهن، فسيقدم القليل من الملاحظات غير النهائية المستندة إلى مراجعة سريعة، وإن كانت واسعة نوعاً ما للمصادر الأولية.

١ ـ من سبعينات القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى، فكر العرب فى الولايات المتحدة بأنفسهم على أنهم موجودون في مجتمع الولايات المتحدة والكيان السياسي ، وليس كجزء منه.

٢ ـ حتى الحرب العالمية الأولى، كان المهاجرون العرب في الولايات المتحدة يشكلون جماعة جوالة مؤقتة الإقامة، ينحصر الاهتمام الأول لأفرادها بتحسين أوضاعهم المالية وخصوصاً التجميع السريع للثروة بهدف تأمين حياة مريحة ومركز اجتماعي مرموق في البلد القديم. نتيجة لذلك، كانت مشاركتهم في مجتمع الولايات المتحدة، باستثناء موقع العمل، ضئيلة عن وعي وقصد، إن لم تكن معدومة فعلاً. وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم "النزالة" (أي المسافرين أو الضيوف) أو "السوريين" أو "العثمانيين" وكل هذة العبارت تشير إلى وجود مؤقت في الولايات المتحدة و/أو علاقة غير علاقة المواطنة.

٣ ـ حتى الحرب العالمية الأولى، عكست السياسة لدى الأمريكيين العرب السياسة في الوطن الأم الأصلي وقلدتها في مادتها وأسلوبها. بكلمة أخرى، اعتبر أعضاء الجماعة، بشكل عام، أنفسهم وتصرفوا كما لو لم يكونوا مواطنين للولايات المتحدة بل رعايا السلطات العثمانية التى تحكم أوطانهم الأصلية. وكان الفرق الوحيد هو كونهم بعيدين عن تلك الأوطان بشكل مؤقت.[٢] في حين أن هذا الإحساس بحد ذاتة يشكل اختلافاً كبيراً فان مضامينه لم تتضح لهم إلا بالتدريج وبشكل غير كامل.[٣] والأكثر من ذلك، فإن اليقظة المباغتة وإدراك أنهم لم يكونوا تحت سيطرة سادتهم القدامى، على الأقل ليس بشكل كامل، بدأ بإحداث تغير جوهري في علاقتهم بالسلطات العثمانية.

كالعادة فى مثل هذة الحالات، فإن ردة فعل أولئك الرواد من المستوطنين العرب لم تكن موحدة ولا متماثلة. ثم تنوعت أكثر بمرور الزمن . وهكذا أعلنت "كوكب أمريكا" ، وهى أول جريدة ناطقة بالعربية تأسست في الولايات المتحدة عام ١٨٩٢ لتلبي حاجات الجالية، في عددها الأول دعمها المطلق للسلطان العثماني الذي عددت بالتفصيل فضائلة المثالية، والذي ابتهلت باخلاص بأن يتمتع بالصحة الجيدة والعمر المديد.[٤] وقد كان هذا، في الواقع، ثناءً هائلاً خصوصاً وأنه صادر عن الأخوين نجيب نجيب وابراهيم أربيلي اللذين يقال أن عائلتهما هربت من سوريا لكي تتجنب افتراءات

---

٢ . كتبت الهدى مخاطبة رفاقها "السوريين" تقول: "ستظلون مستوطنين في أرض غريبة. تذكروا بأنكم عثمانيون". ٢٣ أيار، ١٨٩٩، ٢٠.

٣ . يمكن العثور على مثال جيدا جداً لمحاولة توعية الجالية الأمريكية العربية بقيم الحرية (بما فيها حرية الكلام) في الولايات المتحدة مقابل الاستبداد تحت حكم العثمانين في مقالة بعنوان "ما ندعوه جريمة ، يدعونه فضيلة". **الأيام** ٢٩ آذار ١٩٠٠، ٤ ـ ٥.

٤ . في الواقع كان الأخوان أربيلي قد عزما على البدء باصدار **كوكب أمريكا** في"عيد ميلاد سلطاننا =

"الأتراك الشنيعين" وارهابهم غير المحتمل. ٥ وقد كان على جميع الصحف الأخرى التي تأسست فيها بعد أن تحدد بطريقة أو بأخرى موقفها من (إن لم يكن علاقتها بـ) السلطات العثمانية. فقد شعرت، بإحساس حقيقي جداً، بأن هذا الموقف إلزامي على الأقل بسبب اعتقاد قرائها، سواء كانوا حاصلين على الجنسية الأمريكية أم لا، بأنهم ما زالوا سوريين في حالة ابتعاد مؤقت عن الوطن، أي إبتعاد مؤقت عن حكامهم العثمانيين. إضافة إلى قلقهم من احتمالات الثأر من أقاربهم الذين ظلوا فى سوريا ـ أو منهم شخصياً فيما لو حاولوا العودة فى زيارة. ٦ كما أن الحكـام العثمانيين استخدموا السلاح الاقتصادى فى استخلاص الولاء أو معاقبة المعارضـة. كان الكسب الاقتصادي، فى الواقع، التهمة التى لجأ إليها المحررون والناشرون في الصحف الناطقة بالعربية فى الولايات المتحدة عند محاولة النيل من خصومهم الشخصي. كما أن هؤلاء المحررين والناشرين، بإنكارهم وجود مصلحة خاصة لهم بالكسب الاقتصادي، كانوا يؤكدون وطنيتهم "السورية".

فى الوقت الذي كانت فية **كوكب أمريكا** موالية للعثمانيين، على الأقل فى بداية صدورها (إذ لا يوجد سجـل متوفر للجريدة لما بعد عام ١٨٩٦)، فإن **الأيام** كانت، بشكل واضح وصريح، من أعتى معارضي السلطات العثمانية، وهو الدور الذي شاركتها فية فيما بعد صحيفة **المشير**. فقد هاجمت **الأيام** بضراوة في مقالاتها الموقعة وغير الموقعة، وفى تغطياتها الإخبارية، وفي افتتاحياتها، قسوة واضطهاد وفساد ونذالة الحكام الأتراك، في اسطنبول وسوريا على حد سواء، وفى جبل لبنان على وجة الخصوص. والأكثر من ذلك، قامت بالدعوة إلى العصيان وشجعت الحركات والأشخاص العاملين على الإطاحة بالطغاة الأتراك. ولم تكل عن تذكير قرائها بثمار الحرية وحثهم على ممارسة حقوقهم فى الولايات المتحدة من أجل الدعوة إلي تحقيق الحرية والديمقراطية فى وطنهم الأصلي. وقد جاء موقف الصحف الأخري ، وبضمنها صحيفتا **الهدى** و**مرآة الغرب**، متوسطاً بين هذين الموقفين المتطرفين في التأييد التام أو المعارضة الحادة ورفض الحكام العثمانيين.

لم تكن الصحف العربية والكتب الصادرة عن مطابعها تصوغ مواقف وآراء العرب في الولايات المتحدة بقدر ما كانت تعكسها. وبعبارة أخرى، كانت للأفراد والجماعات المتحدثة بالعربية فى الولايات المتحدة هويات مركبـة. وتحـت هذة الظروف، ترك كثيرون، إن لم نقل الأغلبية، للظروف والفرص أن تملى عليهم مواقفهم سواء كانت مع العثمانيين أو ضدهم. إلا أنهم، وفي معظم الأحيان، احتفظوا بآرائهم لأنفسهم خوفاً

= العظيم " إلا إن تأخر وصول المطبعة العربية أعاق الخطة. **كوكب أمريكا**، ١٥نيسان١٨٩٢، ١ القسم العربي. مع ذلك فقد واصلت عائلة أربيلي مدح الحاكم العثماني: "من بين جميع السلاطين الذين جلسوا على عرش الامبراطورية العثمانية، لم يحرز أحد نجاحاً أكبر مما أحرزه "أمير الإيمان الأعظم" الحالي عبد الحميد في مجال رفع الشعب العثماني إلى موقع أرقي بين شعوب الأرض المصدر السابق، ١، القسم الإنجليزي.

٥ . **نيويورك تايمز** ، ٢٣ آب ١٨٧٨، ٨.

٦ . **الهدى**، ٢٣ أيار ١٨٩٩، ٢٠.

من الردود غير المرضيـة. وعلى أية حال، فإن معظم العرب فى الولايات المتحدة تركوا مـذاهبـهـم الدينيـة وصـحـافتهم تتحدث بالنيابة عنهـم، إما لأن معتقداتهم البارزة كانت طائفيـة أو لأنهم وجـدوا فى الطائفيـة بدلاً مقبولاً لمخاطر الانتماءات السياسية الواضحة والصريحة.٧

٤ ـ حتى الحـرب العـالمية الأولى، وجد العرب في الولايات المتحدة أنفسهم في وضع غير عـادي لا يحسـدون عليه . فلو حدث أن أعارهم الأمريكيون الأوربيون أي اهتمام، فـأن ذلك سيكون في إطار مـزيج من الشـفـقـة والازدراء والرفض المطلق. فـقـد كـانوا يـعـتبرون مـقلقين للراحـة في أحـسن الأحـوال، وتهديداً لنقـاوة العنصر الأبيض والنظام العـام والأخـلاق فى الولايات المتحـدة في أسوأها.٨ وتحت ظـروف كـهذة، كيف يمكن "لـلنزالة" أن يردوا؟ مـرة أخـرى لم تكن هنالك وحـدة فى الرد. فما دام هدف الجماعـة الرئيس هو البـقـاء تحت ظروف مـعـقـولة، فإن الاخـتـلافـات كـانت تنشأ حول أفضل الطرق الموصلة إلى هذا الهدف الأدنى.

أحـد المـواقـف التى كـانت سائدة فى الفترة المبكرة كـان فى الانصراف إلى العـمل في تحـصيل النقود مع أدنى حد من التفاعل الممكن مع الأمريكيين الأوروبيين بهدف تجنب أية مـواقـف قـد تتـضـمن احـتمالات الاحـراج أو التـهديد. بكلمة أخرى، كان أعضاء الجماعـة يذكـرون بشكل مـتكرر بأنهم ضـيـوف في أرض أجنبـيـة وأن عليـهـم أن يحسنوا التصرف لكي لا يزعـجـوا المضـيـفين. وهذا يعنى، على صـعـيـد التنفـيـذ، أن يلتـزمـوا بالقـوانين، وأن يعـيـشـوا حـيـاة أخـلاقـية طيبة، وأن يتجنبوا قيام نسائهم اللائي يعملن كـبـائعـات مـتـجـولات بالبـقاء بعيداً عن المنزل في الليل (حيث أن العمل يقود حتماً إلى التـقـولات المشينة ويشكل مصدراً للإحساس بالحرج والعار من قبل الجالية ككل)، وأن يتـجنبـوا الاسـتـجـداء أو المبـالغـة في الأسعار التى يطلبونها لبضائعهم عندما يعملون في التـجارة، وأن لا يسمحوا لخلافاتهم الداخلية بأن تأخذ شكلاً عنيفاً أو علنياً مما يستدعي تدخل الشرطة. وباخـتـصـار، كانت معظم التوجيهات بصيغة النهي: "لا تفعل هذا ولا تفعل ذاك".

بحلول الحـرب العـالميـة الأولى، أخـذ مـوقف أكثر تأييداً للاستيعاب يكتسب القبول شـعـوريـاً ولاشـعـوريـاً، وتحـول إلى تـوجـه طاغ. ولم يكن الدفع باتجـاه الاسـتـيـعـاب إيديولوجـيـاً أو مـدروسـاً. كـان مجرد اقتراح يرمي إلى أن يكف العـرب عن الإحساس بأنهم دخـلاء في الولايات المتـحدة. اقترح مؤيدو هذا الموقف أن يقوم "النزالة" بمساهمة إيجابيـة في الولايات المتـحـدة لإظهار الامتنان عن الفوائد التى جنوها نتيجة وجـودهم في هذا البلد. وقـد حث المستوطنون العرب على التطوع في القوات المسلحـة في الولايات المتـحدة للقتال في كوبا (ولاحقاً في الفيلبين) في الحرب الإسبانيـة الأمريكيـة. وقد دعا

٧ . للتعليق على الصحافة والطائفية، أنظر "صحافتنا"، الهدى ٢٩ آذار ١٨٩٨، ٤ ـ ٦.

٨ . أنظر مـثـلاً إدوارد كورسي، في ظل الحريـة (نيويورك، مكميلان، ١٩٣٥)، ٢٦٥ ـ ٣٦٦. حول مسألة العنصرية نحو الأجانب، بما فيهم أولئك الذين من المنطقة العربيـة، أنظر بول و . مَك برايد، صدام ثقافي: مهاجرون ومصلحون، ١٨٨٠ ـ ١٩٢٠ (سـارتوجا، كاليفورنيا : مراكز بحث ر و إي . ١٩٧٥).

البعض إلى تشكيل فوج سوري لهذا الغرض.٩ وبحلول الحرب العالميـــة الأولى، قام أعـضـاء "الـنـزالـة" الـعـرب بإظهـار ولائهم والتـزامـهـم بالولايات المتـحـدة عن طريق الانخـراط بأعداد كبيرة في القوات المسلحـــــة. قدرت نسبة المنخرطين منهم بـ٧٪ من مجموع نفوس الجالية وقد كانوا (وما زالوا) فخورين جداً بهذا الإنجاز. ١٠

٥ ـ حتى الحرب العـالميـة الأولى، كـان النشـاط السياسي الرئيسي للجماعة العربية محصـوراً داخل الطائفـة والجماعـة. بكلمـة أخرى، كان التنافس ينصب على استعراض ولاء المرء واعـتـزازه وتمجـيـده لطائفـتـة، مصحوباً، في الغالب، بالطعن بزعماء الطوائف الأخـرى والسـخـرية منهم، خصوصاً زعماء تلك الطوائف التى تعتبر من القوة أو الكثرة بحيث تهدد تفـوق الطائفـة التى ينتـمى إليها. وقد عبر هذا التنافس عن نفسه بأشكال مختلفـة تتـوقف على الظروف. وبناء على ذلك ، شكّل الدعم الحـالي الذي يقـدمة الفرد لكنيسـتـه، خـصـوصـاً في الفترة المبكرة، عنصراً رئيسـاً في رضى وأعـتزاز زعماء الجالية. وكـان من مـصـادر الرضى الأخـرى أن يتـبـارى الفـرد مع الأفـراد الآخـرين من اتباع الكنيسـة نفسـهـا في اسـتـضـافة زعماء الطائفة الزائرين وأن يقرن ذلك باستعراض باهر للبـذخ والثـراء. وبكلمة أخرى، فإن الاحترام والدعم اللذين يكالان للزعماء الدينيين لم يكونا لدوافع دينيـة أو طائفـيـة إنما كـانا لدوافع سيـاسـيـة ـ وقد تكون هذه الدوافع هي الأهم. وهكذا كـانت الطائفـة، بالنسبـة للمـهـاجـرين العرب الأوائل، بديلاً وتجسيداً للجماعـة، والوطن والأمـة ـ كما أن الشـخـصـيـات الدينيـة أدت دوراً مـزدوجـاً كـرمـوز للجـاليـة وزعماء للأمـة. وبشكل لا يختلف عما كـانت علية الحال في المجال السياسي في جبل لبنان ثم في الجـمـهـورية اللبنانيـة لاحـقـاً، انقسمت كل طائفة، في الغالب، إلى فـرقـتين تتنازعـان الزعـامـة في تلك الطائفـة. كما أن كل طائفة كانت تتبارى وتقاتل من أجل مـوقع الزعامـــة غير المحدد على جميع الطوائف "السوريـــــة". وبشكل يذكر المرء بالقـبـائل العـربية الأولى، حيث مجد شعراء القبائل الكبار جماعتهـــم وحـطوا من شأن جميع المنافسين الآخـرين، قامت صحـــــــف ومطابع المهاجرين العرب الأوائل بتـقليـد دور شـعـراء القبائل. ومن هنا، كان مهماً أن يتم تأسيس **الهدى** لخدمــــــة المارونيين مـا دامت **كوكب أمريكا** يملكهـا شـخص من الارثوذكسيين الإغريق، وبرغم الجـهـود الـفـائقـــــة التى بذلها الوسطاء ودعـاة السـلام، فإن التنافس داخل الطائفة الواحدة والتنافس بين الطوائف قـد اسـتـعـصى على الاحتواء والسيطرة وأدى إلى معارك طائفيـــة استعملـــت فيهـا، في بعـــض الأحيان، القبضـــات، والمدي وحتى

---

٩ . أنظر المقـالات المتنوعـة في الصـحـافة العربية، خصوصاً **الأيام** وبالأخص منهـا تلك التي كـتبها غـابـريـيـل و. وارد الـذي أعـاد تـكرار هذة الآراء في كـتـابـــه بالعـربيـــة: الجندي الســوري في ثلاث حـروب (نيويورك: المطبعة السورية الأمريكية، ١٩١٩) باللغة العربية .

١٠ . نفس المصـدر؛ أنظر أيضاً فـيليب حـتي: الســوريون في أمـريكا (نيـويورك: جورج هـ دوران، ١٩٣٤)، ١٠٢. وانـظر أيضـاً نداء أمين الريحاني القـوي الحـاث لزمـلائه العـرب للانضمام إلى قـوات الولايات المتـحـدة في الحرب العالميـــة الأولى، "إلى السوريين في الحربية" ،أعيد نشرها في سوراقيا، ٥ آذار ١٩٩٠، ٢٠ ـ ٢١.

الأسلحـــــة النارية. ١١

٦ ـ لقـد أثرت الحـرب العالمية الأولى على المستوطنين العرب في الولايات المتحدة بطرق عـديدة، فـقـد قطعت الجماعـة عن أهلهـا في أرض الوطن، وتبـعاً لذلك فاقمت شعور أفـرادها بالانفـصـال والعـزلة وعززت إحساسها بالتضامن كجالية. إضافة إلى أن وسائل الاعـلام في الـولايـات المتـحـدة أكـدت، كما هو مألوف في مـثل هذة المناسـبـات، على القـومـيـة، والوطنيـة، والخدمة العسكرية لغرض تهيئة الجمهور لمشاركة الولايات المتحدة في الحـرب الدائرة في أوربا ـ حـرب كـانت تشن، أيضـاً، ضد النظام العثماني المكروه. وقـد عـزز هذان العـامـلان الاتجـاة الاستيعابي ـ وهو اتجاه كان قد ترسخ بالفعل على يد أبناء أولئك المهـاجـرين العرب الذين ولدوا في الولايات المتحدة.

أصـبح الانفـصـال عن أرض الوطن كـامـلاً تقـريـبـاً باعـتـماد الولايات المتحدة أنظمة حـصص بالغـة التـقنين للهـجرة في العشرينات، وقد وضعت تلك الأنظمة حداً لوصول الأعـداد الكبيرة من "سوريا" وحددت حجم الجالية.

أصـبح العرب في الولايات المتحدة، بعد الحرب العالمية الأولى، جالية أمريكية عربية بحق. فـقـد أدركـوا أن مـا من عـودة إلى الوطن ثانيـة مـهما كـانت رغبة الكثيرين منهم بالعـودة. هذا لا يعني أن هذا القـرار قـد تم قـبـوله بالإجماع أو أن قـبوله قد تم بشكل مـتـوازن. إلا أنـه يـعـنـي أن فـكـرة اتخاذ الولايات المتـحـدة وطناً دائماً لهم قـد حظيت بتمحيص جاد ـ بكل ما يجره ذلك عليهم وعلى أبنائهم. ١٢ وفي مجال السياسة، أخذت النشـاطات والتكيفات التالية تعلن عن نفسها أو توضع موضع التنفيذ:

١ ـ أصـبـحت النزاعـات الطائفـيـة (الدائرة ضـمن الطائفة الواحدة أو بين الطوائف المختلفة) أقل عدداً وأخف حدة.

٢ ـ أصـبحت النداءات الداعية إلى وحدة عناصر الجالية المختلفة تحظى بامتثال أكبر. ولم تعـد تلك الشـعـارات الفارغة التى كان اللجوء إليها يتم في الماضي عندما كانت تشير إلى بدء الحـمـلات الشـقـاقية التى يستخدم مثيروها ذلك التكتيك لتبرئة أنفسهم وتحمل المعـارضين جـريرة الانشـقـاق. وكانت تلك هي الفترة التى شكلت فيها النوادي اللبنانية السـورية المخـتلفة الاتحادات الاقليمية (الجنوبى، والشرقى... الخ) والاتحاد الوطنى. ١٣

٣ ـ اجـتـمع الانتـبـاه القـوي إلى الولايات المتـحـدة بصفتها الوطن المتبنى مع عملية تـسـيـيس كـانت غير كـاملة، لكنهـا محسـوسـة فى الولايات المتـحـدة. بدأت العـمليـة بالتـصـويت، والانتماء للأحزاب، والخدمات السياسيـة والعامـة على مستوى المنطقـــة أو

---

١١ . انعكس الشـجـار الطائفي بشكل دائم على صـفـحـات الجـرائد الأمريكية العربية المختلفة. وفي نهاية صيف عام ١٩٠٥ أصـبح النزاع ضـمن الجـاليـة العربية في نيويورك عنيفاً وعلنياً. أنظر إلى بعض جوانبة في New York Daily Tribune خصوصاً العدد الصادر في ٢٨ آب ١٩٠٥، ٥.

١٢ . ربما كان في باب التحسب لهذا التأمرك أن قام سلوم مكرزل بتأسيس مجلة ناطقة بالإنجليزية عام ١٩٢٦ صدرت باسم The Syrian World. وهي مجلة خـصـصـت تغطية كبيرة لقضية الاستقرار الدائم في الولايات المتـحدة ـ وما يتأتى عنها من مشاكل وتحديات.

١٣ . اعـتبرت مجلة The Syrian Voice، التي صـدرت في الثـلاثينيـات، نفسها الناطق الرسمي باسم الاتحادات المختلفة. أنظر عددها لشهر شباط، ١٩٣٧، ٤.

الـولاية. كما شـهـدت مناطق مختلفـة من البـلاد نشـوء النوادي السـورية الديمـقـراطيـة والجـمـهـورية. وبازدياد مـشـاركـة المهاجرين العرب في سياسة الولايات المتحدة، خفت حـدة التنافس والنزاع على الزعـامـة داخل الجـاليـة العـربية. وهكذا تغيرت حلبة المنافسة السـياسية بتحول الجالية العربية إلى جزء من الكيان السياسي للولايات المتحدة.

٤ ـ أصـبـحت الطائفـة أكثر وأقل انتقائية في الوقت ذاته بظهور حملة تهدف إلى تغيير اسم الجـاليـة ونواديها وجمعـيـاتها وكنائسـهـا ونشاطها السياسي من السورية إلى اللبنانية. ولدى تأسيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦، حثت جميع الطوائف والفـرق على الاتحاد واستخدام الهوية الصحيحــة، والمقصود بها الهويـة اللبنانية بدلاً من السورية.١٤ وقد كـانت الحـركـة مـارونيـة التـوجه وحملت تهديداً بابعاد جميع الأعضاء الذى تقع أماكنهم الأصليـة خـارج حـدود لبنان الجديد عن الجالية "السورية" التي أصبحت بذلك الوقت راسخة البنيان.

٥ ـ كـان هناك تغير تدريجي لكنـــه تغير واضح نحـو الأفل على مـستوى الأسلوب (بالمقـارنة بالجوهر). بناء عليه، شهدت المرحلة المبكرة جداً غياب السياسة بشكل يكاد يكون تاماً كنوع من اتجاة لم يكن فـيـة أي مجال لحلول وسط أو لبحث عن ما هو ممكن (بدلاً من تقـديم الهدف المثـالي). لذلك، تحـولت النزاعـات بسرعة الى انشقاقات كاملة ومطلقـة بين أي فئتين. وتبع ذلك أن اعتبر أعضاء كل جماعة أنفسهم محتكرين للصواب في حين يمـثل المعـارض الخطأ والضـلال الكامل. من الواضح أن الزعـامـة اعـتبرت إما تجسـيـداً للخير أو ذروة للشر. وتحت ظروف كـهـذة، كـانت اللغـة المستخدمة لوصف جماعـة المرء، أو مـعـارضـيـه في الغـالـب، مـتطرفـة ومنحـازة وملتـهـبـة ومـزدرية وغير متحضرة.١٥ بحلول الثـلاثينات، أصبحت النزاعات أقل عدداً وأقل خصوصيـة لكن لم يكن كـذلك بالكامل)، وأصـبـحت اللغـة أقل عـدوانيـة أو على الأقل صارت عدوانيتها تظهر في مناسبات أقل من ذي قبل.

٦ ـ وباسـتـيـعـاب الجـالية العربية وتأمركها، بدأت بالسعي من أجل تحسين صورتها وصـورة أهلهـا في الوطن القـديم. وبذلت جـهـود أكبر من أجل حملات تهدف إلى توعية مـواطني الولايات المتـحـدة والجـاليـة العـربية نفسها بالعرب والتراث العربي الغني. وفي الميـدان السـيـاسي، كـانت هناك أيضـاً جـهـود عـديدة، وأحياناً، مهمة لحمل الولايات المتـحـدة على دعم مـواقف السـيـاسـة الخارجية التى تتبناها الجالية العربية وخصوصاً فيما يتعلق بفلسطين.١٦

١٤ . كـان أفـصـح المـعبرين عن هذة الفكرة هو ن. م. مكرزل الذي تزعم قـضـيـة لبنان واللبننة في صحيفة **الهدى** وفي خطابات ألقـاها عبر الولايات المتـحـدة وإجـزاء أخرى من المهجر. وربما كان قرار **الصوت السوري** بتـغيير اسمها إلى **الصـوت السوري واللبناني** في نهاية الثـلاثينـات استجابة لهذا النوع من الضغط.

١٥ . أنظر، بشكل خاص، هجمات عائلة أربيلي في جريدة **الأيام** خلال عام ١٨٩٩.

١٦ . كان تأسيس معهد الشؤون الأمريكية العربية في مدينة نيويورك في١٩٤٥ انعكاساً لاهتمام الجالية العـربيـة بمـصير فلسطين وقـد مـثل الجهد المنسق لأعضاء الجالية من أجل القيام بعمل بناء بخصوص الدفـاع عن القـضية الفلسطينية وتوعية الأمة بها. وقد علق المعهد نشاطاتـه مؤقتـاً في كانون٢ ١٩٥٠. انظر **نشرة الشؤون الأمريكية العربية** ٥، عدد ٧، ١٥ كانون٢، ١٩٥٠.

توجهات ما بعد الحرب العالمية الثانية

بحلول الحرب العالمية الثانية، كانت الجالية الأمريكية العربية قد استوعبت واستقرت. وقد شهدت بعض المجالات في الواقع، مثل قطاع الكنيسة العرقية والمتكلمة بالعربية، اندماج الجالية العربية بمجتمع الولايات المتحدة بشكل يكاد يكون كاملاً، كما شهدت ضعفاً كبيراً في العرقية العربيـــة بل قاربت على الزوال.١٧ وقد صاحب ذلك أن الهوية السياسية للجالية العربية، باستثناء الاهتمام بقضية فلسطين والنشاط الإعلامي المتعلق بها، قد أصبحت أمريكية بالكامل، بمعنى أنها حتى لم تعد هوية أمريكية عربية مركبة.

إلا أن عوامل عدة تدخلت لتحدث انقلاباً جوهرياً وكبيراً في الموقف المشار إلية أعلاه. أولاً، نتج عن إجتزاء فلسطين وقيام دولة إسرائيل تشريد مئات الألوف من العرب الفلسطينيين الذى صاروا يصنفون كلاجئين. وكان بعضهم على الأقل مستعداً للبحث عن وطن بديل، حتى ولو كان مؤقتاً، لغرض التخلص من وضعهم البائس وتحسين أحوال أسرهم. وهكذا وجدت أعداد كبيرة من الفلسطينيين طريقها إلى الولايات المتحدة منتقلة من اسرائيل أو من الأقطار العربية التي لجأت إليها.

ثانياً، نجم عن حالة الاضطرب التى عرفتها المنطقة العربية نتيجة النضال من أجل الاستقلال، وعدم الاستقرار الذى أعقب الاستقلال، والحروب الاقليمية، والنزاعات الداخلية، إضافة إلى ظهور التيارات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية، نجم عن كل ذلك نشوء مجموعة جديدة من المثقفين والاختصاصيين ذوي الثقافة العالية الذين كانوا يعانون من عدم الرضا ممن كانوا على استعداد للبحث عن حياة أفضل فى أي مكان. كان الكثير منهم قد جرب الحياة الطيبة في الولايات المتحدة أثناء وجودهم فيها لإكمال دراستهم العليا. بناء على ذلك، استفادت هذة المجموعات من الفرصة التى أتاحها قيام الولايات المتحدة بتغيير قوانين الهجرة وجعلها أكثـــر انفتاحاً فقامـــت بالهجرة إلى هنا.١٨

كان المهاجرون العرب مختلفين بشكل واضح عن القادمين الأوائل. فقد كانت من الأغلبية الكبري من العرب الذين جاؤوا إلى الولايات المتحدة في الخمسينات والستينات طلاب الجامعات (الذين مكث الكثيرون منهم في الولايات المتحدة وتحولوا إلىمواطنين) أو أعضاء في النخبة المتعلمة في بلدانهم الأصلية. كما أنهم جاؤوا بصفة "مهاجرين" ساعين عن وعي إلى بدء حياة جديدة في هدة البلاد. وكانوا يعانون من الإحباط والامتعاض من حالة عدم الاستقرار وفقدان فرص التقدم في أوطانهم. إلا أنهم ظلوا متمسكين برؤية لحياة أفضل لأوطانهم وشعبهم و/ أو للأمـة العربيـة بشكل عام. وقد

---

١٧ . يمكن العثور على الجدال والمناقشات التى دارت حول استخدام اللغة العربية أو عدم استخدامها في الولايات المتحدة في أعداد مختلفة من **الصوت السوري**. وقد ناقش التأثير الأمريكي على الكنيسة العرقية العربية فيليب م. كيال وجوزيف م. كيال في **اللبنانيون السوريون في امريكا: دراسة في الدين والاستيعاب** (بوسطن توين بيلشرز، ١٩٧٥).

١٨ . يمكن العثور على أوجه استنزاف العقول العربية، بما في ذلك هجرة الاختصاصيين العرب إلى الولايات المتحدة لدى أ. ب. زحلان، محرر تفريغ العقل العربي (لندن: مطبعة إثكا ١٩٨١).

احتاجوا إلى فترة من الوقت قبل أن يجدوا الشجاعة الكافية للانخراط في ميدان العمل السياسي في الولايات المتحدة لخدمة القضايا التى كانوا يؤمنون بها، وقد اقترنت الشجاعة بالفعل نتيجة حرب ١٩٦٧ وما نجم عنها من كارثة عسكرية عربية.

رسمت الحرب العربية الاسرائيلية في عام١٩٦٧، التى بدأت بضربة جوية اسرائيلية مباغتة ومدمرة شلت القوات العربية وهزمتها بشكل يكاد يكون فورياً، خطاً فاصلاً في حياة الجالية الأمريكية العربية وأثرت عليها تأثيراً كبيراً. حينذاك كان الجيل الثالث من أبناء المهاجرين العرب الأوائل قد أخذ يعي هويته الخاصة التى لم ينظر إليها بصفتها "سورية"، بالمعنى القديم، بل بصفتها "عربية". وهكذا تضافرت عناصر من هذا الجيل الثالث مع المهاجرين الجدد ذوي الحنكة السياسية للعمل من أجل جاليتهم العرقية وقضايا شعبهم فى الأوطان القديمة. كانت النتيجة تأسيس "رابطة خريجي الجامعات من الأمريكيين العرب AAUG في أواخر عام ١٩٦٧. وكانت الرابطة أول منظمة قومية، غير طائفية، جديرة بالثقة، تؤسس في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية سعياً لتمثيل العناصر المختلفة في الجالية الأمريكية العربية وتطوير توجه عربي (مقابل التوجهات الأقليمية والوطنية). ومن المهم التأكيد على أن معاداة العرب ومفهوم العروبة في الولايات المتحدة كانت من الحدة والانتشار بين أفراد الجمهور وصانعي السياسة، على حد سواء، إلى درجة جعلت الرابطة تعتبر محاولة التأثير على السياسة العامة أو العملية السياسية أمراً لا طائل من ورائه. بكلمة أخرى، كان الحزبان الديمقراطي والجمهوري قد وقفا صفاً واحد في تأييدهما الكامل والثابت لإسرائيل وفي معاداتهما للعرب ـ رغم ما تملكة الولايات المتحدة من أرصدة اقتصادية وعسكرية فى المنطقة وما يربطها من علاقات الصداقة الوثيقة بمعظم زعماء دول العالم العربي. وبصفتها منظمة ذات قضية واحدة تتبنى آراء مخالفة ومعارضة، سعت الرابطة إلى الترابط مع غيرها من الجماعات والأفراد الذين يعيشون وضعاً مماثلاً، أو إلى الحصول على تأييد هولاء الأفراد والجماعات. كان من بين هؤلاء عدد قليل من السياسيين أمثال السناتور وليم فولبرايت وغيرهم من الذين امتلكوا الشجاعة الكافية لإعلان انتقادهم لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وجماعات من الأقليات الأخرى أو من المجموعات المتحررة في مجتمع الولايات المتحدة، إضافة إلى المثقفين الذين بدأوا بانتقاد النظام وسياساته.[١٩]

كانت المهمة الأولى والرئيسية للرابطة هي البدء في العملية الطويلة والشاقة والمستمرة الرامية إلى تهيئة المعلومات الدقيقة عن العالم العربي وعن العرب في الولايات المتحدة، والسعي إلى توزيع هذه المعلومات على الجمهور العام حيثما توفرت الوسيلة. كما أنها سعت إلى توعية الشعوب والأقطار العربية بالطبيعة الحقيقية للمشاكل التى تواجة المنطقة، وتوعية المثقفين العرب والزعماء السياسيين بسياسات الولايات المتحدة وبالعملية السياسية في هذة البلاد. وفي سعيها إلى التوعية والتثقيف بشكل رئيسي،

١٩ . للاطلاع على تفاصيل معاناة بعض الأفراد والجماعات على أيدي اللوبي الإسرائيلي، أنظر: بول فندلي: They Dare to Speak Out (Westport, Conn. : LawrenceHill, 1985)

قامت الرابطة بتأدية مهام أخرى مدفوعة بعدم وجود منظمة أخرى يمكن أن تؤديها. ومن بين المهام التى كرست لها الرابطة أجزاء صغيرة من وقتها وجهدها كان: الضغط السياسي، ومهاجمة أعمال التشهير والتمييز ضد العرب وضد الأمريكيين العرب وحث الأمريكيين العرب على المشاركة في السياسة. هذه المهام الاضافية التى أدتها الرابطة أصبحت، فيما بعد، من اختصاص منظمات لاحقة. حيث تأسست الرابطة القومية للأمريكيين العرب NAAA عام ١٩٧٢ للعمل كمجموعة ضغط سياسي للدعوة إلى الدفاع عن القضايا والمصالح الأمريكية العربية. ورداً على استمرار الهجوم على العرب والأمريكيين العرب والتنديد بهم، تأسست عام ١٩٨٠ لجنة مناهضة التمييز العربية الأمريكية ADC التى سرعان ما حصلت على الدعم الواسع من مختلف عناصر الجالية العربية. ثم تأسس في عام ١٩٨٥ المعهد الأمريكي العربي ليشجع، بشكل رئيسي، الأمريكيين العرب على المشاركة وبفاعلية أكبر في الميدان السياسي في الولايات المتحدة.

الهوية السياسية الأمريكية العربية اليوم

من أجل تحديد وتقييم الهوية السياسية للأمريكيين العرب اليوم، وضعت قائمة تضم حوالى أربعمائة شخصية أمريكية عربية ناشطة سياسياً. وقد جمعت القائمة من مصادر مختلفة[٢٠] تم الحصول على ١٦١ إجابة مفيدة من مجموع ٣٩٤ استمارة استبيان أرسلت بالبريد.[٢١] وينبغي أن يلاحظ بوضوح أغلبية الأمريكيين العرب الناشطين سياسياً اليوم هم نتاج حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية في أحاسيسهم واختصاصهم، وأسلوبهم كما سيتضح ذلك في ما يلي:

شكلت نسبة الذين تبلغ أعمارهم الخمسين أو أقل ٥٥٪ من مجموع المستجيبين،

---

٢٠ . لأغراض الدراسة يشير اصطلاح **الناشطين سياسياً** إلى الأفراد الذين يشاركون في النشاطات السياسية التالية: النشاط الجماعي التطوعي على مستوى المحلة أو المدينة أو الولاية أو على المستوى الفدرالي، اشغال المناصب الحكومية على أي مستوى كانت انتخاباً أو تعييناً على صعيد المحلة أو المدينة أو المقاطعة أو الولاية أو على المستوى الفدرالي وقد تم الرجوع إلى مصادر عديدة قبل وضع القائمة. وكانت أكثر تلك المصادر فائدة الصحف والمجلات الأمريكية العربية وكتاب:

Who's Who in America **(Chicago, Ill.: Marquis Who's Who, 1989);** ***Who's Who in Government*** **(Chicago, Ill.: Marquis Who's Who, 1977); and** ***Biographical Directory of the American Congress 1774–1971*** **(Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1971).**

وتوجد أفضل وأشمل قوائم الأمريكيين لعرب الناشطين حالياً في السياسة في المعهد الأمريكي العربي (AAI). وأنا ممتن للمعهد لتزويدي بأسماء وعناوين عديدة.

٢١ . من مجموع ٣٩٤ استمارة استبيان تم إرسالها بالبريد ظهر أن ٢٣ استمارة كانت مكررة، و ٢٣ أعيدت بسبب عدم دقة العنوان، واستمارتين أعيدتا بسبب وفاة الأشخاص المرسلة إليهم، و ٣ كانت موجهة إلى زوجات غير عربيات متزوجات من أمريكيين عرب. وهكذا تكون نسبة الاستمارات ١٦١ من مجموع ٣٤٣ أي ٤٧٪ وهي استجابة فاقت ما كنت أتوقعه. وقد كنت أخشى أن يمتنع الكثيرون عن المشاركة بالاستطلاع بسبب الخوف من أن تنشر آراؤهم علناً وما يترتب على ذلك من تعرضهم للمضايقة أو لأنواع أخرى من العقوبة.

وكانت البقية (٤٥٪) فوق الخمسين. وكان الذكور الأغلبية الساحقة ٨٣٪ والمتزوجون ٧٦٪ والمنتمون إلى الكنائس المسيحية ٨٣٪. وبلغ مجموع المسلمين في العينة ٢٧ شخصاً كان ثلثاهم ١٨ من السنّة. وقد طغت نسبة الجماعات الكاثوليكية على المسيحيين ٥٨٪ كان من بينهم: الكاثوليك الرومانيون ٢٥٪، المارونيون ١٨٪ والملكيون ١٤٪. أما السوريون الارثوذكس/ الإغريقيون فقد شكلوا ٢٩٪ وكانوا أكبر مذهب منفرد. وكان الأفراد من ذوي التعليم الجيد ولم تتجاوز نسبة المقتصرين على التعليم الابتدائي أو الثانوي بينهم على٧٪. وبلغت نسبة خريجي الكليات٤٢٪ في حين بلغت نسبة الحاصلين على الدراسات العليا ٥١٪ أغلبهم من الأطباء أو حملة الدكتوراة (٣٥٪)٢٢ وتعمل غالبية الأفراد٥٣٪ في أعمال تخصصية و ٢٦٪ كمقاولين و١٤٪ في وظائف حكومية.٢٣

بلغت نسبة المولودين في الولايات المتحدة من آباء مهاجرين من العالم العربي ٧٣٪ في حين كان ٢٧٪ منهم قد ولدوا في أقطار عربية ثم هاجروا إلى الولايات المتحدة. وبناء على ذلك يكون جميع المستجيبين بلا استثناء أمريكيين من الجيل الأول أو الثاني، ومن بين المتزوجين كانت نسبة المتزوجين بزوجات من أصل عربي٤٠٪. وباستثناء أولئك الذين ولدوا في العالم العربي فإن المستجيبين وزوجاتهم كانوا يتكلمون ويقرأون ويكتبون القليل من العربية أو لا يتكلمونها إطلاقاً.

خلال السنوات الست أو السبع الماضية، ازداد النشاط السياسي بين الأمريكيين العرب بشكل ملحوظ. وقد يكون مرد ذلك إلى ترشيح القس جيسي جاكسون للرئاسة فللمرة الأولى في السياسة الأمريكية يخاطب مرشح رئاسي بارز مشاعر واهتمام الأمريكيين العرب. وقد كان الكثيرون من بين أبناء الجالية على استعداد للاستجابة. كان الوقت ملائماً، وتم التوصل إلى حلول وسط، وأصبحت فلسطين، لأول مرة، قضية مشروعة ومطروحة في سياسة الولايات المتحدة، وبناء على ذلك فإن حوالى نصف المستجيبين للاستبيان ٤٤٪ لم يكونوا قد شاركوا في السياسة قبل انتخابات عام ١٩٨٨ أو أن مشاركتهم اقتصرت على العمل الطوعي. كانت نسبة كبيرة من هؤلاء قد دخلت العملية السياسية في نهاية الثمانينات إما كمرشحين لمناصب معينة يتم الحصول عليها عن طريق الأنتخاب، أو من أجل التعيين في لجان رئيسية على مستوى الولاية أو على المستوى الفدرالى أو كمندوبين إلى مؤتمرات الأحزاب السياسية.

يمثل الجدول ١ الانتماء الحزبي السياسي للمستجيبين وآبائهم. من الواضح أن أغلبية الأمريكيين العرب الناشطين سياسياً اليوم تفضل الحزب الديمقراطي ٥٨٪ في حين لايشكل الجمهوريون إلا الثلث ٣٨٪ وكانت نسبة غير المنتمين إلى أي حزب سياسي ضئيلة بشكل يثير الدهشة ٩٪. وتأتي هذة الأرقام مناقضة لما هي علية بالنسبة للآباء الذين انقسموا بشكل يكاد يكون متساوياً بين الديمقراطيين ٣٩٪ وغير المنتمين ٣٧٪ والجمهوريين ٢٤٪. وهناك ملاحظة تحذيرية لا بد من إيرادها هنا. حيث تجب

---

٢٢ . تزداد أهمية هذه النسبة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن ٢١٪ من آبائهم و ١١٪ من امهاتهم فقط كانوا حاصلين على شهادة جامعية.

٢٣ . ٧ ٪ من المتقاعدين أو العاملين في مهن غير تخصصية .

الإشـارة إلى أن الزيادة في عـدد المنتـمين إلى الحـزب الديمـقراطي من الأمريكيين العرب تعـود، في جـزء منهـا إلى ترشـيح القس جـيسي جاكسون للرئاسة، وهو السياسي البارز الوحـيـد في الولايات المتحدة الذي تناول القضية الفلسطينية في إطار قد يبدو مقبولاً من قـبل الأمـريكيين العـرب. وكانت النتيجة زيادة حاسمة في النشاط السياسي للأمريكيين العـرب، خـصـوصـاً في مجال الانتماء إلى الحـزب الديمقراطي أو المشاركة في نشاطه. إلا أن الوقت مـا زال مبكراً لمعرفة ما إذا كان هذا الوضع سيصبح ثابتاً.

يشير الجدول١ أيـضـاً إلى زيـادة جـوهـريـة في عـضـويـة كـل مـن الديمـقـراطيين والجمهوريين خاصـــة الديمقراطيين. فقد ظهـر أن هنالك زيادة كبيرة ٢٨٪ في الانتماء إلى كل من الحـزبين. ويدل ذلك على وجـود توجـه نحـو السياسية المؤسساتية، وحركة باتجاه المزيد من الاسـتـيـعـاب والاندمـاج بمـجـتمع الولايات المتحدة من قبل الجاليـة العـربيـة، كما أن ذلك يعني بالتـحـديد زيادة في الاحـسـاس بالفـاعليـة السـيـاسية بين الأمـريكيين العـرب، بمـعـنى أنهم الآن يشـعـرون بأن النظام السـياسي يمكن أن يعالج اهتماماتهم البارزة.

جدول ١ : الانتماء الحـزبي للناشطين من الأمريكيين العرب وآبائهم

الحزب السياسي	المستجيبون		آباؤهم	
	الرقم	٪	الرقم	٪
الديمقراطيون	٩٤	٥٨	٦٢	٣٩
الجمهوريون	٥٢	٣٢	٣٩	٢٤
غير ذلك/ غير منتمين	١٥	٩	٦٠	٣٧
المجموع	١٦١	٩٩	١٦١	١٠٠

يمـيل الناشطون من الأمـريكيين العـرب إلى أن يكونوا عـرقيي التوجه. وهكذا، فإن ثلث المستجيبين ٣٤٪ فـقط درج على مناقشة "السياسات المحليـة للولايات المتحدة على الأغلب"، في حين ظهـر أن الثلثين ناقـشـوا سـياسات الجالية العربية والولايات المتحدة ٤٧٪ أو السياســة العربيــة على الأغلب ١٩٪. أما بالنسبة إلى هويتهم الشخصية، فإن رابطتهـــــم العرقية هي الغالبـة. وهكذا فـ١٠٪ أو حوالي ٦٪ من المستجيبين تحاشوا الصـبـغـة المركبـة ليؤكدوا أنهم أمريكيين من أصل عربي (لبناني أو سوري . . . الخ). بينما أطلــق ٣٩٪ على أنفسهـم اسم الأمريكيين العرب وحدد ٢٥٪ أنهـــم أمريكيون لبنانيـون و ١٢٪ أنهم أمريكيون فلسطينيون . ٢٤

لم تكن الاهتمامـات العرقيــة الدافع إلى السعي للمنصب السياسي بالنسبة لأغلبيـــة

٢٤ . حوالي ٧٪ ذكـروا أنهم أمريكيون سوريون. وذكر ١١٪ أنهم من أصـول مختلفة من الأمريكيين العرب بزيادة بلد عربي آخر (سوريا، فلسطين، مصر، إلخ). أما باقي الـ ٦٪ فلم يجيبـوا أو أنهم لم يكونوا واضـحين في إجاباتهم.

الناشطين (٥٦٪). حيث لم تزد نسبة أولئك الذين تشكل القضايا العرقية عنصر الدفع الحاسم لديهم على (٢٣٪). ٢٥ وقد كانت الخلفية العرقية للأمريكيين العرب عائقاً (٣٧٪) لسعيهم نحو المنصب السياسي أكثر من كونها مصدر فائدة في هذا المجال (٢٣٪). ٢٦ ولهذا يبدو من المدهش أن يدعي حوالي ثلث المستجيبين (٣٤٪) التأكيد على القضايا العرقية في حملاتهم. ٢٧ والأكثر من ذلك، فقد ادعى حوالي نصف المستجيبين (٤٨٪) بأن معارضيهم لايؤكدون على عرقية المرشحين من الأمريكيين العرب. ٢٨ إضافة إلى أن حوالي ثلثي المستجيبين (٦٠٪) ادعوا بأنهم يسعون بالتحديد إلى الحصول على تأييد جماعتهم العرقية. وتدعو النسبة نفسها (٦٢٪) بقوة إلى تنظيم جاليتها العرقية لأغراض سياسية. هذا يرتكز، إلى حد كبير، على تقديرهم بأن العرب في الولايات المتحدة يشكلون بالتأكيد (٧٠٪) أو ربما يشكلون (٢٤٪) جالية عرقية. وهم يعتقدون، بأغلبية ساحقة (٨٩٪) بأن "الأمريكيين العرب ليسوا ناشطين [سياسياً] كما ينبغي لهم أن يكونوا". ٢٩

وفيما يتعلق بمواقف الولايات المتحدة من العرب والأمريكيين العرب بدا واضحاً أن المستجيبين للدراسة يشعرون أن مواطني الولايات المتحدة منحازون ضد العرب والأمريكيين العرب معاً (٧٠٪). وقد ذكرت أقلية ضئيلة لا تتجاوز نسبتها الـ ٤٪ أنها تعتقد أن هنالك انحيازاً لصالح العرب. ٣٠ وقد اعتبرت الأغلبية الساحقة (٨٧٪) أجهزة الإعلام في الولايات المتحدة (التلفزيون، والسينما، والصحافة وسواها) مذنبة بشكل خاص بتقديمها صورة سلبية عن العرب وعن الأمريكيين العرب. ٣١

يظهر الجدول٢ الناشطين من الأمريكيين العرب يجدون الروايات (٥١٪) والأفلام السينمائية (٤٣٪) أقل وسائل الاعلام موضوعية وأكثرها سلبية في تناولها للعرب وللأمريكيين العرب. من جهة أخرى، اعتبر المستجيبون الصحف والمجلات الوسيلة

---

٢٥ . ذكر٢١٪ آخرون أن سعيهم إلى المنصب السياسي مرتبط "إلى حد ما" بعرقيتهم.

٢٦ . ادعى٤٠٪ أن خلفيتهم العرقية كانت عاملاً "محايداً"، أي أنها لم تكن عائقاً ولا سنداً لسعيهم من أجل المنصب السياسي.

٢٧ . ذكر٤٠٪ آخرون أنهم يفعلون ذلك في بعض المناسبات. وكان جوابهم: "ليس بالضرورة. ذلك يتوقف علي". وتجنب ٢٦٪ القضايا العرقية بشكل كامل.

٢٨ . ذكر ٢٣٪ "ليس بالضرورة. ذلك يتوقف على". ادعى ٢٨٪ فقط أن الخصوم يؤكدون على العرقية العربية للمرشحين الأمريكيين العرب.

٢٩ . ذكر ١١٪ بأن النشاط السياسي للأمريكيين العرب "مناسب تماماً" بمعنى ليس أقل ولا أكثر مما يجب. لم يكن بين المستجيبين من يعتقد بأن الامريكيين العرب "ناشطون جداً".

٣٠ . أجاب ١٩٪ أن الأمريكيين "محايدين أو متوازنين" في مواقفهم من العرب. ٧٪ أجابوا بأنهم "لا يعرفون".

٣١ . ذكر أقل من ٣٪ (٢,٧) أن الإعلام يقدم "صورة إيجابية بشكل عام". وقال ٦٪ إن الإعلام محايد أو متوازن وقال ٤٪ إنهم لا يعلمون. وقد تم الحصول على نتائج مماثلة حول هذة القضية (وغيرها) من مسح آخر أجرته منظمة الـ ADC في الوقت نفسه تقريباً (١٩٨٩). أنظر: بهاء أبو لبن: مواقف اجتماعية وسياسية للأمريكيين العرب (واشنطن دي سي، معهد أبحاث اللجنة الأمريكية العربية ضد التمييز، ١٩٩٠) ٢٠.

الأكثر موضوعية وإيجابية من بين وسائل الاعلام الخمس (٣٧٪) تليها الإذاعة (٢٥٪). إلا أن الأمريكيين العرب، إذ يشعرون بانحياز مواطني الولايات المتحدة وأجهزة إعلامها ضدهم، لايرون أن هذا الانحياز يترجم تلقائياً إلى تمييز. وهكذا، فـ ٢٠٪ فقط من المستجيبين ذكروا بأنهم يشعرون بأن مواطني الولايات المتحدة "يمارسون التميز بشكل قطعي ضد الأمريكيين العرب في الوظائف والأعمال.. الخ". وأجاب ٥١٪ بأنهم ليسوا متأكدين من ذلك، رغم أنهم يعتقدون باحتمال وجود بعض التميز. ٣٢

إلا أن هناك منطقة واحدة يلتقي فيها الانحياز بالتمييز بشكل قاطع. حيث أشار عدد كبير جداً من المستجيبين (٦٩٪) إلى أنهم يعتقدون أن هناك "محاولة محددة لاستبعاد الأمريكيين العرب من المشاركة السياسية والانتخابات (٤٤٪) أو "باحتمال" وجود مثل هذة المحاولة (٢٥٪). ٣٣ وقد تم بوضوح تحديد الجماعات الصهيونية، والمؤيدة للصهيونية، والمؤيدة لاسرائيل (٨١٪) بصفتها الجهات التي تعمل على استبعاد الأمريكيين العرب من المشاركة في العملية السياسية. والنتيجة هي في الغالب (٥٣٪) بث الدعاية المعادية، خصوصاً تلك التي تؤكد على الخلفية العرقية للمرشح الأمريكي العربي وتهاجم تلك الخلفية وتشوهها. وتشير تجارب أولئك الذين أجابوا على الاستبيان بأن نتيجة مثل هذة الدعاية المعادية هي خسارة الدعم المقدم للحملة (٢١٪) أو خسارة الحملة نفسها (٢٣٪). ٣٤

تحت ظروف صعبة كهذه، إلى أين يتجة الأمريكيون العرب الناشطون سياسياً من أجل الحصول على العون، وهل المنظمات الأمريكية العربية الرئيسية مستعدة وقادرة على تقديم المساعدة؟ يمثل الجدول٣ ردة فعل الناشطين من الأمريكيين العرب إزاء أربع منظمات أمريكيةعربية قومية قائمة اليوم بخصوص فاعليتها في مجالين محددين هم تحسين صورة العرب في الولايات المتحدة وتأمين المساعدة للأمريكيين العرب الذين يرشحون أنفسهم للمناصب السياسية. ومن الواضح أن عدداً كبيراً من المستجيبين يجدون تلك المنظمات غير فاعلة في تناولها لهاتين القضيتين (أو في غيابها عنهما). حيث امتنع حوالي الثلث ٣٢٪ إلى حوالي النصف ٤٨٪ عن تقييم أي من تلك المنظمات فيما يتعلق بتحسين صورة العرب. وكان الموقف أسوأ في حالة المساعدة السياسية حيث لم يكترث ما بين ٦٢ إلى ٨٨ بالمئة بوضع علامة تقيم أياً من تلك المنظمات. والنتيجة المستخلصة من ذلك أن تلك المنظمات تعتبر غير ذات فائدة أو ذات فائدة طفيفة فقط في الحملات الانتخابية.

---

٣٢ . ذكر ٢٩٪ بأن مواطني الولايات المتحدة "لا يميزون بشكل قاطع" ضد العرب وضد الأمريكيين العرب.

٣٣ . ذكر حوالي الثلث (٣١٪) بأنهم لا يعتقدون بأن هناك محاولة لاستبعاد الأمريكيين العرب من العملية السياسية.

٣٤ . من جانب آخر، ذكر ٣٢ ٪ بأنة لا يوجد تأثير على الإطلاق، وادعى ٢٥ ٪ بأنهم حصلوا على اسناد إضافي نتجية الدعاية المعادية المستندة على الهجوم العرقي.

جدول ٢ تقسيم الناشطين من الأمريكيين العرب حسب تغطية وسائل إعلام الولايات المتحدة للعرب وللأمريكيين العرب

الترتيب	صحف ومجلات	الإذاعة	التلفزيون	السينما	الروايات
	أجهزة الإعلام في الولايات المتحدة				
١	٣٧٪	٢٥٪	١٨٪	٤٪	٦٪
٢	٢٣٪	٣٥٪	١٦٪	٦٪	١٣٪
٣	٢٣٪	٢٥٪	٢٨٪	٩٪	١٠٪
٤	٨٪	١٠٪	١٧٪	٣٩٪	٢١٪
٥	٩٪	٥٪	٢٠٪	٤٣٪	٥١٪

ملاحظة : ١ = أكثرها موضوعية ، ٥ = أقلها موضوعية

حيثما توفر التقييم، اختار المستجيبون منظمة ADC بصفتها المنظمة الأكثر تأثيراً في تحسين صورة العرب (٣٢٪) تليها AAI (٢٤٪)، فـ NAAI (١٦٪) وAAUG (٣٪). وAAI متفوقة على الأخريات بفارق واسع في مجال تقديم المساعدة السياسية للمرشحين (٣٣٪) تليها NAAA (٧٪)، ثم ADC (٣٪)، فـ AAUG (١٪).

الاتجاهات الأخيرة

إن اختلاف أعمار المستجيبين (التي تفاوتت بين ٢٠ إلى ما فوق الستين) قد مكننا من المقارنة بين الجاليات الأقدم والأحدث كما يمثلها أعضاؤها الناشطون سياسياً. حيث تشير المعلومات التي وفرتها الدراسة إلى حدوث تحول حاسم في انتماءات الناشطين السياسية من وضع شبه متساو لأعداد الديمقراطيين والجمهوريين بين المهاجرين الأقدم (الذين يمثلهم هنا المستجيبون في عمر ٥١ فما فوق) إلى ترجيح مؤكد للحزب الديمقراطي (حوالي ٧٠٪) بين المهاجرين الأقرب عهداً (الذين يمثلهم المستجيبون من عمر ٥٠ فما دون).

جدول ٣ ترتيب الناشطين الأمريكيين العرب للمنظمات الأمريكية العربية الرئيسية على أساس مساهماتها الملموسة في (١) تحسين صورة العرب (٢) تقديم المساعدة السياسية

ترتيب	AAUG	NAAA	ADC	AAI
	المنظمة الأمريكية العربية			
	تحسين الصورة			
١	٪٣	٪١٦	٪٣٢	٪٢٤
٢	٪٧	٪١٧	٪٢٠	٪١٩
٣	٪١٩	٪١٩	٪٧	٪١٤
٤	٪٢٤	٪١٤	٪٩	٪٦
لا دور لها	٪٣	٪١	٪٢	٪١
NA	٪٤٥	٪٣٤	٪٣٠	٪٣٥
	المساعدة السياسية			
١	٪٣	٪٧	٪٣	٪٣٣
٢	٪٧	٪١٠	٪١٢	٪٣
٣	٪١٩	٪٤	٪٧	٪٠
٤	٪٢٤	٪١	٪٣	٪٣
لا دور لها	٪٣	٪٢٣	٪٢٤	٪٢٣
NA	٪٤٥	٪٥٥	٪٥٢	٪٣٩

ملاحظة : ١ = الأكثر مساعدة ، ٤ = الأقل مساعدة .

إن جالية ما بعد الحرب العالمية الثانية تتميز بدور أكبر في السياسة في توجهاتها ودوافعها، خصوصاً بين القادمين الأحدث عهداً. يظهر هذا من أن المستجيبين الأصغر سناً قد تعرضوا للمناقشات السياسية في البيت خلال فترة نموهم بنسبة تزيد على نسبة المتعرضين لذلك بين المستجيبين الأكبر سناً. كما تشير المعلومات إلى أنه كلما قل عمر الناشطين من الأمريكيين العرب، كلما زاد إدراكهم العرقي. وهكذا، فإن نسبة الذين نشأوا في بيوت كانت المناقشات السياسية فيها "تدور في الغالب حول السياسات المحلية للولايات المتحدة" بين المستجيبين الذين تزيد أعمارهم عن الستين تكاد تبلغ النصف (٤٦٪) وتتناقص هذة النسبة بانتظام بين الناشطين الشباب حيث تصبح ٢٣٪ بين الناشطين الذين تتروح أعمارهم بين٢١ و٤٠ عاماً. ويقول حوالي الثلثين منهم٥٩٪ أنهم نشأوا في بيوت يناقش فيها" مزيج في القضايا السياسية المحلية وتلك التى تتعلق بالجالية العربية" .

يشير الجدول ٤ إلى حدوث تغير رئيس في مواقف الناشطين السياسيين. إذ أن هنالك عدداً أكبر من الأمريكيين العرب الأصغر سناً الذين يدخلون العملية السياسية بسبب الاهتمامات العرقية بالذات، أي أنهم يشعرون بالحاجة إما إلى الدفاع عن جاليتهم وقضاياها أو تحسين موقعها في مجتمع الولايات المتحدة أو للأمرين معاً. وهذا الموقف يحمل تناقضاً رئيسياً مع أعضاء الجالية الأكبر سناً حيث لا تشكل الاهتمامات العرقية إلا جزءاً ضئيلاً جداً من دوافعهم للنشاط السياسي. والاختلاف حول هذة القضية يلفت النظر إحصائياً بمعنى أنه ليس وليد الصدفة فقط.

كما أن من الجدير بالملاحظة أن الجماعة الأصغر سناً تزيد عن ضعف (حوالي٥٠٪) زملائها الأكبر سناً (حوالي٢٠٪) بالإحساس والإقرار بأن خلفية عرقية عربية تشكل عبئاً أو على الأقل هي عبء أكثر منها رصيد. والأكثر من ذلك، أنة برغم هذا الموقف أو ربما بسبب هذا الموقف وبسبب الحاجة إلى مواجهة قضية التمييز صراحة بهدف إحباطها، فالناشطين الأصغر سناً أميلَ من غيرهم بكثير للتأكيد على خلفيتهم العرقية أثناء السعي إلى منصب سياسي، كما يظهر ذلك بوضوح في جدول٥. [٣٥]

جدول ٤ الاهتمامات العرقية بصفتها دافع للنشاط السياسي

العمر	هل تشكل الاهتمامات العرقية دافعاً ؟			
	العدد	بالتأكيد	إلى حد ما	كلا على الإطلاق
٢٠ ـ ٤٠	٣٧	٣٧,٨٪	٣٧,٨٪	٢٤,٣٪
٤١ ـ ٥٠	٣٤	٣٨,٣٪	١١,٨٪	٥٠,٥٪
٥١ ـ ٦٠	٣٤	٨,٨٪	١٤,٧٪	٧٦,٥٪
فوق ٦٠	٢٨	٠,٠٪	١٧,٩٪	٨٢,١٪

Note: X2=36.54, Sig. 0.001. C= 0.464

جدول ٥ التأكيد العرقي في النشاط السياسي للأمريكيين العرب

العمر	هل يؤكد المستجيبون على العرقية ؟			
	العدد	نعم ، نعم نوعاً ما	ليس بالضرورة	كلا على الإطلاق
٢٠ ـ ٤٠	٣٧	٤٨,٦٪	٤٠,٥٪	١٠,٨٪
٤١ ـ ٥٠	٣٢	٤٦,٩٪	٤٠,٦٪	١٢,٥٪
٥١ ـ ٦٠	٣٦	٢٥٪	٣٣,٣٪	٤١,٧٪
فوق الـ٦٠	٢٦	١١,٥٪	٤٦,٢٪	٤٢,٣٪

Note: X 2 = 20. 78 Sig 0. 01 ; C=0.37

٣٥ . يوزع مَنْ أجابوا بـ "نعم، بالتأكيد"، ومَنْ أجابوا بـ "نعم، نوعاً ما" : ٢٤,٣٪مقابل ٢٤,٣٪ للعمر ٢٠ إلى ٤٠، ٣٧,٥٪ مقابل٩,٤٪ لعمر ٤١ ـ ٥٠، ١٦,٧٪ مقابل ٨,٣٪ لعمر ٥١ ـ ٦٠، ٧,٧٪ مقابل ٣,٨٪ لمن هم فوق الستين.

هناك ثلاث قضايا أخرى تظهر حولها اختلافات واضحة وملحوظة إحصائياً. وتتعلق هذة القضايا بآراء ومواقف الناشطين من الأمريكيين العرب حول قضية العرقية. حيث أن عدد الأمريكيين العرب من الناشطين السياسيين والأصغر سناً الذين يشعرون بأن خصومهم يسلطون الأضواء أو يؤكدون بالتحديد على خلفيتهم العربية بغرض إفشالهم و/ أو تقليل تأييد الجمهور لهم يبلغ ضعف (حوالي٣٨٪)الذين يشاركونهم هذا الرأي من ضمن زملائهم الأكبر سناً (حوالي ١٨٪). أنظر جدول٦ . ٣٦

جدول ٦ آراء الأمريكيين العرب الناشطين حول ما إذا كان خصومهم يؤكدون على عرقية المرشح الأمريكي العربي

العمر	العدد	هل يؤكد الخصوم علي عرقية المرشح الأمريكي العربي؟		
		نعم ، نعم نوعاً ما	ليس بالضرورة	كلا إطلاقاً
٢٠ ـ ٤٠	٣٣	٪٣٦,٤	٪٤٢,٤	٪٢١,٣
٤١ ـ ٥٠	٢٨	٪٣٦,٩	٪١٧,٩	٪٣٩,٣
٥١ ـ ٦٠	٣٣	٪١٨,٢	٪١٨,٢	٪٦٣,٦
فوق الـ ٦٠	٢٥	٪١٦	٪١٢	٪٧٢

Note $X2 = 22.61$, $sig = 0.001$; $C = 0.4$

يتوجه الأمريكيون العرب الناشطون الأصغر سناً بصراحة ووضوح إلى جاليتهم العرقية طلباً للتأييد فيما يبدو كأنة رد على المعلومات أعلاه. وهم في ذلك يفوقون ما فعله ويفعله زملاؤهم الأكبر سناً في هذا المجال . وهذا ما يفسر بشكل خاص الإجابة القطعية بـ "نعم ، بالتأكيد" التى ردوا بها على السؤال القائل: "هل تطلب تأييد الجماعة العرقية الخاصة التى تنتمى لها (عربية، لبنانية، فلسطينية. . . الخ) في حملتك من أجل المنصب السياسي" ، كما يظهر ذلك في جدول ٣٧.٧

أخيراً، يتبع ما تقدم أن الناشطين الأصغر سناً سيكونون أكثر عرضة من زملائهم الأكبر سناً للاعتقاد بأن الأمريكيين العرب يشكلون، بالتأكيد، جالية عرقية وأن عليهم أن ينظموا أنفسهم كـ"جالية" وأن يطرحوا مرشحين للمناصب السياسية كما يظهر ذلك في جدول٨، ٣٨ وجدول٩.

---

٣٦ . يوزع مَن أجابوا بـ "نعم، بالتأكيد" ومَن أجابوا بـ "نعم، نوعاً ما" : ٢,١٥٪ مقابل٢,٢١ ٪ لعمر ٢٠ ـ ٤٠، ٦,٢٨٪ مقابل ٣,١٤٪ لعمر ٤١ ـ ٥٠، ١,٩٪ مقابل ١,٩ ٪ لعمر ٥١ ـ ٦٠، و ١٢٪ مقابل ٤٪ لمن هم فوق الستين.

٣٧ . إن تفاصيل الفئات الأخرى في فترات عمر متنوعة هي كما يلي: ٢٠ ـ ٤٠ سنة: ٢,١٥٪ نعم إلى حدما ؛١,٦٪ليس بالضرورة؛ ٠,٠٪ إطلاقاً؛ ٤١ـ٥٠: ٧,٩٪، ٩,١٢٪، ٢,٣٪ على الترتيب؛ ٥١ ـ ٦٠: ٠,٢٥٪، ٩,٢١٪، ٣,٦٪ على الترتيب؛ وفوق الـ ٦٠: ٠,١٦٪، ٠,٢٤٪ ٠,٢٠٪ على الترتيب.

٣٨ . يوزع مَن أجابوا بـ "ربما ، لست متأكداً" ومَن أجابوا بـ "كلا بالتأكيد" : ٨,١٢٪ مقابل ١,٢٪ لعمر ٢٠ ـ ٤٠ عاماً، ٥,١٧٪ مقابل ٥٪ لعمر ٤١ ـ ٥٠ عاماً، ٦,٢٥٪ مقابل ٣,١٠٪ لعمر ٥١ ـ ٦٠ عاماً، و ٢,٤٥٪ مقابل ٧,٩٪ من هم فوق الستين.

جدول ٧ وجهات نظر الأمريكيين العرب الناشطين حول السعي للحصول على تأييد جاليتهم العرقية

العمر	العدد	هل يسعون للحصول على تأييد جاليتهم: نعم بالتأكيد	ليس بالضرورة/ كلا إطلاقاً
٢٠ ـ ٤٠	٣٣	٧٨,٨٪	٢١,٢٪
٤١ ـ ٥٠	٣١	٧٤,٢٪	٢٥,٨٪
٥١ ـ ٦٠	٣٢	٤٦,٩٪	٥٣,١٪
فوق ٦٠	٢٥	٤٠,٠٪	٦٠,٠٪

Note : X 2 = 13, 99 , sig = 0, 01 ; C = 0, 32

جدول ٨ وجهات نظر الأمريكيين العرب الناشطين حول ما إذا كان الأمريكيون المنحدرون من أصل عربي يشكلون جالية عرقية .

العمر	العدد	هل يشكل العرب في الولايات المتحدة جالية عرقية؟ نعم	لست متأكداً / كلا
٢٠ ـ ٤٠	٤٧	٨٥,١٪	١٤,٩٪
٤١ ـ ٥٠	٤٠	٧٧,٥٪	٢٢,٥٪
٥١ ـ ٦٠	٣٩	٦٤,١٪	٣٥,٩٪
فوق الـ ٦٠	٣١	٤٥,٢٪	٥٤,٨٪

Note X2 = 15.95 , sig. = 0. 01 , C = 0. 3

جدول ٩ وجهات نظر الأمريكيين العرب الناشطين حول الحاجة إلى الانتظام سياسياً كجالية

العمر	العدد	هل يجب أن ينظم الأمريكيون العرب أنفسهم كجالية: نعم	ربما	كلا
٢٠ ـ ٤٠	٤٤	٨١,٨٪	١٣,٦٪	٤,٥٪
٤١ ـ ٥٠	٣٨	٦٥,٨٪	٢١,١٪	١٣,٢٪
٥١ ـ ٦٠	٣٧	٥١,٤٪	٣٢,٤٪	١٦,٢٪
فوق الـ ٦٠	٣٣	٣٩,٤٪	٢٧,٣٪	٣٣,٢٪

Note : X2 = 19.90 , sig. = 0.01 C = 0.3

واستمراراً في النموذج نفسه، فإن الأمريكيين العرب الناشطين الأكبر سناً أقل عرضة من زملائهم الأصغر سناً إلى الشعور بأن مواطني الولايات المتحدة يميزون ضد العرب والأمريكيين العرب، وأقل عرضة للاحساس بأنهم هم أنفسهم قد تعرضوا للدعاية المعادية، وأقل عرضة للإحساس بوجود جهد منسق لاستبعاد الأمريكيين

العرب من المشاركة السياسية والانتخابات. (أنظر جداول ١٠، ١١، ١٢). ومن المهم أيضاً الإشارة إلى المناطق التى يلتقى فيها الأمريكيون العرب الناشطون الأكبر والأصغر سناً في اتفاق عام. إذ أن الفريقين يتفقان (أو أن الاختلافات في توجهاتها غير ظاهرة إحصائياً) على أن مواطني الولايات المتحدة منحازون بشكل عام ضد العرب والأمريكيين العرب، وأن صورة العرب في أجهزة الإعلام في الولايات المتحدة سلبية، وأن هناك محاولة لاستبعاد الأمريكيين العرب من العملية السياسية وأن الذين يسعون إلى هذا الغرض هم الجماعات الصهيونية، والمؤيدة للصهيونية، والمؤيدة لاسرائيل. أما منطقة الاتفاق الأخرى التي تثير الدهشة فتتعلق بالهوية الشخصية للمستجيبين: ألا وهي الأمريكيون العرب.

جدول ١٠ هل يعتقد الأمريكيون العرب الناشطون بأن مواطني الولايات المتحدة يميزون ضد الأمريكيين العرب

العمر	العدد	نعم	ربما	كلا
٢٠ ـ ٤٠	٤٦	٣٢,٦٪	٥٠٪	١٧,٤٪
٤١ ـ ٥٠	٤٠	٢٥٪	٥٠٪	٢٥٪
٥١ ـ ٦٠	٣٥	٨,٦٪	٥١,٤٪	٤٠٪
فوق الـ ٦٠	٣٠	٦,٧٪	٥٣,٣٪	٤٠٪

Note: X2= 14.26 sig. =0.05 , C= 0.20

جدول ١١ تعرض الأمريكيين العرب الناشطين للدعاية المعادية بسبب عرقيتهم؟

العمر	العدد	هل تعرضت للدعاية المضادة؟		
		نعم	ربما	كلا
٢٠ ـ ٤٠	٣٥	٤٨,٦٪	٢٠٪	٣١,٤٪
٤١ ـ ٥٠	٢٩	٣٨,٣٪	٢٠,٧٪	٣١٪
٥١ ـ ٦٠	٣٠	٢٠٪	١٦,٧٪	٦٣,٣٪
فوق الـ ٦٠	٢٥	٢٤٪	١٢٪	٦٤٪

Note: X2 = 14.26 , sig . = 0.05 , C = 0.20

جدول ١٢ هل يعتقد الأمريكيون العرب الناشطون بوجود جهد منسق لاستبعادهم من المشاركة السياسية؟

العمر	العدد	نعم	ربما	كلا
٢٠ ـ ٤٠	٤٧	٥٩,٦٪	٢٥,٥٪	١٤,٩٪
٤١ ـ ٥٠	٤٠	٤٥٪	٢٠٪	٣٥٪
٥١ ـ ٦٠	٣٩	٢٨,٢٪	٣٠,٨٪	٤١٪
فوق الـ ٦٠	٣٢	٣٤,٤٪	٢٥٪	٤٠,٦٪

Note: X2 = 12.69 , sig . = 0.05 , C = 0.27

الخلاصة والنتائج

بدأ العرب بالمجيء إلى الولايات المتحدة بأعدد كبيرة نسبياً في نهاية القرن التاسع عشر. وقد جاؤوا بالأساس، في موجتين، الأولى انتهت حوالي الحرب العالمية الأولى، والثانية إبتدأت بعد الحرب العالمية الثانية. هنالك بعض الاختلافات المحددة في التوجهات السياسية للمجموعتين وفي هويتها السياسية. وقد تم تفصيل هذه الاختلافات ومناقشتها في النص. وبالإمكان تسليط الضوء هنا على عدد قليل من تلك الاختلافات الأساسية.

١ ـ كانت الجماعة الأولى بشكل عام أدنى تعليماً وتميل إلي البساطة والسلبية السياسية. وقد جاء أفرادها بالتحديد لجمع المال والعودة إلى الوطن. وكانوا يخشون أي نوع من النشاط السياسي ـ ويشعرون، في جميع الأحوال، بأن السياسة في الولايات المتحدة لا تعنيهم ما داموا يعتبرون أنفسهم لامنتمين ومجرد ضيوف عابرين. وكانوا يعملون بدأب على طاعة القوانين وتجنب المتاعب. وقد تغيرت الصورة نوعاً ما، وإن لم يكن التغير جذرياً، بعد استيعابهم واستقرارهم في الولايات المتحدة بشكل دائم. لم يحملوا معهم، عندما جاؤوا، أية فكرة عن القومية أو أي إحساس قوي بها. كانت الطائفة بالنسبة لهم هي الأمة بكل معنى الكلمة. وكانت السياسة التى يمارسونها سياسة طائفية ـ شقاقية وغير مهذبة بشكل عام. وعندما اندمجوا بمجتمع الولايات المتحدة، لم تكن السياسة التى مارسوها سياسة عرقية بل سياسة "التأمرك" ، وكانوا يعتبرون أنفسهم أمريكيين من أصل سوري، أو لبناني، أو عربي.

القادمون اللاحقون كانوا، بشكل عام ، ذوي تعليم جيد جداً، وكانوا محنكين وناشطين سياسياً. وكانوا يحملون إحساساً قوياً بالفاعلية السياسية كما كان لديهم التزام قوي بالديمقراطية وكانوا متلهفين للمشاركة بنشاط في العملية السياسية. وبصفتهم ديمقراطيين لم يتهيبوا النقد بل مارسوا انتقاد الزعماء والسياسات غير المقبولة. كما ناضلوا من أجل ما آمنوا به حتى في الحالات التى كانت المؤسسة السياسية فيها تحمل آراء معارضة بشدة. وقد تشكلت هويتهم السياسية بفعل التزامهم القوي بالعدالة والمشاركة المنصفة، وتقبلهم لمبادئي الديمقراطية، واهتمامهم بكون الممارسات الديمقراطية في الولايات المتحدة تستغل لأغراض معينة وأنانية خصوصاً فيما يتعلق بقضية فلسطين. وكانوا، عندما جاؤوا، يحملون القومية العربية والتوجهات العربية. وعندما اندمجوا بمجتمع الولايات المتحدة، صاروا يعتبرون أنفسم أمريكيين عرباً وكانوا (وما زالوا) فخورين بذلك.

٢ ـ تتكون الجالية العربية في الولايات المتحدة اليوم بشكل أساسي من القادمين اللاحقين والجيل الثالث أو الرابع من نسل القادمين الأوائل. وهكذا فإن الاختلافات بين الفريقين لا تبدو صارخة مثل تلك التى ذُكرت أعلاه. فالاختلافات تنبع، بشكل أساسي، من حقيقة كون الجالية الأقدم أو الأكبر سناً قد تم اندماجها بشكل جيد في مجتمع الولايات المتحدة، وأنها، فيما يتعلق بالناشطين سياسياً من أعضائها، لا تؤكد

على عـرقـيـتـهـا بل على "تأمركها" . من جهة أخرى، فإن القادمين اللاحقين يشعرون بأنهم جـاليـة عـرقـية ـ وأنهم جالية تتعرض للمعاناة لا لشي إلا لكونها تصنف على هذا الأسـاس من قـبل الآخـرين، ولكون العـرب والأمـريكيين ـ العـرب خـاضعين لدعاية مـعـادية وسلبـيـة بناء على ذلك، فإن اسـتـجابة هؤلاء الناشطين السياسيين الأصغر سناً تقـوم على مـواجـهـة القـضية جهاراً، وإعلان اعتزازهم بتراثهم، وحث الجالية على تنظيم نفـسـهـا على أسـاس عرقي، ومحاربة أي تحيز أو تمييز أو محاولة لاستبعادهم عن العملية السـيـاسـية . إن التحيز، والتمييز، ومحاولات الاستبعاد من السياسة، خصوصاً تلك التى تمارسـهـا الجماعـات الصـهـيـونيـة في الولايات المتـحـدة، قد بدأت في توحيد الأمريكيين العـرب الناشطين الأكبر والأصـغـر سناً الذين صـاروا يشـعرون بالحاجة إلي جهد موحد بهدف التـغلب على العـقبات على طريق الاندماج الكامل ولغرض تعزيز مصالح الجالية التى ينتـمون إليها والديمقراطية في الولايات المتحدة على حد سواء .

المحافظة على ديانة الآباء :
معضلات الهوية الدينية في الجاليات الأمريكية العربية المسيحية والمسلمة

إيفون يزبك حداد

تتكون الجالية الأمريكية العربية في الولايات المتحدة من جماعات متنوعة من الأشخاص الذين جاؤوا أو الذين جاء أسلافهم في فترة ١٢٠ عاماً من العالم العربي، وهو منطقة جغرافية قسمتها القوى الاستعمارية في الفترة التى أعقبت الحرب إلى ما يشكل اليوم واحداً وعشرين بلداً تمثل حالياً الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية.١ ولأغراض هذا البحث، سيستعمل تعبير الأمريكيين العرب لوصف المهاجرين من أقطار جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا الذين شقوا طريقهم إلى الولايات المتحدة منذ أواخر سبعينات القرن الماضي. ويظل التعبير اشكالياً حتى مع هذا التحديد حيث أن معنى كلمة "العرب" يمكن أن تعرف ويعاد تعريفها، بطرق متنوعة.٢

ومما يعقد دراسة المحافظة على الديانة هو ليس فقط اختلاف الاشخاص الذين يشار إليهم عادة على أنهم "أمريكيون عرب" وغالبيتهم (حوالى الثلثين) من المولودين في الخارج، بل اختلاف التغييرات التي أثرت في حياتهم خلال هذا القرن، والطرق التي أثرت فيها هذه التغييرات على إحساسهم بالهوية.٣

جاء العرب إلى الولايات المتحدة لنفس الأسباب التي جاء من أجلها المهاجرون الآخرون من أجزاء أخرى من العالم: وهي السعي للحصول على الملجأ والسلامة من

---

١ . الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية هي: الجزائر والبحرين ومصر والعراق والأردن والكويت ولبنان وليبيا وموريتانيا والمغرب وعمان وفلسطين والعربية السعودية والصومال وسوريا وتونس والسودان والامارات العربية المتحدة وقطر، وجيبوتي واليمن (التي تكونت من الاتحاد مع اليمن الديمقراطية عام ١٩٩٠).

٢ . بانضمام دول جديدة إلى الجامعة العربية، اكتسبت دول، لم تكن تعتبر عربية في السابق، هذا التعريف مثل جيبوتي والصومال، لن تتناول هذه الدراسة المهاجرين من هذين البلدين.

٣ . لا يبدو أن المهاجرين المسيحيين الأوائل قد عرفوا كعرب حتى أواسط القرن. وقد دعا فيليب، حتي عام ١٩٢٤، الى تعريف المهاجرين كسوريين، وهم شعب ذو تاريخ معين ومدنية فريدة The Syrians in America (New York: George H Doran 1924)

الاضطراب السياسي، والصراع الديني، والضيق الاقتصادي. جاء الكثير من الرواد العرب الأوائل لكي يعملوا، ويدخروا أكبر قسط ممكن من المال، ثم يعودوا إلى الوطن. وقد حافظوا على درجة عالية من الاهتمام بمصير أوطانهم وتابعوا تطور الأحداث فيها عن كثب. كان عدد منهم متلهفاً إلى تحرر العالم العربي من الهيمنة العثمانية، وقد هالتهم خيانة القوى الاستعمارية التى رفضت منح الحرية للأقطار العربية بعد الإطاحة بالنير العثماني خلال الحرب العالمية الأولى. وفي الوقت الذي اختارت فية قلة منهم العودة ومحاولة العثور على وظيفة في الكيانات البيروقراطية الاستعمارية الجديدة، فإن الكثيرين قرروا البقاء في الولايات المتحدة. ولم تظهر الدلائل الحقيقية على الرغبة في إرساء الجذور في هذا البلد والتطور الجاد للمؤسسات الثقافية والدينية (الكنائس والمساجد؛ والنوادي والأخويات) إلا بعد الحرب العالمية الأولى.

لقد جاؤوا، بالأساس، كيد عاملة مهاجرة من لبنان وسوريا٤في سبعينات القرن الماضي، ومن اليمن٥ في الفترة من ستينات إلى ثمانينات القرن الحالي. وجاؤوا كلاجئين من المناطق السورية التي احتلتها تركيا عام ١٩٣٩، ومن العراق في أعقاب المجازر العثمانية، ومن فلسطين بعد أن طردهم الاسرائيليون في ١٩٤٨ و ١٩٦٧، ومن لبنان من ويلات الحرب الأهلية اعتباراً من ١٩٧٥، ثم في عام ١٩٨٢ عندما شردهم الاجتياح الاسرائيلي.٦ وقد أفاد بعضهم من قوانين الهجرة في الخمسينات والستينات فجاؤوا إلى الولايات المتحدة طلباً لحياة أفضل، أو تعليم أعلى، أو تدريب تقني أكثر تقدماً، أو فرص عمل تخصصية، أو إرضاء لنزعات عقائدية.٧ وهكذا فإن الجالية تتكون من أولئك الذين عانوا من تجارب جارحة تركت أثراً تشكيلياً أو تحويلياً على حياتهم ووعيهم إضافة إلي أولئك الذين كانوا أفضل حالاً في الحياة التي تركوها وراءهم.٨

شكل المسيحيون٩٠٪ من المهاجرين الذين جاؤوا إلى الولايات المتحدة لغاية الخمسينات. أما الـ١٠٪ الباقية فقد تضمنت المسلمين من السنة والشيعة والدروز. وبحلول منتصف القرن انعكست تركيبة المجموعة فأصبح المسلمون يشكلون٩٠٪ من المهاجرين من العالم العربي. وقد شهد العقد الأخير ارتفاعاً في عدد المسيحيين الذين

---

٤ . أليكسا ناف، "العرب" في موسوعة هارفرد للجماعات العرقية الأمريكية، تحرير: ستيفن ثيرنستورم (كيمبردج: مطبعة جامعة هارفرد، ١٩٨٠)، ١٢٨ ـ ١٣٦.

٥ . ماري بشارات: "عمال يمنيون مهاجرون في كاليفورنيا"، في: عرب في أمريكا: أساطير ووقائع، تحرير بهاء أبو لبن وفايت ت. زيدي (ولمت، I11 ؛ مطبعة جامعة المدينة العالمية، إيلينوي ١٩٧٥)؛ نبيل إبراهيم "عمال ديترويت اليمنيون"، تقارير MERIP ٥٧، (١٩٧٧): ٣ ـ ٩.

٦ . لافي إبراهيم جعفري، "هجرة العرب الفلسطينيين والطلاب والمهنيين الأردنيين إلى الولايات المتحدة" (أطروحة دكتوراة، جامعة ولاية أيوا للعلوم والتقنية).

٧ . سعد الدين محمد ابراهيم، "تداخل وفهم ومواقف الطلبة العرب نحو الأمريكيين"، مجلة علم الاجتماع والبحث الاجتماعي، ٥٥ (١٩٧٠): ٢٩ ـ ٤٦.

٨ . إيفون يزبك حداد، "تجربة المسلم في الولايات المتحدة"، ذ لينك١٢، ٤ (أيلول ـ تشرين١ ١٩٧٩) نفس المصدر "المسلمون في أمريكا" في: الإسلام: الحياة الدينية والسياسية لجالية، تحرير مارجوري كيلي (نيويورك: مطبعة برايجر، ١٩٨٤).

هاجروا إثر اقتناع جماعات مختلفة من المسيحيين بأن أوطانهم الأم لا تؤمن لأبنائهم إلا فرصاً اقتصادية محدودة جداً. كما ضمت الجماعات المهاجرة الأخيرة عدداً من الشيعة الذين شردتهم الغارات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني.

استحوذ عدد من الإيديولوجيات المختلفة على العالم العربي خلال هذا القرن. وقد كانت جميعاً محاولات لإيجاد رابطة بين الناس تتجاوز تبايناتهم الدينية والعرقية. في وقت سابق من القرن، أكد صعود القومية العربية على العرب بصفتهم تجمعاً لأناس يشتركون في تراث مجيد لحضارة عظمى ازدهرت على مدى قرون عدة في المنطقة وبسطت نفوذها من الأطلسي حتى الصين. وهكذا انتسبت إلى الهوية العربية أقليات دينية وعرقية متنوعة في أقطار مختلفة، وقد اعتبر الأشخاص الذين يناضلون ضد الهيمنة الأجنبية، سواء كانت عثمانية أو غربية، أن كون المرء عربياً يعني تميزه عن أولئك الذين تزداد النظرة إليهم بصفتهم دخلاء يقومون باضطهاد السكان المحليين. اقترنت صفة "العربي" بالتحدث بالعربية وتذوق تراثها الأدبي والفني. كذلك شملت الانتماء إلى عملية لتكوين الهوية والتزاماً بالصرع من أجل ترسيخ رؤية جديدة لمستقبل مزهر للأمة العربية.

برزت الاشتراكية العربية في الخمسينات مستحوذة على خيال العديد من الأشخاص بصفتها وسيلة للحصول على القوة من خلال وحدة قائمة على العدالة الاجتماعية والاقتصادية تتجاوز بشكل تام الانقسامات التقليدية داخل الجماعة العربية. وقد طُرحت الإيديولوجية القومية العربية المطعمة بالأفكار الاشتراكية كوسيلة لإنتاج هوية تتخطى كل الاختلافات الدينية، والعرقية، والعشائرية والوطنية في العالم العربي. واعتبر جميع الناس الذين يعيشون في المنطقة شركاء في رابطة مشتركة لا تفرق بين المسيحي والمسلم، والدرزي والسني والمتولي (الشيعي) والعلوي، والأرثوذوكسي والكاثوليكي.

أدت الحرب العربية الإسرئيلية عام ١٩٦٧ إلى تقويض كل من القومية والاشتراكية. وأدى ذلك على الفور إلى ظهور الإحياء الديني خصوصاً في مصر، حيث بدأ كل من المسلمين والأقباط المسيحيين بالنظر إلي الحقيقة من خلال منظور ديني. وقد جاءت سنوات السبعينات إلي لبنان بالصراع الطائفي الذي غذاه التذمر المحلي الذي تجاهلته الحكومات اللبنانية وقدحت شرارته مخلفات الصراع العربي الاسرائيلي وتفاقمات الوضع الفلسطيني وعملت على تمويلة وإطالة أمده مصالح محلية ودولية مختلفة. إن الإحساس بالتواطؤ الماروني مع اسرائيل نخر في قلب القومية العربية مثيراً المخاوف حول عدم قدرة المسلمين على الوثوق بإخلاص المسيحيين للمصالح العربية. كما عانت القومية العربية من نتائج المقاطعة النفطية التى أدت إلى انتقال النفوذ الاقتصادي إلى دول الخليج والتقليل من مكانة المتخصصين العرب الذين صاروا يستخدمون كمرتزقة في البلدان الخليجية المختلفة التى عاملتهم كعمال وافدين يساهمون في تطوير وصيانة اقتصادياتها. وباستثناء حالات نادرة، لم يسمح لهم بالتحول إلى مواطنين.

لقد نقلت تأثيرات كل هذه الايديولوجيات المختلفة والمتعارضة في الغالب، بما فيها

التقلبات الطارئة في فهم دور الدين في تشكل الهوية بواسطة الموجات الجديدة من المهاجرين والطلاب الجدد القادمين إلى الولايات المتحدة كما تركت تأثيراً ملحوظاً على الجالية الأمريكية العربية في الوقت الذي كان الوعي العربي والهوية العربية يلاقيان فيه التشجيع بصفتها وسائل لجمع الجاليات المتباينة معاً على المسرح الأمريكي. وهكذا تعرضت الجالية العربية خلال العقود الأخيرة وما زالت تتعرض لتباين عظيم التأثيرات والتفسيرات لما يمكن أن يعنية كون المرء عربياً، كما أنها شملت ضمن تركيبتها بضعة أجيال من المولودين في الولايات المتحدة المندمجين بدرجة عالية في الحضارة الغربية والذين لا تربطهم بالعالم العربي إلا روابط واهية. لقد تفاوت معنى الأمريكي العربي بشكل درامي خلال السنوات العشر الأخيرة أو ما يقاربها، وقاد إلى مجموعة تعاريف مربكة وحتى متضاربة ظاهرياً. من الممكن أن تجد فردين في عائلة واحدة، على سبيل المثال، يعرّف أحدهما نفسه بأنه عربي في حين يتنصل الآخر بعنف من هذه الهوية. وقد تخلى بعض المارونيين اللبنانيين الذين انتحلوا الهوية الأمريكية العربية في الستينات عن تلك الهوية في السبعينات وراحوا يؤكدون، بدلاً عنها، على جذورهم الفينيقية عندما شعروا بأن بقاء الجالية المارونية في لبنان مهدد بالخطر. وتوازي ذلك نزعة الأقباط حديثي الوصول من مصر، الذين يعرفون أنفسهم بجذورهم الفرعونية رافضين أدوارهم كعرب، لأن كون المرء عربياً يساوي عندهم كونه مسلماً. ويبدو أن هذا الشعور يتفق مع القناعة الحالية لجماعة الأخوان المسلمين بأن المسلمين فقط هم العرب. ومن شأن هذا الشعور أن يطرح مشكلة محيرة على جيل من العرب المسيحيين الذين ما زالوا يعرفون أنفسهم بصفتهم عرباً.

"دين الآباء"

إن انتماء المرء الديني، في نظر المسيحيين والمسلمين واليهود في الشرق الأوسط، هو الذي يحدد هويته. فالشخص يولد وينمو ويموت داخل جماعة دينية محددة. والانتماء الديني (والطائفي) يتحدد، بالأساس، بمصادفة الميلاد، في حين يتطور الالتزام بالكنيسة، بالنسبة للمسيحيين، بحكم التقاليد. فقناعات المرء المذهبية جزء من هويته (أو هويتها) وهي غير قابلة للانفصال عن رفاهيته (أو رفاهيتها).

إن نظام "الملة"[٩] الذي سنّه العثمانيون لحكم مملكتهم يقسم كل الرعايا إلى جماعات مسلمة وغير مسلمة. وكانت غالبية السكان المسلمة خاضعة للشريعة الإسلامية، أما جماعات الأقليات المسيحية المختلفة فقد وضعت تحت الكيانات التشريعية التى مارست الحكم الذاتي في تنظيم حياة أتباعها في "الملل" وفي حل مشاكل الجالية. وهكذا ساهم نظام "الملة" في المحافظة على الحياة الجماعية المسيحية التى تحكمها الكنيسة ويقودها رجال الكهنوت الذين كان السلطان العثماني يصادق على

٩ . يبدو أن نظام "الملة" يستند على سابقة تنظيم الرعايا في الامبراطورية البيزنطية مع إضافات استحدثت تحت الحكم الأموي والعباسي.

زعامتهم. وقد أصبحت هذه الجاليات منعزلة بشكل متزايد، وكان الولاء فيها للجماعة والبقاء يعتمد على المسؤولية التكافلية المتبادلة.[١٠]

لقد ترك نظام "الملة" التعليم في أيدي السلطات الدينية المعنية، ونتج عن ذلك أن المسيحيين والمسلمين لم يتلقوا تعليماً منفصلاً فحسب، بل نوعين من التعليم مختلفين جوهرياً. وكان الهدف من العملية التعليمية في كل حالة هو غرس ديانة الآباء في الأبناء. ولم يعترف العثمانيون بالاختلافات الدينية بين الجاليات المعنية فقط، إنما اعترفوا كذلك بالاختلافات القومية، والعرقية، واللغوية. وهكذا سمح للجماعات الدينية أن تستخدم لغاتها المميزة من اغريقية وآرامية أو سريانية في تأدية الطقوس الدينية وفي تعليم الأبناء.

إن المهاجرين المسيحين من العالم العربي هم بقايا الكنائس الرسولية التى حافظت على بقائها في المنطقة ـ وقد تناقصت أعدادهم عبر القرون نتيجة للقمع، والهجرة، والتحول إلى الإسلام أو المجازر الكبري حتى أن بعض زعماء هذه الكنائس يطلقون على أنفسهم اسم "الكنيسة المصلوبة" إشارة إلى جحافل المغول القادمين من الشرق والمسيحيين الصليبين القادمين من الغرب الذين ذبحوا أعداداً لا حصر لها من المسيحيين الشرقيين لأنهم لم يكونوا خاضعين لشريعة البابا. ترجع جميع الكنائس الشرقية بجذورها إلى الأزمنة الرسولية: فقد أسست الكنائس الأنطاكية من قبل القديس بولص، والأشورية من قبل القديس توما، والقبطية من قبل القديس مرقص. إن هذه الحقائق التاريخية ماثلة بقوة في أذهان مسيحيي الشرق الأوسط. وهكذا فإن الإشارة في بلدان مثل الأردن، وسوريا، والعراق، وإسرائيل إلى أن المرء ينتمي إلى أي من الكنائس الشرقية السريانية، أو الكلدانية، أو المارونية، أو البيزنطية، أو الملكية أو البروتستانتيةلا يشكل إشارة إلى ديانة بقدر ما هو إشارة إلى انتماء سياسي و/ أو عرقي قائم على قرون من تجارب القمع مثل استناده إلى الهيكل الاجتماعي السياسي للامبراطورية العثمانية. إن مشكلة نقل الكنائس الشرقية إلى المحتوى الأمريكي الشمالي أصبحت أكثر تعقيداً بفعل الانقسامات العرقية والطائفية التي تعاني منها الكنائس الشرق أوسطية إضافة إلى ما تكنه لها الكنائس الغربية من عداوة ومواقف تخطيئية. يعود تاريخ الاختلافات إلى المجالس الكنائسية المبكرة. وكان أكثرها أثراً في إحداث الشقاق مجلس خلقيدونية عام ٤٥١ للميلاد الذي أكد كامل إنسانية المسيح إضافة إلى تمام ألوهيته. يمثل اليعاقبة (المؤمنون بطبيعة واحدة للمسيح) اليوم الكنائس غير الخلقيدونية. وهم يؤمنون بأن ألوهية المسيح نسخت إنسانيته (الكنيسة القبطية في مصر،[١١] والكنيسة الغريغورية الأرمنية، والكنيسة السورية الأرثوذكسية) كما يعتبر النشاطرة أيضاً من ممثلي الكنائس غير الخلقيدونية حيث يؤمنون بأن إنسانية المسيح

---

١٠ . عزيز س. عطية، **تاريخ المسيحية الشرقية** (لندن: مثون ١٩٦٨) .

١١ . جابرييل عبد السيد، "الأمريكيون الأقباط: تيار من المساهمة الأفريقية"، في **تجربة نيو جيرسي العرقية** بربارا كنجهام (يونيون، نيو جيرسي: وايز وشركاه، ١٩٧٧)؛ أو إتش إي كيه إتش إس ـ بيرمستر، **الكنيسة القبطية المصرية** (القاهرة: المعهد الفرنسي لعلم الآثار الشرقي، ١٩٦٧).

حلت محل ألوهيته. ١٢

تشمل الكنائس الخلقيدونية الشرقية الكنيسة الانطاكية الأرثوذوكسية١٣ والكنائس التى أوجدت كمحصلة للنشاطات التبشيرية والتعليمية للكاثوليك الرومان التى قام بها بين الكنائس الشرقية الأخوان الفرنسيسكان والدومنيكان واليسوعيون والساليسيون والاخوان المسيحيون والآباء البيض وأخوات يسوع الصغيرات وأخوات صهيون، وأخوات القلب الأقدس. وقد نشأت إلى جانب الكنيسة اللاتينية١٤ (الكاثوليكية الرومانية) مجموعة من الكنائس التوحيدية١٥ وهي: المارونية١٦ التى أقامت علاقاتها مع روما عام١١٨٠ وحصلت على المكانة الكاملة عام ١٧٢٦، والملكية (التي تعرف أيضاً بالكنيسة الكاثوليكية الإغريقية)١٧ والكاثوليكية السورية (وتعرف أيضاً بكنيسة اليعاقبة) ١٨ والأقباط الكاثوليك١٩ والكلدان الكاثوليك٢٠ (جدول ١).

١٢ . "المسيحيون في الشرق العربي: مقدمة غير رسمية"، ذَ لنك٩، ٥ (ت٢ ، ك ١ ١٩٧٣)، ١-١٢؛ س. كولبي: المسيحية في الأراض المقدسة، الماضي والحاضر (تل أبيب: آم هَسِفير، ١٩٦٩)؛ بول فريز وتريان نيرسويان: **المسيح في الشرق والغرب** (مكون، جورجيا: مطبعة جامعة ميرسر، ١٩٨٧).

١٣ . روبرت م. حداد: **السوريون المسيحيون في المجتمع المسلم** (برنستون: مطبعة جامعة برنستون، ١٩٧٠)؛ و. ف. أدني، **الكنائس الأغريقية والشرقية** (كليفتون، نيوجيرسي: ناشرو الكتب المرجعية/ريفيرنس بوك بيلشيرز، ١٩٦٥)؛ الكلمة/ذ ويرد، تشرين٢/كانون٢، ١٩٦٥-١٩٦٦؛ ألكسندر دوموراس، "الجاليات اليونانية الأرثوذوكسية في أمريكا قبل الحرب العالمية الأولى"، سينت فلاديميرز سيميناري كوورتيرلي، مجلد٢؛ ١٧٢-١٩٢.

١٤ . إن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قصير في الشرق الأوسط. ومعظم أفرادها هم من المتحولين من الكنائس الشرقية في حين توجد بينهم قلة من المغتربين الأوربيين. ويشار إليها محلياً باسم الكنيسة اللاتينية بسبب استعمال اللغة اللاتينية في القداس. جون ألهوف: "تحليل دور كنيسة سينت رايموند المارونية كعميلة في استيعاب العائلات اللبنانية في سينت لويس" (أطروحة ماجستير، جامعة المسيسبي، ١٩٦٩)

١٥ . انشقت الكنيسة التوحيدية عن الكنائس الشرقية نتيجة لنشاط الإرساليات الكاثوليكية بين رعايا الأخيرة. وقد انضموا تحت سلطة البابا ولكن سمح لهم بالمحافظة على تقليد زواج الكهنة، وتقديم النبيذ للمصلين أثناء القداس، والتعميد بالتغطيس، واستخدام اللغات التقليدية (الإغريقية والسريانية والآرامية) وطقس القربان المقدس أثناء القداس. دكتور أتواتر، **الكنائس المتشاركة مع روما،** مجلد١ من **كنائس الشرق المسيحية** (نيويورك؛ بروس، ١٩٦١-١٩٦٢).

١٦ . تعود تقاليد هذه الكنيسة إلى تعاليم القديس مارون في القرن الخامس الميلادي. وقد دعا إلي مبدأ واحدية طبيعة المسيح في محاولة للتوفيق بين الكنائس الخلقيدونية وغير الخلقيدونية، وقد اعتبرت كلا الفرعين تعاليمه نوعاً من الهرطقة. ماي أهداب يحيى: "اللبنانيون المارونيون: نماذج من ديمومة وتغيير"، **العرب في العالم الجديد: دراسة في الجاليات العربية الأمريكية** ، تحرير: سمير ي. أبراهام ونبيل أبراهام (ديترويت: مركز جامعة ولاية واين للدراسات العمرانية، ١٩٨٣).

١٧ . انشقوا عن الكنيسة البيزنطية وقبلوا بسلطة البابا عام ١٧٢٤. مكسيموس حكيم: "عن الملكيون في الولايات المتحدة"، ملكايت دايجست٤، ٣ (حزيران/يونيو، تموز/يوليو١٩٦٨).

١٨ . انشقوا عن الكنيسة السورية وانضموا إلى سلطة البابا عام ١٧٨٣.

١٩ . انشقوا عن الكنيسة القبطية وانضموا إلى سلطة البابا، عام ١٨٩٥.

٢٠ . حدث الانشقاق عام ١٨٣٠واكتسبوا الوضع الكامل ككنيسة توحيدية عام١٨٥٤. ماري سي. سنجستوك: **الأمريكيون الكلدانيون: مفاهيم متغيرة عن الهوية العرقية** (مركز نيويورك لدراسات الهجرة، ١٩٨٢).

وتشمل الكنائس الخلقيدونية الأخرى، التي قامت خارج الكنائس الشرقية، الأبرشيات البروتستانتية التى كانت من نتاج النشاطات التعليمية والتبشيرية لطوائف الأبرشيين والمشيخيين في سوريا ولبنان والعراق ومصر، كما تشمل الانجليكان (الاسقفيين) الذين أسسوا الكنيسة الأسقفية الأنجيلية في فلسطين والأردن ومصر، واللوثريين الذين تركزت نشاطاتهم الأساسية في فلسطن ولبنان، والمعمدانيين الذين عملوا في لبنان وفلسطين والأردن. وتتمثل النشاطات التبشيرية الأحدث عهداً بالمؤمنين بكنيسة اليوم السابع وأتباع العنصرة، وكنيسة الرب، وشهود يهوه.

سمح للمبشرين البروتستانتيين بممارسة نشاطهم في الشرق الأوسط كامتياز منح للبريطانيين اعترافاً بفضلهم في تقديم العون العسكري للسلطان عام١٨٣٩. وكان الهدف الأساس للمبشرين هو تحويل المسلمين إلى المسيحية، لكنهم عندما وجدوا جهودهم غير مجدية، حولوا اهتمامهم إلى أفراد الكنائس الشرقية على أمل تجنيدهم ليكونوا وسطاء لتحول المسلمين. وقد توسعت نشاطاتهم بعد الحرب العالمية الأولى تحت النفوذ الاستعماري. وقد شابهت المناهج المطبقة في المدارس التبشيرية (الكاثوليكية والبروتستانتية) النظم التربوية المطبقة في إيطاليا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مع جرعة يومية من التوجيه الديني. ولم يقتصر الهدف على كسب متحولين دينيين بل تعداه إلى العمل على طبع الطلاب بالطابع الغربي. وكانت الرسالة المسيحية التى يبثونها مشربة بالقناعة العميقة بتفوق مسيحية الغرب بالتنوير والنظام الاجتماعي السياسي الغربي الذي يسعى المبشرون إلى نشره في العالم. وفي الوقت الذي أدى فيه المبشرون الكاثوليك والبروتستانت دور وكلاء التغير الثقافي، فإن التساؤل حول ما إذا كانوا قد فهموا، عن وعي أو دون وعي، أن المسيحية وسيلة لتبديل الثقافة ما زال قائماً. ومن الواضح أنهم كانوا ينفرون من الطقوس غير المألوفة لديهم والخاصة بالمسيحية الشرقية، التى حكموا على أوجه الاختلاف فيها بأنها وثنية. كما أنهم لم يستطيعوا أن يتقبلوا الممارسات الحضارية والنزعات التي تختلف عما لديهم. وقد سعوا إلى تغيير كل شيء من دور النساء إلى الممارسة الطبية إلى مقاييس اللباس والسلوك الشخصي. وكانت النتيجة لديهم أن اعتناق المسيحية وأساليب الحياة الغربية أصبحا عبارتين مترادفتين لمعنى واحد.

أثناء ذلك، قام المبشرون الغربيون بإيجاد مجموعة من الكنائس الجديدة التي تم سحب أتباعها من طوائف الكنائس الشرقية المحاصرة أصلاً. واستمر الحال على هذا المنوال حتى سنوات الخمسينات عندما حصلت معظم الأقطار العربية على استقلالها وقامت بمنع الارساليات المسيحية الرئيسية من نشر تعاليمها في أنحاء مختلفة من العالم العربي في محاولة منها لإيجاد وحدة وطنية متماسكة وتقليص حجم التدخل الأجنبي في التربية.

نجح عدد من الكنائس الشرق أوسطية في نقل سلطتة الكهنوتية إلي الأبرشيات المهاجرة في الولايات المتحدة (جدول٢). رغم أن هذا يوازي ما جري للكثير من الكنائس القومية والعرقية التي قامت في أمريكا الشمالية، إلا أن نجاح الكنائس الشرقية

في معظم الحالات قد تعزز بفعل عاملين. الأول هو الموقف العنصري العريق والسائد في كنائس الغرب والولايات المتحدة إزاء كنائس الشرق والأشخاص القادمين من العالم العربي الذي أدي إلى إبطاء عملية اندماج المسيحيين العرب بأبناء الابرشيات الغربية، والثاني هو تراث الجلَد، والمثابرة، والكفاح من أجل البقاء الذي نشأ في هذه الكنائس عبر القرون رداً على تاريخ من المعاناة والقمع والتشهير.

جدول ١ الكنائس الشرقية

الكنيسة	التعليل اللاهوتي لشخص المسيح	الطقس	القداس
الإنطاكية الأرثوذوكسية	خلقيدونية	بيزنطي	القديس جيمس المقدسي
القبطية الأرثوذوكسية	وحديطبيعية	اسكندراني	القديس مرقص
السورية الأرثوذوكسية	وحديطبيعية	إنطاكي	القديس جيمس الأصغر
المارونية	وحديطبيعية	إنطاكي	القديس جيمس الأصغر
الكلدانية	وحديطبيعية	كلداني	القديس توما
الأشورية	وحديطبيعية	إنطاكي	القديس جيمس الأصغر
الملكية	خلقيدونية	بيزنطي	القديس جيمس المقدسي

كان السوريون الأرثوذوكس من بين المهاجرين الأوائل. وقد استقر معظمهم في رود آيلاند وديترويت وكويبك. وكان الموقر حنا خوري أول كاهن سوري أرثوذوكسي يرسم لأداء الخدمة في الولايات المتحدة عام١٩٠٧. وكانت الجالية قد تعززت بوصول مهاجرين جدد بعد الحرب العالمية الأولى طلباً للجوء من الاضطهاد العثماني. وفي عام ١٩٥٢، عينَ الاسقف مار أثناسيوس يشوع صاموئيل بطريركاً في الولايات المتحدة وكندا. وفي عام ١٩٥٧، أصبح أسقفاً لأسقفية الولايات المتحدة وكندا. وصل مهاجرون جدد من فلسطين بعد حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧ كما وصل مؤخراً عدد من المهاجرين من العراق وسوريا. وقد تم إنشاء كاتدرائية الأسقفية في هاكنساك في ولاية نيوجرس عام ١٩٥٨. وتضم الكنيسة اليوم حوالي٣٠ ألفاً من الأتباع يؤمون كنائسها الفرعية الثماني والعشرين المنتشرة عبر الولايات المتحدة.

تتبع الكنيسة الملكية الكاثوليكية الأغريقية الطقس البيزنطي. وقد وجدت أول جالية ملكية في شيكاغو عام١٨٩٣ في حين شيدت الكنيسة الأولى في لورنس في ماساشوستس في الجزء المبكر من هذا القرن. وشيدت كنائس أخرى خلال الفترة ما بين ١٩١٠ و١٩٣٠. وقد عارض الأساقفة الكاثوليك الرومانيون بشدة نقل هذة الكنائس إلى أمريكا الشمالية إلا أن بطريركاً عُينّ أخيراً عام ١٩٦٦. وتوجد في الولايات المتحدة أربع وثلاثون أبرشية ومركزاً تبشيرياً يقدر عدد أعضائها بـ ٢٥١٥٠ شخصاً.

جدول ٢ : الكنائس الشرقية في الولايات المتحدة

الكنيسة	الأبرشيات	الأعضاء	شمال أمريكية معترف بها
الإنطاكية الأرثوذكسية	١٥٠	٢٨٠٠٠٠	مطرانية شمال أمريكية ١٩٧٥
القبطية الأرثوذكسية	٥٠	١٨٥٠٠٠	(تحت منطقة النفوذ المصري)
السورية الأرثوذكسية	٢٨	٣٠٠٠٠	بطريركية ١٩٥، مطرانية ١٩٦٨
المارونية	٤٣	٥١٧٠٠٠	أسقفية١٩٦٦، أسقفية قديس مارون
الكلدانية	١٠	٤٥٠٠٠	أسقفية ديترويت ١٩٨٢
الآشورية	٢٤	٨٠٠٠٠	أمريكا الشمالية
الملكية	٣٦	٢٥١٠٠	أسقفية ١٩٦٦
البروتستانتية	١٠٠	١٠٠٠	بعثة الكنائس العربية المتحدة

كان المارونيون ، أيضاً، من أوائل الذين قدموا إلى الولايات المتحدة. وقد عين أول أسقف في الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ وأسست أسقفية القديس مارون عام ١٩٧٢ . وتوجد الآن ثلاث وأربعون كنيسة مارونية تخدم ٥١٧٠٠ من المارونيين في هذة البلاد. جاء الكلدانيون، ومعظمهم من العراق، مع أقلية صغيرة من سوريا إلى الولايات المتحدة لأول مرة مع بداية هذا القرن. ثم وصلت جماعة أكبر بعد الحرب العالمية الأولى. وقد ظلوا لسنوات طويلة تحت سلطة الأساقفة الكاثوليك. وفي عام ١٩٨٢ انتخب الأب إبراهيم إبراهيم أول أسقف للكنيسة الكلدانية (ومقرها مدينة ديترويت) في الولايات المتحدة، ولديهم الآن عشر كنائس يبلغ عدد أعضائها ٤٥ ألف شخص.

مما تجدر ملاحظته أن الكنائس التوحيدية لم تؤسس سلطاتها التشريعية المستقلة إلا في الستينات، لأن تسلسل السلطة الدولية في الكنائس منعها من ممارسة السيطرة على شؤونها الخاصة. ولم يتغير الأمر إلا عندما تغيرت السياسة البابوية في الستينات، الأمر الذي أنتج تغيراً في موقف الأساقفة الكاثوليك. فعندما دعت جماعة من مدينة هارتفورد بولاية كونكتيكت كاهناً مارونياً للاحتفال بطقس القداس التقليدي في السبعينات، على سبيل المثال، أخبرهم الكاهن المحلي بأن يستخدموا سرداب الكنيسة لهذا الغرض، ثم غير رأيه لاحقاً وامتنع عن السماح لهم بإجراء القداس بأي شكل من الأشكال. فكان عليهم، عندها، إن يقيموا القداس في كنيسة بروتستانتية خاصة.

قامت الكنيسة الارثوذكسية الروسية بتقديم الخدمات والطقوس الدينية للمهاجرين الأرثدوكس في بادىء الأمر. ثم أسست تلك الكنيسة بعثتها الإرسالية الخاصة بالعرب السوريين عام ١٨٩٢ . وانتخب أول أسقف عربي عام ١٩٠٤ . ولبضعة عقود من السنين انقسمت الكنائس المحلية الى مجموعة تخضع للكرسي الأسقفي الروسي وأخرى تخضع لسلطة بطريرك دمشق التشريعية. وبعد قدر كبير من النقاش، تم في عام ١٩٧٥ توحيد الكنائس الارثوذكسية الإنطاكية، تحت زعامة الأخير. وتضم البطريركية في الوقت الحاضر ٢٨٠ ألف عضو موزعين على ١٥٠ كنيسة محلية.

كان المسيحيون الأقباط من المهاجرين المتأخرين ولم يأخذوا بالوصول بأعداد ملحوظة إلا في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٦٩. ومنذ ذلك الحين وهم يتدفقون بمعدلات منتظمة. وقد أسست أول كنيستين في نيوجرسي وكاليفورنيا. ولديهم اليوم خمسون كنيسة يبلغ عدد أعضائها ١٨٥ ألف شخص. اهتمت الكنيسة القبطية الأنجيلية في مصر، وهي الكنيسة الشرقية الوحيدة التى تمتلك تاريخاً قريباً من النشاط التبشيري، بموضوع استنزاف المسيحيين الحاد من الشرق إلى الغرب، وقد بدأت بتخصيص دائرة خاصة للجماعات القبطية الانجيلية المهاجرة في أمريكا الشمالية. ويجري الآن تقديم الخدمات الدينية لخمس من الأبرشيات القبطية الفاعلة من قبل الكنيسة المصرية.

أسست بعثة الكنيسة العربية المتحدة (البروتستانتيه) عام ١٩٧٩ بقصد تنظيم عملية توحيد المساعي الروحية للأشخاص الناطقين بالعربية والتخطيط لها وتقديم الإرشاد فيما يتعلق بها. والمنظمة عبارة عن "إرسالية مستقلة، غير طائفية، ممجدة للرب، وملتفة حول المسيح، تعمل علي التنسيق بين الطوائف" وتضم أشخاصاً يحلو لهم أن يدعوا أنفسهم "بالمولودين الجدد".

يقدر عدد الابرشيات الانجيلية الناطقة بالعربية في الولايات المتحدة بمئة أبرشية، وتتفاوت الاعداد تبعاً لوجود المهاجرين الجدد. ومن بين هذه الأبرشيات توجد خمس أبرشيات تعتبر إمتداداً للكنيسة الانجيلية القبطية في مصر، وثلاثون أبرشية تحمل ميولاً مشيخية في حين تستند البقية إلى المجمع البابوي الجنوبي. وتنحدر أغلبية أعضاء الابرشيات من مصر مع جماعات ملحوظة من العراق، وسوريا، ولبنان، والأردن وفلسطين. يقول القس حمارنه، من الكنيسة المعمدانية العربية في واشنطن العاصمة: "إننا نعمل ككنائس مغذية للكنائس الأمريكية". عندما يتهيأ أفراد أبرشياتنا أو عندما يتزوجون من أزواج أمريكيين، فإنهم ينتقلون إلى الكنائس الأمريكية. ونحن نعمل كامتداد إرسالي يسنده المجمع المعمداني الجنوبي". (في مقابلة مع المؤلفة، حزيران ١٩٨٩). والأمر الذي يثير الاهتمام في هذة الأبرشيات هو أن الكثير من أفرادها لم يكونوا معمدانيين قبل مجيئهم إلى الولايات المتحدة. إنما كانوا يمثلون كنائس شرقية مختلفة (القبطية والارثودوكسية، والكاثوليكية، والبروتستانتية) ذات زعامة انجيلية مستوردة من العالم العربي. ويوجد بينهم عدد كبير من المسنين الذين لا يجيدون التحدث بالإنجليزية إلى جانب عدد كبير من الشبان. ويتم بذل جهود خاصة لجمع الشباب لغرض تعريفهم ببعضهم البعض ومن ثم الزواج داخل الجماعة لحمايتهم من مغريات الثقافة السائدة.

أجاد البروتستانت، سواء كانوا من أتباع الكنيسة الأسقفية في الأردن وفلسطين أو الكنيسة المشيخية في سوريا ولبنان، التحدث بالإنجليزية قبل مغادرتهم بلادهم حيث كانوا يقيمون طقوسهم في كنائس غربية تعرف محلياً بالكنيسة الانجليزية في فلسطين والأردن، والكنيسة الأمريكية في سوريا ولبنان. وقد تمت تهيئتهم اجتماعياً من قبل المبشرين الذين كانوا خير وسطاء للتأثير الغربي، وهم يتوقعون نقل انتمائهم الكنسي إلى الكنائس المشابهة في الولايات المتحدة. إلا أن هذا لم يحدث إلا في حالات قليلة.

الكنائس المشابهة في الولايات المتحدة. إلا أن هذا لم يحدث إلا في حالات قليلة. فالكنائس الأسقفية والمشيخية في الولايات المتحدة حملت وعياً حاداً بالطبقات الاجتماعية والخلفيات العرقية وثبتت على مر السنين وبشكل متزايد موقفاً دينياً ليبرالياً. وكان المبشرون، الذين انتدبوا للكدح فيها وراء البحار، دعاة للاتجاهات الأكثر جذرية وانجيلية في الكنيسة. وهكذا لم يجد البروتستانت المهاجرون من العالم العربي الترحاب في هذة الكنائس. وفي الجزء الأول من هذا القرن أسست أبرشيتان مشيخيتان ناطقتان بالعربية لتقديم الخدمة للمهاجرين، واحدة في بروكلين في نيويورك والأخري في بيتسبرغ في بنسلفانيا.

نشأت مجموعة من الكنائس العرقية في أعقاب تدفق الفلسطينيين والأردنيين اللوثريين والأسقفيين بعد طردهم على يد اسرائيل عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، إضافة إلى تدفق الأقباط الأنجيليين (المشيخيين) من مصر منذ السبعينات، واللبنانيين المشيخيين من سوريا ولبنان منذ ١٩٧٥ والإيرانيين الأسقفيين والأنجيليين منذ ١٩٧٩. ومرة أخرى لم يكن نشوء هذه الكنائس بسبب عجز رعاياها عن التحدث بالانجليزية أو لكونهم مستجدين في الانتساب لها، إنما كان بسبب اعتبارها انجيلية أكثر من اللازم بالنسبة للكنائس الرئيسية التي أنتجتها ولكونها غير قابلة للانصهار في الهيكل الطبقي لتلك الكنائس. لقد بادر المشيخيون مؤخراً إلى السعي لتشكيل كنائس تتحدث باللغة العربية وعينوا آمال حلبي منسقاً لهذا الغرض. وحتى موعد كتابة هذا البحث اختارت عشر كنائس في مدن مختلفة الانضمام كأعضاء، والتحقت خمس أخرى كفروع منتمية.

بينما يوجد عنصر قوي من العنصرية في هذه الممارسة التي تجد العذر لها عادة في رغبة المهاجرين بالاختلاط بابناء جنسهم، فإن من الواضح أيضاً أن بعض رجال الكهنوت العرب المستوردين من لبنان أو مصر لرعاية أتباع الكنائس ضربوا على وتر الامتيازات الاجتماعية للجماعة. ففي الوقت الذي يعتبرون فيه الكنيسة في الولايات المتحدة، التي يتهمونها بالعنصرية، مسؤولة عن نشوء هذه الكنائس ذات الرسالة اللغوية، فإنهم، مع ذلك، يبررون وجودها كوسيلة لحماية الجالية المهاجرة من انهيار القيم المسيحية والكيان العرقي الواضحين في طوائف البلاد. حيث يبدو الأمر، كما صوره أحد رجال الدين المصريين حين قال: "بصراحة ، هؤلاء المشيخيين الأمريكيين ليسوا مسيحيين. إنهم يمارسون الإباحية الجنسية، ويؤمنون بالطلاق، ويمارسون تعدد الزوجات المتتالي، ويرحبون بالأمهات غير المتزوجات، ويناقشون تعيين رجال دين شاذين في الكنيسة. إن هذا غير مقبول" . (مقابلة مع المؤلفة، آذار ١٩٨٩).

جاءت الموجة الأولى من المهاجرين العرب المسلمين بعد المسيحيين بحوالي عقد من الزمن.٢١ وقد جاؤوا، هم أيضاً، من قرى فقيرة في جبل لبنان. وكان بينهم السنة والشيعة والعلويون والدروز الذين كانوا جميعاً محكومين بنفس القوانين الإسلامية

٢١ . عبدو أ. الخولي: **العرب المسلمون في الولايات المتحدة؛ الدين والاستيعاب** (نيو هافين، كونكتيكت، مطبعة الكلية والجامعة، ١٩٦٦)؛ إيفون يزبك حداد، أداير لوميس، **القيم الإسلامية في الولايات المتحدة** (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٧)؛ إيفون يزبك حداد: **مسلمو أمريكا** (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩١).

المتبعة في الامبراطورية العثمانية. وبينما كان السلطان في نهاية القرن التاسع عشر قد اعترف بعدد من البطريركيات التي تمثل مختلف الجماعات المسيحية في الامبراطورية، فإن جميع المسلمين، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، كانوا يعاملون كرعايا للدولة ويخضعون لتشريع شيخ الإسلام.

لم يحمل المهاجرون الأوائل اهتماماً بالمؤسسات. وكانت غالبيتهم تتكون من رجال عزاب يعيشون في غرف مؤجرة. ويعيشون على هامش مجتمع الولايات المتحدة. ومع بداية القرن أخذ أولئك الذين استقروا وتزوجوا ينظمون اجتماعات للصلاة في أماكن غير متوقعة مثل بروكلين ونيويورك، وروس في داكوتا الشمالية. وبحلول الثلاثينات، كانت أعداد متزايدة من أقربائهم تصل إلى هذه البلاد، وبانتشار مستوطناتهم بدأوا ببناء عدد من المساجد (في ديربورن بمشيغان، وسيدار رابيد/ Cidar Rapids بأيوا، وكوينس في ماساشوستس، ومشيغان سيتي بانديانا). شكلت هذه المساجد منظمة ـ مظلة لها عام١٩٥٢ باسم اتحاد الروابط الاسلامية FIA على أمل تأمين الفرصة للمسلمين للالتقاء ببعضهم على امتداد البلاد وكان معظم رواد المساجد من العرب إلى جانب قلة من التتر والألبانيين والأتراك.

كان تأثير دفق الطلاب المسلمين الذين اختاروا البقاء في الولايات المتحدة في الخمسينات والستينات ضئيلاً على حركة المساجد. إذ كان أغلب أولئك الطلاب من العلمانيين المحدثين الذين لم يحملوا اهتماماً بالمؤسسات الدينية المنظمة. وتشير الدراسات إلى أن ثلثهم تزوجوا بمواطنات من الولايات المتحدة. الأمر الذي يحتمل أن يكون قد عجل بمشاركتهم في عملية "التأمرك".

شهدت سنوات السبعينات تغيراً جوهرياً في الجالية المسلمة في الولايات المتحدة. فقد أدت وفاة إليجا محمد عام ١٩٧٥ إلى مجيء ابنه وارث الدين محمد إلى زعامة "أمة الإسلام". وقد عمل على الفور على التحول عن تعاليم أبيه وقاد تحول الجالية الأمريكية الأفريقية إلى الإسلام السني.٢٢ وقد أدت هذه الخطوة إلى مضاعفة عدد المسلمين في هذه البلاد إلا أنها عملت كذلك على تحويل الطبيعة "العربية" للإسلام في أمريكا. كما زاد في تعقيد الصورة هجرة أعداد كبيرة من المسلمين غير العرب (باكستانيين، وهنود، ومواطنين من الهند الغربية . . الخ) ممن أفادوا من قانون الهجرة الجديد الذي سمح للآسيويين بالدخول إلى الولايات المتحدة. كما شهدت رابطة الطلاب المسلمين (MSA)، التي تحمل تفسيرها الخاص للإسلام، نمواً ملحوظاً. كان أعضاء الرابطة قد أبعدوا عن المساجد العربية نتيجة عملية التأمرك التي حدثت فيها. فقاموا بتأسيس الرابطة عام١٩٦٣ كمنظمة ـ مظلة جديدة تتعهد بنشر الاسلام الحقيقي. وأخيراً، وبالزيادة الدرامية في عدد المسلمين المهاجرين من العالم العربي الذي خابت فيه الآمال المعلقة على الإيديولوجيات القومية والاشتراكية، والذي راح يجرب حظة في المبادىء الإسلامية انسحب اتحاد الروابط الإسلامية، إلى دور هامشي جداً. ولم

٢٢ . لمعرفة محتوى كلامه أنظر والاس دين محمد: **والنور يشرق من الشرق** (شيكاغو: شركة نشر دبليو دي إم؛ ١٩٨٠).

يتخط عدد المساجد المنهمكة في نشاطاتها السبعة وعشرين مسجداً في حين يقدر عدد المساجد والمراكز الإسلامية التي أنشئت حتى عام ١٩٩٠ بحوالى الألف.

من الواضح أن الإسلام ازدهر في الولايات المتحدة برغم الصعوبات المتمثلة في عدم توفر اللحم الحلال أو الطعام غير الممزوج بلحم الخنزير، وعدم توفر ألوقت اللازم لأداء الصلاة أثناء ساعات العمل، وعدم استعداد أصحاب العمل للتقليل من ساعات الدوام لتمكين المسلمين من احتمال مشقة الصيام. إضافة إلى صعوبة المحافظة على أحكام الشريعة الاسلامية، التى يعتقد بأنها القانون السماوي للمجتمع السليم، ضمن ظروف الولايات المتحدة. وقد تحتم النظر في النزاعات في محاكم الولايات المتحدة التي لا تعترف بالممارسات الإسلامية وتقاليدها.

لم تكتف رابطة الطلاب المسلمين بتقزيم حجم اتحاد الروابط الإسلامية، بل قامت باستيعاب عدد كبير من العرب المسلمين الذين يشاركونها تفسيرها الإسلامي. ويعتبر هذا التفسير القومية العربية مناوئة للإسلام ما دامت تدعو إلى الولاء لشيء آخر غير أخوة الإسلام وتحث الرابطة أعضاءها على تجنب التعاون مع المنظمات الدنيوية التى لا تشاركها آراءها العالمية.[٢٣] ولم يظهر التحول من حالة العزلة المفروضة ذاتياً عن حضارة الولايات المتحدة إلى المحاولات المستمرة في المشاركة السياسية إلا بعد تشكيل الجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية (ISNA) عام ١٩٨٢. وقد تم هذا التحول نتيجة لنضج مؤسسي رابطة الطلاب المسلمين، ونمو أبنائهم الذين ولدوا ونشأوا في الولايات المتحدة والذين لا يربطهم إلا القليل بالأقطار التى هاجر منها آباؤهم، هؤلاء الأبناء الذين صاروا يعيشون حياتهم كأمريكيين وكمسلمين.

ساهم الزعماء المسلمون فيما وراء البحار بمعضلة المسلمين في الولايات المتحدة خصوصاً فيما يتعلق بالتكيف مع الظروف المحلية والمشاركة في القضايا المحلية. وقد اختلفت الزعامة المعتدلة للاخوان المسلمين مع زعامة "جماعتي إسلامي" الهندية الباكستانية. فقد دعت الأخيرة إلى الانعزالية بشدة في حين عكست الأولى منظورات متعددة. تنقل أبو العلاء الموردي وأبو الحسن النداوي، ممثلا "جماعتي" عبر الولايات المتحدة حاثين رواد المساجد على عدم الوثوق بالمسيحيين واليهود وعلى تشكيل روابط قوية تستطيع أن تصمد أمام حقدهم وحسدهم.[٢٤] في الستينات، بدأ محمد الغزالي، الزعيم الشعبي المصري المنتمي لجماعة الأخوان المسلمين، ملاحظاته في المؤتمر السنوي لرابطة الطلاب المسلمين في شيكاغو بالكلمات التالية: "أحمل من ديار السلام التحية لكم يا من تقطنون ديار الحرب . . . " إلا أن زعيمين عربيين آخرين حملا رسالة مختلفة. فقد قال رشيد الغنوشي، من تونس، للطلاب بأنهم يعيشون في بلد حر

---

٢٣ . لمعرفة التفاصيل أنظر إيفون يزبك حداد: "القومية والميول الإسلامية في الجاليات الأمريكية العربية المعاصرة"، في **القومية العربية وعالم المستقبل العربي**، تحرير: هاني فارس (بلمونت، ماساشوستس، مطبعة إيه إيه يو جيه، ١٩٨٧).

٢٤ . أنظر مثال سيد عبد الحسن علي ندوي: **المسلمون في الغرب**: الرسالة والبعثة (لندن: الأساس الإسلامي، ١٩٨٣) ١١١ـ ١١٤.

منحهم حق الكلام ونشر ديانتهم، وحثهم على التعاون في الأمور ذات المصلحة المتبادلة. وقد كان حسن الترابي، زعيم الإخوان المسلمين في السودان يحاضر بانتظام في المؤتمرات الإسلامية داعياً إلى الحاجة إلى تحرير المسلمين على المستوى المحلي ليقوموا بتشكيل جماعتهم الخاصة في إطار الحقائق المحيطة بهم دون الخضوع لمشيئة بعض المتشددين الذين يصرون على وجوب تكرار تقليد عالمي.[٢٥]

تتعلم المساجد في الولايات المتحدة، شأنها في ذلك شأن الكنائس العرقية، كيف تتلاءم مع حقائق الولايات المتحدة. ففي مسجد هارتفورد، مثلاً، ترتل الآيات القرآنية التي ترجمت إلى الإنجليزية على شريط مسجل قبل صلاة الظهر. وقد تغير دور الإمام في كثير من المساجد بحيث أخذت وظيفته تشابه وظيفة رجل الدين المسيحي. فبالاضافة إلى دوره التقليدي في إقامة الصلاة، فإن المتوقع من الإمام الآن هو تقديم المشورة والتصرف كمتحدث بلسان الجالية. وفي حالات قليلة، دعي الأئمة إلى المشاركة في تجمعات مسكونية وفي مساع للحوار بين المسيحيين والمسلمين واليهود. وقد اكتسبت المساجد نفسها وظائف تشبه وظائف الكنائس العرقية في العالم العربي. فهي تلعب دور مراكز الاندماج الاجتماعي والارتباط ما بين أفراد الجالية. ومثل الكنائس، تقوم المساجد بتنظيم الأسواق الخيرية لجمع الأموال وتقيم لقاءات العشاء الجماعي كمناسبات اجتماعية للقاء أفرادها. وقد أتاحت المناسبات التي تعقدها المساجد لعائلات أتباعها فرصة الاختلاط فيما بينها. في حين تحافظ مساجد أخرى على الفصل الصارم بين الجنسين حيث يتناول أفراد كل جنس طعامهم في حجرة مختلفة.

من الواضح أن عمل المساجد في حاجة إلى حشد كاف من الناس المستعدين لاستثمار وقتهم، وطاقاتهم، وأموالهم من أجل ازدهار هذه المساجد وتحويلها إلى مؤسسات حيوية يمكن أن تخدم احتياجات الجاليات الإسلامية بالطريقة التي تخدم بها الكنائس والمعابد اليهودية المسيحيين واليهود. إلا أن أغلبية المسلمين غير منخرطة في الديانة المنظمة. حيث يبدو أن الاهتمام بارتياد المساجد يرتبط بشكل مباشر بالاهتمام بتزويد الأبناء بالتربية الدينية، وبأحداث محددة، وبالقلق أثناء الفترات العصيبة. فقد حدثت زيادة حادة في عدد المسلمين الذين يؤمون المساجد خلال فترة مجيء الخميني إلى السلطة، على سبيل المثال، ثم بدا أن هذا الاهتمام انحسر بحلول عام١٩٨٣ عندما أصيب الكثيرون بخيبة أمل بالنظام. وتحققت الذروة التالية في إعداد الذين يؤمون المساجد بمناسبة إثارة قضية سلمان رشدي (حيث قدر عدد الذين يحضرون إلى المساجد بـ ٥٠٪ من مجموع أفراد الجماعة). فقد شعر المسلمون المتدينون وغير المتدينين على حد سواء بالامتعاض من سوء الفهم السائد في الولايات المتحدة لقضاياهم المعرضة للخطر، كما آلمهم ما بدا لهم إساءة متعمدة لصورة الدين الإسلامي في أجهزة الإعلام. وقد بدأ كثيرون بممارسة الحضور المنتظم إلى المساجد ليضمنوا أن الحياة في الغرب لن تحول أبناءهم إلى مرتدين يتنكرون لديانة الآباء ويسخرون من أقدس معتقداتها على

---

٢٥ . حسن الترابي: "أولويات التيار الإسلامي لثلاث "عقود قديمة"، في **الإنسان** ١/ ٢ (آب/ أغسطس، ١٩٩٠)، ١٢.

النحو الذي يبدو أنه قد جرى مع سلمان رشدي.

هناك تغييرات تجميلية تأخذ مجراها في الكنائس والمساجد معاً. ففي الكنيسة الكلدانية، مثلاً، أصبح التعميد ممكناً بصب الماء فقط عوضاً عن التغطيس. كما سمح في بعض مراسيم الزواج بعزف منفرد على الأورغن يصاحب الطقوس. ويجري التحول ببطء عن تخصيص مناطق محددة للفصل بين الجنسين الذي يمارس في الكنائس الكلدانية في العراق والكنائس القبطيــــة في مصر.٢٦ وفي الطقوس الأرثوذوكسيـــة تم منذ عام ١٩١٧، توفير الترجمة الإنجليزيـة للصلوات، وتم في عام١٩٢٠ تقديم قداس مختصر بالانجليزية تصاحبة أحياناً موسيقى غربية. في بعض الحالات استبدل المرتل الفرد بالكورس.٢٧ كما حدث هنالك بعض المستجدات في المساجد. فالنساء صرن يحضرن بأعداد كبيرة رغم أن تدفق المهاجرين الجدد قد أدى إلى ازدياد الضغط باتجاه الفصل بين الجنسين، كما أن وصول الزعماء الجدد الملتزمين بالإحياء الإسلامي زاد حث النساء بشدة على ستر أنفسهن عند وجودهن في المسجد.

يواصل المهاجرون العرب، من المسيحيين والمسلمين على حد سواء، التعرض إلى درجات متفاوتة من الضغط الحضاري ضمن إطار الحياة في الولايات المتحدة. فهم يقلقون من إرسال أبنائهم إلى المدارس العامـــة.٢٨ وتصدمهم الممارسات المتبعـــة في المواعيد بين الجنسين ومواجهة ما يبدو لهم مجتمعاً إباحياً، متحللاً، ومدمناً على المخدارت. وهم، بشكل عام، يخشون من أن نسيج مجتمع الولايات المتحدة ودعائمه الاخلاقيـــة والمعنويـــة تتعرض جميعاً للتقويض والهدم ولذلك فهم يعتمدون، بطرق مختلفة، على جالياتهم الخاصة في تأمين الهياكل الخاصـــة التي ينتسبون إليها اجتماعياً، كافراد وعائلات والتي يشعرون بالارتياح لتربية أبنائهم ضمنها.

تتعزز المحافظة على الديانة بظاهرة اعتناق الأمريكيين من غير العرب، ديانات العرب. يعزز هؤلاء المعتنقون هوية المهاجرين بتقوية إحساسهم بتفوق ديانتهم وتقاليدهم على ديانـــة وتقاليد الحضارة المضيفـــة. وتصبح عضوية الجماعة، بناء على ذلك، شارة امتياز يؤكدها أولئك المستعدون لنبذ الديانة الغربية التقليدية. وينتقل قبول المجتمع السائد بذلك إلى مستويات أعمق لا يضطر فيها المرء إلى التخلي عن حضارته الخاصة بل يجد من يشاركة فيها.

وفي حين يرجع عدد كبير من حالات الاعتناق هذه إلى الزيجات المختلطة، فإن قسماً منها ينتج عن اختيارات وجدانية. وهذه الحالات تزود الكنائس والمساجد وبالدفاع عن هذا الحق.

٢٦ . ماري سي. سنجستوك: **الأمريكيون الكلدان** (جزيرة ستاتين، نيويورك: مركز لدراسات الهجرة، ١٩٨٢)، ٧٩، ٨٩.

٢٧ . أليكسا ناف: أن تصبح أمريكياً: **تجربة المهاجرين العرب الأوائل** (كاربوندايل: مطبعـــة جامعة إيلينوي الجنوبية، ١٩٨٥)، ٢٩٣ ـ ٣٠٥.

٢٨ . أرسل المهاجرون المسلمون الأوائل أبناءهم إلى مدارس الأحد المسيحيين وإلى الصفوف اليومية التي تدرس الإنجيل أثناء العطلة من أجل أن يحصلوا على تربية أخلاقية قويمة. وحتى في يومنا هذا يختار بعض الآباء المسلمين لأبنائهم مدارس كاثوليكية أو معمدانية حيث يتم التأكيد على التنشئة الأخلاقية. وهم يفضلون ذلك على إلحاقهم بنظام المدارس العامة.

بأشخاص جدد يحملون معرفة غريزية بأساليب الحياة الأمريكية. وقد قدم المتحولون خدمات ثمينة في مجال المحافظة على الديانة عن طريق تنظيم "مدارس الأحد" والنشاطات الأخرى التربوية والثقافية. وهم غالباً أكثر تحمساً للديانة من الأفراد الاعتياديين، الأمر الذي يخدم قضية تنشيط الجماعة وتسريع عمليات التغير.

الأمريكيون العرب : ميلاد عرقية مركبة

تعرضت الجالية العربية في الولايات المتحدة إلى صدمة أدت إلى ميلاد الهوية الأمريكية العربية إثر الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ وما صاحبها من تغطية صحفية وحيدة الجانب، ودعم شعبي عام في الولايات المتحدة للعدوان الاسرائيلي، والجهد البين المتعمد الذي بذلته حكومة الولايات المتحدة لإطالة مناقشات الامم المتحدة حول وقف اطلاق النار في المنطقة حتى تحقق إسرائيل أهدافها.٢٩

من الواضح أن كلمة "عربي" عنت أشياء مختلفة بالنسبة لجماعات عربية مختلفة في هذة البلاد، فقد فهمتها الأجيال الأولى وابناؤها على أنها وسيلة تعريف عرقي وقومي تؤدي وظيفتها بنفس الطريقة التي أدت العلاقات بأوطان المنشأ وظيفتها بالنسبة للمهاجرين الآخرين. إلا أن تعبير "عربي" تضمن شيئاً أكثر من ذلك بالنسبة للقادمين اللاحقين، حيث يوحي بتراث مشترك لجالية قوية لها تجربتها ولغتها المشتركة، وبمدنية عظيمة حكمت يوماً أجزاء كبيرة من العالم. وخلال الستينات حدثت في مجتمع الولايات المتحدة جملة أمور شجعت على إعادة النظر في الهوية العرقية. فقد فتحت حركة القوة السوداء الطريق أمام جماعات مختلفة من الأقليات في هذه البلاد مجال التفكير في نقاط تشابهها واختلافها عن المجتمع السائد في الولايات المتحدة. إلا أن تعبير "الامريكي العربي" لم يقترن بمعناه الجديد إلا عند وقوع الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧. وأصبحت تجارب العرب في الولايات المتحدة موضوع بحث وتحليل لعدد من المثقفين العرب. وتمت مواجهة حقائق التحامل التى غذتها المشاعر التي تولدت أثناء الحرب وبعدها مباشرة، وأرغم العرب على إعلان حقهم بأن يعتبروا مواطنين كاملين في الولايات المتحدة وبالدفاع عن هذا الحق.

مع ازدياد وضوح تعريف الأمريكيين العرب لذاتهم واختيارهم الواعي لتأكيد

---

٢٩ . إيلين سي. هاجوبيان وآن بادين: **الأمريكيون العرب: دراسات في الاستيعاب** (ويلميت، ايلينوي: مطبعة جامعة مدينة العالمية، ١٩٦٩)؛ فيليب م. كيال وجوزيف م كيال: **السوريون واللبنانيون في أمريكا: دراسة في الدين والاستيعاب** (بوسطن: تواين للنسر، ١٩٧٥)؛ بربارة أسود: **الجاليات الناطقة بالعربية في المدن الأمريكية** (جزيرة ستاتين، نيويورك: مركز دراسات الهجرة، ١٩٧٤)؛ سمير ي أبراهام ونبيل أبراهام: **العرب في العالم الجديد: دراسات عن الجاليات الأمريكية العربية** (ديترويت: جامعة ولاية واين، ١٩٨٣)؛ إيريك جيه. هوجلند: **عبور المياه: المهاجرون الناطقون بالعربية إلى الولايات المتحدة قبل ١٩٤٠** (واشنطن دي. سي.: مطبعة المعهد السميثسوني، ١٩٨٧)؛ جريجوري أورفاليا: **أمام اللهب: بحث عن تاريخ الأمريكيين العرب** (أوستن: مطبعة جامعة تكساس، ١٩٨٨).

هويتـهم المشتركـة حـدثت جملة أمور. فقد اكتسبت هذه الهوية، عند صياغتها، وجـوداً مـرئيـاً جـعل منهـا هدفاً أسهل للكراهية والتحامل. إلا أن الأمريكيين العرب بالمقابل، وجـدوا الأمـان في قـدرتهم على مواجهة المشاعر المعادية للعرب لدى الأمريكيين الآخرين من خـلال انتمائهم إلى جماعـة وامـتلاكـهم لهوية يجدون فـيها إحساساً مشتركاً بالاعتزاز. وقـد أعطاهم تعـبير "الأمـريكي العـربي"، بحـد ذاته، أرضيـة مـشتركة ورابطة مشتركة جـعلت اخـتـلافـاتهم الثـقافية والدينية والقومية تبدو خارج الزمن في العالم المعاصر. وقد أكـدوا مجتـمعين ولاءهم لهذه البـلاد ولمثلهـا، وضـغطوا من أجل الحـصول على ضمانات تشريعـيـة لحـرية الكلام والتجمع، وعلى سياسات خارجية للولايات المتحدة أكثر انصافاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.[٣٠]

وبازدياد ارتبـاط يهود الولايات المتـحدة مع المصالح الصهيونية بعد عام ١٩٦٧، أخذ الأمـريكيـون العـرب يؤكـدون على الأمـور المشتركـــة فيما بينهم. وعند رؤيتهم لفاعلية الجـاليـة اليهودية السياسية في حشد التأييد لسياسات الحكومة الاسرائيلية التوسعية، عمد الأمـريكيـون العرب إلى تعزيز جهودهم الرامية إلي تحقيق المزيد من التسييس فيما بينهم، وإلى تنظيم صـفـوفـهم أمـلاً في التأثير على اتجـاه السـيـاسـة الخارجية للولايات المتحدة، وتصـحـيح المعلومـات المغلوطة عنهم وعن حـضـارتهم، وتاريخهم ودياناتهم. كانت تلك فترة تشكيل المنظمات القـومـيـة المخـتلفة التى تعكس أسماؤها الاهتمام بالمصالح الأمريكية العربية. من تلك المنظمات "الرابطـــة القومية للامريكيين العرب" (NAAA)[٣١] التي تهدف إلى دعم انخـراط العـرب في العـمل السـيـاسي من خـلال النشـاطات السـياسية والاجتماعـية والثقافية والتربوية، ورابطة "خريجي الجامعات الأمريكيين العرب المتحدة" (AAUG) واللجنة الأمـريكية العربية لمناوئة التمييز (ADC) التي يختص عملها بالتصدي للتـحامل على العرب والأمريكيين العرب، والرابطة الأمريكية العربيـــة (AMARA) التي خلفت اتحـاد الولايات الشرقية ESF.

أعطت كل هذه المنظمات للأمـريكيين الغـرب منبراً جـديداً للتـفاهم إضافة إلى كونها أرضيـة مـشتركـة للنشـاط. وقـد سـاعدت على الجمع بين المولودين في الولايات المتحدة والقـادمين اللاحقين من المرتبطين مع القومية العربية. خاطبت فيهم الإحساس بالتاريخ الواحـد والشـعـور بالمصير المشترك في الولايات المتـحدة. وقد تجاوزت الاختلافات الدينية والمذهبـيـة حين ضـمـت في عـضـويتها الأشخاص المعنيين من مختلف الجماعات الدينية: الـسنة والشـيـعـة والدروز؛ الأرثوذوكس والملكيين والكاثوليك والبروتستانت.

وكما أدت حرب عام ١٩٦٧ إلى جمع المتحدثين بالعربيـــة معاً في منظمات تسعي إلى

---

٣٠ . لمناقـشـة تأثير سيـاسـة الولايات الأمـريكيـة الخـارجيـة على المسيحيين في الشرق الأوسط وعلى المسلمين في الولايات المتـحـدة، أنظر مـقـالة المؤلف: "محنة المسـيـحيين في الشرق الأوسط والسـيـاسـة الأمـريكيــــة الخارجية"، شؤون أمريكية عربية/ أمريكان أرب أفيرز ٢٦ (خريف ١٩٨٨): ٥٦ ـ ٧٤؛ "السـيـاسـة الأمـريكيـــة الخارجية في الشرق الأوسط وأثرها على هوية المسلمين العرب في الولايات المتحدة"، في: **مسلمو امريكا** تحرير إيفون يزبك حداد (نيويورك، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩١).

٣١ . نبيــل أ. خوري: "اللوبي العربي: مشاكل واحتمالات"، ميدل إيســـت جورنال، ٤١، ٤٣ (صيف ١٩٨٧).

موازنة سياسة الولايات المتحدة الخارجية في الشرق الأوسط، فإن التدخل الإسرائيلي في لبنان وما تبعه من اجتياح البلاد كانا اختباراً لقدرة تلك المنظمات على البقاء. فقد كان من بين أعضائها مارونيون تربطهم روابط خاصة بالكتائبيين الذين طالبوا لهم بالدعم من قبل حكومة الولايات المتحدة. بينما كان الدروز من جهة أخرى، يشعرون بأن ميل حكومة الولايات المتحدة باتجاه وجهة النظر المارونية الاسرائيلية من شأنه أن يلحق الضرر بإخوانهم في الدين في لبنان.

تم تشكيل "الجامعة اللبنانية الأمريكية/American Lebanese League (ALL) كجماعة لوبي للدعوة للمصالح المارونية. كان توجهها معادياً للفلسطينيين، كما أيدت اتخاذ سياسة متشددة من قبل الولايات المتحدة ضد سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية. كما أدى الصراع في لبنان إلى تشكيل "لجنة العمل السياسي الأمريكية الدرزية/ American Druze Political Action Group" (ADPAG) المعنية بموازنة ما كان يبدو انحيازاً للمارونيين من جانب حكومة الولايات المتحدة. وقد توقف نشاطها السياسي بانتهاء الحرب الأهلية في لبنان.

بحلول عام ١٩٨٤، كانت هناك جمعيات درزية في فرجينيا الغربية وكاليفورنيا وفرجينيا ونيويورك ونيوجيرسي وكونيكتيكت وماساشوستس وتكساس وجورجيا. ولدراسة الجالية أنظر إيفون يزبك حداد وجين إيدلمان سميث، **رسالة إلى أمريكا: خمس جاليات طائفة إسلامية في أمريكا الجنوبية** (غينزفيل: مطبعة جامعة فلوريدا ١٩٩٣)، ص٢٣ ـ ٤٨.

كما شهدت الثمانينات تصاعد اهتمام المسلمين بالحقل السياسي. إذ تشكلت بضع لجان إسلامية للعمل السياسي أملاً في التأثير على العملية السياسية في الولايات المتحدة: (المسلمون المتحدون في أمريكا، إسلام باك، إمباك). (تضم لجان العمل السياسي هذه أعداداً كبيرة من المسلمين الآسيويين الذين عانوا أيضا من الإحباط فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط). إن ما يثير الاهتمام حول الأفراد المنخرطين في هذه الجماعات هو أن اهتمامهم، قبل عقد من السنين، كان ينصب على إحداث تغير سياسي في أوطانهم الأصلية وعلى تأسيس حكومات إسلامية. ولم يبدأ المهاجرون اللاحقون من المسلمين بالإحساس بأنهم في وطنهم في الولايات المتحدة إلا بحلول الثمانينات حين بدأوا يجربون، بحذر شديد، العمل في المجال السياسي في هذة البلاد. وفي الوقت الذي تمتعت فيه بعض المنظمات العربية الأخرى بمساهمة الأمريكيين العرب الذين سعوا إلى التأثير على سياسات الحكومة، فإن هؤلاء المهاجرين المسلمين كانوا مستجدين على هذا النوع من النشاط التنظيمي.

تشعر الجالية الأمريكية العربية أحياناً بمحاولات السيطرة عليها من قبل جهات خارجية أخذت ترى أن استخدام الأنواع الملائمة من التمويل يمكن حمل العرب في الولايات المتحدة على التصرف كمجموعة ضغط لخدمة المصالح القومية لتلك الجماعات بنفس الطريقة التي تعمل بها الجالية اليهودية كمجموعة ضغط لخدمة المصالح الإسرائيلية. وفي حالات قليلة، قام دبلوماسيون من أقطار عربية بتمويل منظمات

مختلفة في الولايات المتحدة. فخلال مطلع الثمانينات على سبيل المثال، بدا أن الحكومة العراقية اكتسبت تأثيراً على بيروقراطيي الـ FIA الذين استخدمت مجلتهم لتأييد صدام حسين والتنديد بآية الله الخميني إبان الحرب الإيرانية العراقية. وقد أدى النزاع بين نظام البعث العراقي والسعوديين إلى أن تقوم المنظمة برفع الدعوى على جامعة العالم الإسلامي حول حقوق ملكية مساجد في الولايات المتحدة. ونشأ تبعاً لذلك، حذر من المسؤولية من أي نوع لأي مصدر غير أمريكي. كما يخشى الأمريكيون العرب من أن يقود الارتباط بجماعات خارجية إلى انقسام في صفوف الجالية حين تأخذ الحكومات المختلفة باستخدام المنظمات العرقية كامتداد لجهود العلاقات العامة التى تبذلها في الولايات المتحدة.

إن وجود المغتربين العرب (طلاب ورجال أعمال وسياح وأقارب ودبلوماسيين، إضافة إلى أولئك الذين وجدوا الاستقرار والعمل) وانخراطهم ضمن الجالية الأمريكية العربية ترك أثراً على ما يمكن أن يسمى بعملية تأمرك أفراد تلك الجالية. إن تصاعد التحديث في العالم العربي، ونمو طبقة ثرية قادرة على تحمل نفقات السفر، أمنا دفقاً مستمراً من الأشخاص الجدد الذين يحملون معهم معلومات عن آخر التطورات في أوطانهم الأصلية. فقد سعى طلاب الستينات إلى تأمين وجود واقعي متماسك للهوية الأمريكية العربية وإلى المساعدة في تحديد بؤرتها ونظرتها العالمية. في حين حاول طلاب السبعينات، ثم طلاب الثمانينات على وجه أخص أن يقدموا رؤيا إسلامية ترفض، بالأساس، الهوية العربية باعتبارها عودة إلى العشائرية. وبقليل من الإدراك والمعرفة التمهيديين للمشهد العام في الولايات المتحدة، قاموا بتأكيد مفاهيم، ومثل، ورؤى طورت فيما وراء البحار.

النتيجة

في الوقت الذي لا يوجد فيه إجماع بين المسلمين حول الدور الإسلامي لأقلية من السكان في مجتمع تسوده المسيحية، يوجد أمل بأن تحقق الولايات المتحدة قيمها المعلنة في الفصل بين الكنيسة والدولة، وأن لا يقوم أولئك الذين يتحدثون عن الولايات المتحدة بصفتها أمة تقوم على القيم المسيحية اليهودية بالدعوة إلى أرضية دينية يستثنى منها المسلمون. وقد اعتبر إعراب قلة من الزعماء السياسيين عن رغبتهم في يوم يتحدث فيها الرؤساء وأعضاء الكونغرس عن أمريكا مسيحية ويهودية ومسلمة علامة مشجعة. وحين رحب الرئيس ريغان بالبابا في فلوريدا باسم الأمريكيين المتدينين في الكنيسة والكنيس والمسجد، وحين علق المرشح الرئاسي مايكل دوكاكيس في خطابة أمام المؤتمر الديمقراطي حول الأمريكيين المسيحيين واليهود والمسلمين، فسر البعض، داخل الجالية الإسلامية وخارجها، هذة الإشارات على أن مسلمي هذه البلاد قد حصلوا أخيراً على الاعتراف بهم.

بالنسبة للمسيحيين القادمين من العالم العربي، تحقق نجاح نضالهم من أجل قبولهم

كجزء من الحياة الدينية في الولايات المتحدة أثناء الستينات عندما أعيد تنظيم الجاليات بصفتها أنظمة قضائية منفصلة. والكنيسة الأنطاكية عضو نشيط في المجلس الدولي لكنائس المسيح في الولايات المتحدة. كما أن لديها روابط وثيقة مع الكنائس الأرثوذكسية الروسية، والإغريقية، والألبانية في أمريكا الشمالية. وقد تخرج من معاهدها اللاهوتية كهنة تولوا أبرشياتها كان من بينهم عدد من الإيرلنديين الذين تحولوا إلى الكنيسة الأنطاكية. وتبشر دائرة أتباعها الواسعة بالبقاء والاستمرار. من ناحية أخرى، تواصل الكنائس التوحيدية Uniate الضغط باتجاه اللاتينية. فقد التحق كثير من أبناء العائلات التى تتبع الكنائس التوحيدية بالأبرشيات الكاثوليكية الرومانية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار قلة أفراد هذة الكنائس، وحقيقة كونها تؤدي دور الكنيسة المغذية للكاثوليكية الرومانية، يصبح من المثير للاهتمام معرفة ما إذا كانت الكنائس التوحيدية ستستمر في البقاء في مجتمع الولايات المتحدة عندما يتوقف تدفق المهاجرين المسيحيين العرب.

بغض النظر عن بقاء الخصوصيات الدينية، فإن الجالية المسيحية العربية في أمريكا الشمالية تبدو في طريقها إلى الاندماج الاجتماعي والسياسي التام. وقد تم انتخاب أبنائها وبناتها لمناصب إدارية، ليس بسبب التصويت القطاعي العرقي، بل لأنهم اندمجوا في حياة الولايات المتحدة.٣٢ واندماج المسلمين يأخد مجراه هو الآخـــر، إلا أنه يبدو أكثر صعوبة بسبب توجس الولايات المتحدة الطويل من الإسلام الذي عززته الأحداث الأخيرة في الشرق الأوسط وتورط الولايات المتحدة هناك. إن الشعور المتنامي بين الإحيائيين المسلمين هو أن الولايات المتحدة عبارة عن بلد مسيحي يخشى الإسلام ويمقته، وقد تعزز هذا الشعور بسلسلة من الحوادث المعادية للاسلام ـ التي اتسمت بالعنف في بعض الأحيان ـ وجاءت كنتائج لأحداث وقعت في العالم العربي ولانتشار التشوية الإعلامي عن الإسلام في هذا البلد.

إن الجالية الأمريكية العربية ككل، مسيحيين واسلاماً، سوف تستمر في تغير تركيبها وأشكال هويتها الذاتية في السنوات القادمة. وستتأثر بموجات الهجرة وبالعقائد والالتزامات التي سيجلبها المهاجرون الجدد معهم. وسوف تتأثر بدرجه ما بالدرجة التي تذهب إليها الولايات المتحدة من التسامح، أو عدم التسامح، الذي تتعرض له، وبالتشكل الضروري لاستجاباتها الخاصة لهذة المشاعر. وسوف تتأثر بعملية الاستيعاب في الولايات المتحدة التى يتم خلالها تحويل أعضاء الجماعات العرقية إلى أمريكيين سواء كانوا مستعدين لذلك أم لا.

---

٣٢ . يشمل هذا أعضاء في مجلس الكونغرس مثل ميتشل ورحال وعضوات نساء في الكونغرس مثل أوكر وأعضاء مجلس الشيوخ مثل أبو رزق وعبد نور وحكام ولايات مثل سنونو وعطية. وقد عين الرئيس كلينتون أول عربية في مقعد وزاري هي دونا شلالة.

النساء الفلسطينيات في المجتمع الأمريكي .
تفاعل الطبقة الاجتماعية ، والثقافة ، والسياسة

لويز كينكار

إن الأبحاث في المهاجرات العربيات في الولايات المتحدة مفتقرة إلى حد مفجع. فقد ركزت معظم الدراسات حول المهاجرين العرب على حياة الأفراد الذكور وأنماطها الاجتماعية والاقتصادية في تلك الجاليات بالرغم من أن هذا التركيز لا يكون محدداً في العادة (كينكار ١٩٨٨). ولا تتفرد الأدبيات المكتوبة عن المهاجرين العرب بهذه الخاصية. فكتاب ميلتون غوردون **الاندماج في الحياة الأمريكية: دور العنصر والديانة والمناشىء الوطنية** (١٩٦٤) لايزال يعتبر واحداً من أهم الأعمال النظرية حول تكيف المهاجر، إلا أنه مستند بشكل يكاد يكون تاماً على دراسات المهاجرين الذكور. ويعتبر وضع الدراسات محبطاً بشكل خاص بالنظر إلى أن النساء شكلن غالبية المهاجرين إلي الولايات المتحدة اعتباراً من عام ١٩٣٠ (هاوستون وكرامر وباريت ١٩٨٤). إن ما كتب حول الجاليات المهاجرة، والاندماج، والهوية يؤكد أهمية الجماعات الأولى والجالية العرقية في توليد الثقافة العرقية، إلا أنه يهمل ،بانتظام، المؤثر الرئيس في عملية التوليد هذه، ألا وهو النساء. وقد أدت الزيادة في الدراسات حول النساء والنساء كمهاجرات في سنوات السبعينات والثمانينات إلى إحداث تغييرات قليلة في بُنية النتاج المكتوب حول المهاجرين "ما زال الانحياز إلى الذكور قائماً" حسب قول مرجانة موروكفاسيتش محررة العدد الخاص حول المرأة في الهجرة من مجلة **انترناشنال مايغرايشن ريفيو** (موروكفاسيك ١٩٨٤). ولسوء الحظ فإن هذا القول ما زال صحيحاً إلى حد كبير في عام ١٩٩١.

هذا المقال جزء من دراسة أشمل حول المهاجرين الفلسطينيين في الولايات المتحدة تبحث في العلاقات بين تجربة الهجرة الفلسطينية والجنس، والطبقة، والعرقية والإطار السياسي ـ الاجتماعي. وقد تبين أن الجنس يمثل متغيراً حاسماً يؤثر في أنماط الحياة اليومية بين المهاجرين الفلسطينين على الأقل بنفس الدرجة التى تؤثر بها الطبقة أو العرقية (كينكار ـ ١٩٨٨). فقد كانت الحياة اليومية للمهاجرات الفلسطينيات، والطرق التي يتفاعلن بها مع المجتمع المضيف، ودرجة انخراطهن في السياسة العامة تختلف

بوضوح عما لدى المهاجرين الفلسطينين من الرجال. وإذ تظهر الدراسات التي تتناول المهاجرين العرب في الولايات المتحدة أن الإطار السياسي الاجتماعي يؤثر سلبياً على اندماج العرب في مجتمع الولايات المتحدة وثقافتها.[1] فقد وجدت أن النساء، بين الفلسطينين على الأقل، يتحملن من عبء الاندماج قسطاً يفوق ما يتحمله الرجال. إذ أن الدافع القوي الذي يشترك فيه النساء والرجال الفلسطينيون في الولايات المتحدة الهادف إلى "إبقاء فلسطين حية" عن طريق المحافظة على الارتباط القوي بثقافتهم الوطنية التي يرون أنها تواجه احتمالات الفناء يضع ضغوطاً أكثر للاندماج على النساء الفلسطينيات تفوق ما يضعه على الرجال الفلسطينيين.

يعتبر الجنس والعرقية مؤثرات قوية على اتجاهات الحياة اليومية للمهاجرين، إلا أن تأثرها ليس واحداً في جميع الحالات. وبعد تقديم صورة عامة للمهاجرات الفلسطينيات في الولايات المتحدة، سوف تتناول هذه الدراسة أثر الوضع الاجتماعي - الاقتصادي على حياتهن خصوصاً عندما يتفاعل مع العرقية. وقد استقيت الصورة والمعلومات، والنتائج من بحثي الذي أجريته للفترة ما بين ١٩٨٢ـ ١٩٨٦ حول النساء الفلسطينيات والفلسطينيات المسلمات المهاجرات إلى الولايات المتحدة أو المولودات لآباء مهاجرين. ومنذ ذلك الوقت، دأبت على متابعة الموضوع بمقابلات ترمي إلى تقدير أي تغير يمكن أن يكون قد حصل على مر الأيام ، وقد جمعت المعلومات المنهجية بين البحث التاريخي والبحث الميداني ضمن الجالية (مشاركة ومتابعة) و١٩٢ مقابلة مع نساء فلسطينيات مسلمات تتراوح أعمارهن بين التاسعة عشرة والأربعين (مولودات في الفترة ما بين١٩٤٢ و ١٩٦٣). وقد شملت المقابلات١٥٠مقابلة شخصية و٤٢ مقابلة تناولت بالعمق تاريخ حياة المرأة المعنية. وقد أجريت جميع المقابلات في منطقة شيكاغو وباللغة الإنجليزية.[2] ومثلت العينة النساء المتزوجات والعازبات بشكل

١ . لاحظ جلاسر في "حركيات الهوية العرقية" أن عمليات الاستيعاب تعيقها "تجارب في أمريكا تجعل أولئك الذين يشتركون فيها يشعرون بأنهم أقل من أمريكيين كاملين". وبينت دراسات المهاجرين العرب أن الأحداث السياسية في الوطن (زغل ١٩٧٧) وسياسة الولايات المتحدة نحو فلسطين (الخولي ١٩٦٦) والاغتراب السياسي والاختلافات الثقافية (قسيس ١٩٧٠) وإدراك العيش في منفى إجباري (ستكتون، ١٩٨٥) عملت ضد استيعاب المهاجرين العرب في الثقافة والمجتمع الأمريكي.

٢ . ضرورة إجراء مقابلات باللغة الإنجليزية أدت إلى انحراف في العينة، لكن مدى هذا غير واضح. الأغلبية بين النساء الفلسطينيات غير الناطقات بالإنجليزية هن النساء العواجيز اللواتي لم تجر مقابلتهن بأي طريقة من الطرق بسبب حدود عمر العينة. والنساء ضمن مجموعة ١ المدروسة يملن إلى التكلم ببعض الإنجليزية حالما يقمن في الولايات المتحدة، لكنهن حين يبدأن فعل هذا يختلفن طبقاً لخلفيتهن التعليمية ، ووعلاقتهن بمواطني الولا يات المتحدة وما إذا درسن مساقاً في اللغة هنا. يبدأ تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الفلسطينية في آخر المرحلة الابتدائية، مع أن أغلب الفلسطينيين يدعون أن هذا ليس كافياً للعيش في بلاد تتكلم الإنجليزية. إن النساء الفلسطينيات اللواتي حصلن على تعليم في كلية في فلسطين أو بلد عربي آخر مجهزات على نحو أفضل في اللغة الإنجليزية. من المحتمل أن العينة تنقصها المهاجرين حديثي القدوم (أقل من سنة واحدة) والنساء اللواتي لا يتصلن بالأمريكيين إطلاقاً ولن يدرسن اللغة وهن في الولايات المتحدة. وتقديري، من اتصالي بالجالية، هو أن العدد ضئيل نسبياً في عمر المجموعة التي درستها.

متساو وكذلك الأمر بالنسبة لمختلف الطبقات الاجتماعية لغرض تقديم عينة تمثل الجالية في شيكاغو (التي تعكس أنماطاً واضحة في الولايات المتحدة ككل) أعطيت أهمية أكبر للنساء اللاتي ينتمين إلى منطقة القدس/رام الله، في فلسطين، وهي المنطقة التي يفوق أبناؤها عدد بقية الفلسطينيين من أماكن أخرى. تعتبر الجالية الفلسطينية في شيكاغو واحدة من الجاليات الفلسطينية الأربع الكبرى في الولايات المتحدة. وتوجد لديها منظمات متعددة، وتتميز بالاختلافات الطبقية، والتعليمية، والإيديولوجية. وهي تقدم صورة متوازنة عن الفلسطينيين في الولايات المتحدة حيث أنها تميل إلى ترجيح تمثيل أي من التصنيفات الطبقية، أو الإقليمية، أو المهنية للمهاجرين الفلسطينيين في الولايات المتحدة. وسوف يقتصر البحث في هذا المقال على المهاجرات من النساء الفلسطينيات ويستثني أولئك اللاتي ولدن ونشأن في الولايات المتحدة.[٣]

أوجه الشبه

تهاجر النساء الفلسطينيات إلى الولايات المتحدة بصفتهن زوجات، أو بنات، أو أخوات للمهاجرين من الرجال. وأولئك اللائي يهاجرن مستقلات قليلات نسبياً. ولا ينطبق هذا على الرجال الفلسطينيين، الذين يهاجرون مستقلين عادة من أجل الدراسة أو العمل أو من أجل أن يتقدموا هجرة عائلية. هذا النموذج ليس مقتصراً على الفلسطينيين أو العرب. بل هو في الواقع النموذج الأعم من الهجرة إلى الولايات المتحدة وهو يعكس نموذجاً يكاد يكون عالمياً للعلاقة الاجتماعية بين الجنسين في المجتمعات ذات التكوين الأبوي.[٤] إن ارتباط النساء المهاجرات بالعائلة، وهو تقليد أبوي، يسمح للعائلة بالاستمرار في ممارسة المواقف الأبوية التقليدية تجاه المرأة بعد الهجرة. ويؤدي هذا إلى اختلاف تجربة الهجرة لدي النساء عنها لدى الرجال المستقلين، أو الرجال بشكل عام. وهو يعني أن النساء قد لا يتمتعن بالحرية في أن يقررن بأنفسهن الطريقة التي يتفاعلن بها مع المجتمع المضيف الجديد. ويعني كذلك انتقال الأدوار التي تلعبها النساء في عائلاتهن إلى البيئة الجديدة بغض النظر عن مدى اختلاف تلك البيئة. وفي جالية مثل الجالية الفلسطينية، حيث تعتبر المحافظة على الثقافة أمراً بالغ الأهمية بالنظر لفقدان الدولة والاحتلال والشتات، ولأن هذا العمل يجب أن يتم في البيت أو ضمن أجواء الجالية، فإن النساء مطالبات أكثر من الرجال بأن يكن تقليديات وأن يحافظن على الأدوار التقليدية. وبالنتيجة، فإن الجنس والسياسة يتداخلان ليضعا عبئاً مزدوجاً على المرأة الفلسطينية من أجل المحافظة على التقاليد.

تشترك المهاجرات الفلسطينيات، رغم الاختلافات بينهن، بميزات محددة أخرى. إذ يصعب، على المستوى السياسي، العثور في الولايات المتحدة على امرأة فلسطينية لا

٣ . الفروق بين النساء الفلسطينيات المهاجرات والمولودات من مهاجرين فلسطينيين والمتربيات هناك أكبر مما يمكن مخاطبتهن. أنظر كينكار ١٩٨٨، ١٩٩١.

٤ . أنظر كينكار ١٩٨٨ لمناقشة تفصيلية لجنس ونماذج الهجرة.

تكترث بعمق بالوضع السياسي للشعب الفلسطيني المحروم من دولته، إلى جانب اهتمامها بما يجري في المناطق الفلسطينية الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي من عنف عسكري ومصادرة للأراضي. وليس في ذلك ما يثير الدهشة ما دامت غالبية المهاجرين الفلسطينيين الموجودين الآن في الولايات المتحدة جاءت من الضفة الغربية حيث كانت قد عاشت تحت ذلك الاحتلال (كينكار ١٩٨٨). إضافة إلى ذلك، فإن الأغلبية الساحقة من النساء الفلسطينيات في الولايات المتحدة يقلن أنهن يخططن للعودة إلى فلسطين في حال قيام الدولة الفلسطينية. إن مدى تحقق هذا قد يكون مسألة فيها نظر لكن ما دامت العودة غير ممكنة كما هي الحال الآن، فإن هذا الهدف المعلن يؤثر تأثيراً بالغاً على التجربة الفلسطينية في الولايات المتحدة.

عرف سيمل (١٩٢١، ٤٠٢) مفهوم "الغريب" من وجهة نظر علم الاجتماع في معرض وصفة للاشخاص الذين يحملون هذا الاتجاه بأنه "الشخص الذي يأتي اليوم ويمكث غداً ... المتجول المحتمل" وقد استعمل بوناسيتش (١٩٧٣، ٥٨٤) مفهوم "العابر" لوصف المهاجرين الذين لا ينوون الاستقرار الدائم والذي يديمون المحافظة على تعلق غير مألوف بأرض الوطن ورغبة بالعودة إلية. وقد أظهرت الدراسات أن المهاجرين من هذا النوع يميلون إلى إقامة علاقات تضامنية داخلية رفيعة المستوى في بلدان المنفى ويبتعدون عن إقامة علاقات دائمة مع أفراد المجتمع المضيف. وهم يكافحون من أجل المحافظة على روابط عرقية قوية "لأنها ستظل باقية في المستقبل الذي يتوجه إليه العابر" (المصدر السابق، ٥٨٦). والمستقبل الذي يتوجه إلية العابر هو أرض الوطن. وبناء على ذلك لا ينبغي تبني النماذج الاجتماعية التي لا تلائم ثقافة أرض الوطن. كما يميل العابرون إلى شغل مواقع اقتصادية محددة في المجتمع المضيف تشمل موقع الوسطاء بين المنتج والمستهلك. وهذا يعني أنهم يميلون إلى تحصيل معاشهم في مجال خدمات بيع البضائع بالجملة والمفرق. هذه الملامح التى تصف الغرباء والعابرين تنطبق بدقة على المهاجرين الفلسطينين في الولايات المتحدة.

على مستوى القيم الاجتماعية، تؤمن غالبية النساء الفلسطينيات المهاجرات في الولايات المتحدة بأن قيماً معينة تعتبر تقليدية في المجتمع الغربي هي التى تشكل عماد حضارتهن وتستحق منهن أعلى دراجات الاحترام. وتشمل هذه القيم أولوية العائلة الموسعة، والمسؤولية الجماعية عن الأقارب، والضيافة، واحترام الأشخاص الأرفع مكانة، والتحكم في النشاط الجنسي لدى المرأة. والفلسطينيون ليسوا الجماعة الوحيدة التى تتمسك بهذه القيم، فهي توجد حالياً لدى جاليات أخرى في الولايات المتحدة، وأغلبها جاليات مهاجرة مما يعرف بالعالم الثالث.

الفروق

إلا أن هذه القيم المشتركة بين النساء الفلسطينيات المهاجرات في الولايات المتحدة تفسر، بشكل مختلف، من قبل الجماعات الفرعية ضمن الجالية والتى تحددها إلى حد

كبير الفروق في الطبقات الاجتماعيــة. ويعتبر مفهوم غوردون (١٩٦٤) للطبقة العرقية مفيداً في تفسير وجود تنوعات في النماذج السلوكية وفي القيم داخل الجماعات العرقية المتميزة بدرجة عليا من التضامن الداخلي والقيم المشتركة. إذ يتمتع الأفراد، داخل الجماعات العرقية، بنوعين من الانتماء الواعي يعملان في آن واحد: التماثل التاريخي - وهو إحساس الانتماء إلى شعب واحد يشارك فيه الفرد بقية أعضاء الجماعة - وتماثل المشاركة وهو إحساس بالتماثل الابتدائي مع جماعة عرقية يشترك معها الفرد في الانماط السلوكية والقيم المشتركة. وتقتصر العلاقات الأولية عادة، على الأشخاص الذين يشتركون في هذين النوعين من التماثل، وهم أشخاص ينتمون إلى نفس الطبقة العرقية لأن القيم والسلوك يميلان إلى الارتباط بالطبقة وبالعرقية. ومن المهم للمرأة الفلسطينية أن تساير التفسيرات القيمية والسلوك الذي يعتبر ملائماً في طبقتها العرقية أو الجماعة التى تنتمي إليها لكي تبدو لسواها من الفلسطينيين فلسطينية صالحة وفرداً جيداً في الجماعة العرقية. أما آراء الفلسطينيين خارج طبقتها العرقية فإنها تبدو أقل أهمية لأن أبناء الطبقة التى تنتمي لها هم الذين يعرفونها بصفتها عضو في الجماعة أو يعلنونها شخصاً منبوذاً في الحالات التى تخالف ذلك.

وبما أن المهاجرين الفلسطينيين في الولايات المتحدة لا ينتمون جميعاً إلى الطبقة الاجتماعية ذاتها، فإن الطريقة التي يمارسون بها حياتهم تختلف بنفس الطريقة التي تختلف بها حياة أبناء الطبقات السفلى والمتوسطة والعليا من الأمريكيين - أو من الفلسطينيين الذين يعيشون في فلسطين. يندرج الفلسطينيون في الولايات المتحدة ضمن الطبقتين الوسطى والسفلى. ولأغراض الدراسة يمكن توزيعهم على مجموعتين رئيسيتين: أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وأولئك الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة - العليا.٥ وتشترك كل من هاتين الجماعتين بسمات تاريخة وديموغرافية مهمة جداً بالنسبة لموقع الجماعة الطبقي وتفسيرها للثقافة والقيم الفلسطينية في الولايات المتحدة. وقد وجدت أن اختلاف المنشأ الحضري عن المنشأ الريفي لا يحدد الوضع الطبقي أو الانماط السلوكية في الولايات المتحدة، لأن معظم الفلسطينيين الموجودين هنا ينحدرون من القرى. كما لا تلعب سنوات الهجرة، ولا مستوى التعليم، ولا عمر المهاجر دوراً في تعيين قِيَمه؛ إنما يعود الدور الأكبر في ذلك إلي تاريخ هجرة العائلة والوضع الاقتصادي - الاجتماعي في فلسطين (كينكار ١٩٨٨).

سلسلة المهاجرين من الطبقة الوسطى

خلفية

إن غالبية الفلسطينيين المنتمين إلى الطبقة الوسطى والطبقة الوسطى - العليا في الولايات المتحدة تنتمي إلى عائلات سبق لواحد على الأقل من أبنائها أن هاجر إلى الولايات المتحدة قبل ١٩٦٧، أو خلال الخمسينات ومطلع الستينات، أو ما بين١٩٠٠،

٥ . أنظر كينكار ١٩٨٨ لمناقشة تفصيلية عن الأنماط الاقتصادية والجنسية .

١٩٢٠، وهي المرحلة الأرجح. وفي أثناء هذه السنوات، استطاع المهاجر الذكر، الذي جاء فقيراً أو من خلفية فلاحية، أن يتسلق السلم الاجتماعي الاقتصادي في الولايات المتحدة منتقلاً في العمل من بائع متجول في الشوارع أو تاجر صغير إلى صاحب عمل مستقر أو عامل خدمات ماهر في أعمال شبه مهنية. إن هذا النمط من الانتقال الاجتماعي ـ الاقتصادي يكاد يكون نموذجياً بالنسبة لمعظم المهاجرين في الولايات المتحدة. وقد كان هؤلاء الفلسطينيون الذين أخذوا يجلبون زوجاتهم وينشؤون عائلات في الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٩ قد حققوا وضعاً اجتماعياً اقتصادياً جيداً عندما وصلت الموجة الكبيرة من الفلسطينيين في أعقاب عام ١٩٦٧. وقد كان الضغط من أجل المحافظة على فلسطينية الفلسطينيين في الولايات المتحدة قبل عام ١٩٦٧ أقل منه مما أصبح عليه بعد ذلك حين وقعت الاجزاء المتبقية في فلسطين تحت الحكم العسكري الإسرائيلي وبدأت عملية محو عروبة كامل الأرض الفلسطينية. فحتى ذلك التاريخ، كان ذلك الجزء من فلسطين الذي قدمت منه أغلبية المهاجرين (الضفة الغربية) ما يزال تحت الإدارة العربية (الأردنية). لقد اعتبرت جماعة المهاجرين الفلسطينيين الأوائل (قبل ١٩٦٧) نفسها في حالة هجرة اقتصادية وواجهت التكيف مع مجتمع الولايات المتحدة بالتحفظات نفسها التي يواجه بها غيرها من المهاجرين. وقد واجه الفلسطينيون المسلمون، وهم موضوع هذا الفصل، حضارة مسيحية غالبة أعاقت تكيفهم مع مجتمع الولايات المتحدة. إلا أنه استناداً إلى دراسات أجريت على جاليات فلسطينية أقدم عهداً في الولايات المتحدة ومقابلات مع مهاجرين فلسطينيين تمت قبل عام ١٩٦٧، ظهر أن أثر الاختلاف الديني في إعاقة التكيف أقل بكثير من أثر الفقدان الكامل لفلسطين عام ١٩٦٧.[٦]

حصل أفراد العائلة الآخرون الذين التحقوا فيما بعد بأولئك المهاجرين الأوائل على فوائد اقتصادية سريعة من أرصدة أسلافهم وخبرتهم في مجال الأعمال وشبكات المعارف التى سبق لهم أن أسسوها. ولم يكن على القادمين الجدد ضمن هذه السلسلة العائلية أن يتحملوا مصاعب الكفاح من أجل الحصول على مواضع قدم اقتصادية في الولايات المتحدة كما حدث بالنسبة للمهاجرين الأوائل. وقد استطاع أقرباء المهاجرين الأوائل، سواء كان وصولهم قبل أو بعد عام ١٩٦٧، أن ينتقلوا، اقتصادياً، بسرعة إلى صفوف الطبقة الوسطى في مجتمع الولايات المتحدة.

كان أسلافهم قد أرسوا بالفعل أنماطاً للتكيف مع مجتمع الولايات المتحدة. وبينما كانت المحافظة على الثقافة الفلسطينية والسلوك الذي يتماشى مع الإسلام قيماً مهمة، كذلك كان تبني بعضاً مما اعتبر أفضل المظاهر الثقافية للطبقة الوسطى في الولايات المتحدة. بدا للنساء الفلسطينيات الشابات المنتميات إلى هذه الطبقة، سواء كن قد هاجرن قبل أو بعد ١٩٦٧، أن وجود المرأة الفلسطينية في الولايات المتحدة يعني الأخذ بما هو أفضل من كلتا الثقافتين.

هذا الموقف المتسامح نوعاً ما من جانب المهاجرين الفلسطينيين إزاء الثقافة الغربية لم

٦ . أنظر مثلاً، الطاهر ١٩٥٢ وكينكار ١٩٨٨.

يبدأ مع الهجرة. حيث تشير الدراسات التي أجريت على قرى فلسطينية لها عدد كبير من المهاجرين في الغرب، قبل عام ١٩٦٧، أن العائلات التي كانت تعيش على المبالغ المحولة إليها من الغرب، كانت تعتبر من قبل القرويين الآخرين متبنية للقيم الغربية ورافضة لأساليب الحياة التقليدية. (لطفية ١٩٦٦: إسكريبانو و الجوبيه ١٩٨١). ومن أجل ذلك، تعرضت هذه العائلات لشيء من الاحتقار في القرية. أن الدخول المحولة من أمريكا (الشمالية، والوسطى، والجنوبية) سمحت للفلاحين أن يحققوا قفزات في موقعهم الاجتماعي، غيرت العلاقات الاقطاعية التقليدية. فالعائلات التي عاشت على مدى سنوات على الدخل الذي تدره قطعة صغيرة من الأرض استثمرت الدخل المتحقق لها عن طريق التحويلات في اقتناء المزيد من الأرض وفي المباني، والمنازل الجديدة، وفي تعليم أبنائها. أثناء فترة حكم الإنجليز، ثم الأردنيين للضفة الغربية، لم يعد أولئك الشبان مزارعين، بل أصبحوا رجال أعمال صغار، أو موظفين في الحكومة المدنية، أو معلمين في المدارس. لقد تحدت هذه العائلات في آن واحد كلاً من الهيكل الاجتماعي التقليدي في القرية والقيم الاجتماعية. أخذ الألوف من الفلسطينين الذين كانوا يعيشون على تحويلات من الولايات المتحدة بالهجرة إلى الولايات المتحدة كل عام في أعقاب الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية. وقد كان هؤلاء الفلسطينيون في الوقت الذي تركوا فيه أرض الوطن أعضاء في الطبقة الفلسطينية الوسطى الجديدة المتأثرة بالحياة الغربية والتي كانت تقطن في فلسطين المحتلة. ولم تكن قيمهم وأساليب حياتهم تتناقض مع مجتمع الولايات المتحدة الذي انتقلوا إليه بالقدر الذي عرفته الموجة الكبيرة من الفلاحين الفلسطينيين الذين جاؤوا إلى الولايات المتحدة بعد عام ١٩٦٧.

القيم

دخلت النساء الفلسطينيات المنتميات إلى هذه الجماعة الفرعية اللائي قدمن مع أزواجهن أو آبائهن أو التحقن بهم فيها بعد في شبكة مستحكمة من الأقارب في الولايات المتحدة، ثم انتقلت بسرعة نسبية إلى الطبقة الوسطى فيها حيث تكيفن بشكل جيد مع الكثير من قيم هذه الطبقة. وهن يعشن اليوم في مناطق الطبقة الوسطى البيضاء من الضواحي، الأمر الذي يعرضهن يومياً إلى قيمها ويعزز لديهن تلك القيم. تشكل منازلهن، وعوائلهن، وتربية أبنائهن، وحصولهن على الوسائل المادية التى تؤمن الراحة وتوفر الجهد قيماً يشتركن فيها جاراتهن من غير الفلسطينيات. وفي الوقت الذي يؤيد فيه الفلسطينيون، رجالاً ونساء، التوجه الثقافي الفلسطيني التقليدي القائل بأن على النساء أن يظهرن الاحتشام في سلوكهن وملبسهن، فإن ملابسهن غربية ومسايرة للموضة ويكتفين فيها باستبعاد التنانير القصيرة، والسراويل القصيرة (الشورتات). والأجزاء العليا عارية الأكمام. أما في داخل منازلهن فتظهر العلامات المرئية للهوية الفلسطينية. فالنساء الفلسطينيات يزين منازلهن بالمنتوجات الفلسطينية ـ مثل الخرائط

والمطرزات والأواني. وفي الوقت الذي تؤمن فيه هؤلاء النسوة الفلسطينيات بأهمية التكاتف، والدعم، والتضامن ضمن العائلة الكبيرة، فإنهن يقيمن، أيضاً، خصوصية العائلة. ويبدو أن الضيافة العربية التقليدية تولد، بلا تفكير، لدى النساء الفلسطينيات، إلا أن هؤلاء النساء غالباً ما يتجاوزن اعداد الأطعمة الفلسطينية الذي يستغرق وقتاً طويلاً ويستعضن عنها بمأكولات الولايات المتحدة سريعة الإعداد.

ترغب هؤلاء النساء في أن يتكلم أبناؤهن العربية، إلا أنهن يجدن أن جهودهن لا تحقق إلا نجاحاً نسبياً. ومن أسباب ذلك أن الكلام غالباً ما يدور بالانجليزية في البيت بين الآباء والأقارب الذين يفترض أن يتعلم الأبناء العربية منهم. فبعض الأقارب قد أمضوا وقتاً طويلاً في الولايات المتحدة واتخذوا الإنجليزية لغة أولى لهم. إضافة إلى ذلك ، فإن غالبية نساء الطبقة الوسطى الفلسطينيات يخترن أن يعملن خارج المنزل. ويتطلب عملهن عادة التكلم بالانجليزية، والتعامل مع الأمريكيين، وارتداء الملابس وفق النموذج المهني الغربي. كما يفضلن العمل في الأعمال الخدمية أو في الأعمال المكتبية شبه الماهرة مثل مكاتب العقارات، والتأمين، والسفر أومخازن البيع الصغيرة. ومن أجل مزاولة هذه الأعمال، التحقت الكثير من النساء بصفوف خاصة تمنح تدريباً أو شهادات. وبالرغم من رغبتهن في أن يتكلم أبناؤهن العربية بطلاقة، فإن أبناء هذه الطبقة الاجتماعية يصلون سن البلوغ وهم لا يفهمون إلا قليلاً من اللغة ويكونون، عادة، غير قادرين على قراءتها أو كتابتها.

على الرغم من موقعهن الطبقي، فإن النساء الفلسطينيات المهاجرات من المنتميات إلى هذه الجماعة واللائي تزيد أعمارهن عن الثلاثين عاماً، خصوصاً اللائي هاجرن قبل عام ١٩٨٠ ، يملن إلى أن لا يحصلن على التعليم العالي. فتعليمهن يتراوح في العادة بين الصف السادس والدراسة الثانوية، تبعاً للمرحلة التي كن فيها عند مغادرتهن فلسطين. وتعتبر غير المتزوجات من اللائي يهاجرن إلى الولايات المتحدة ثم لا يتزوجن بعد وصولهن بوقت قصير أوفر فرصة في الحصول على شهادة جامعية. لم تكن الدراسة الجامعية متوفرة في فلسطين قبل عام ١٩٨٠. وما أن تتزوج المرأة حتى يصبح من الصعب عليها أن تواصل الدراسة الجامعية خصوصاً وأن المعطيات الثقافية تتوقع منها أن تنجب الأطفال بسرعة بعد الزواج. يمنح الفلسطينيون قيمة عالية للدراسة الجامعية ويعتبرونها رصيداً متنقلاً، وترغب هؤلاء النسوة في أن يحصل أبناؤهن وبناتهن على دراسة جامعية. ولا تنحصر قيمة الشهادة بالنسبة للبنات في الجانب التعليمي، فهؤلاء النسوة يشعرن بأن بناتهن سيحصلن على أزواج أفضل ويتمكن من رعاية أنفسهن وعوائلهن فيما تعلمن، خصوصاً إذا كان ضرورياً لهن، من الناحية الاقتصادية، أن يعملن خارج المنزل في مرحلة ما من حياتهن.

الأعراف الجنسية ونماذج الزواج

إن الاهتمام بسلوك نساء العائلة ـ هذا السلوك العلني فيما يتعلق بغير الأقرباء من الذكور، إلى جانب السلوك الجنسي ـ هو إحد جوانب الثقافة التقليدية التي شهدت درجة من التحول بين أفراد هذه الجماعة الفرعية من الفلسطينيين، إلا أنه يظل رغم ذلك، مختلفاً بشكل ملحوظ عن ثقافة الطبقة الوسطى البيضاء في الولايات المتحدة. إذ لا يسمح للنساء الفلسطينيات بشكل عام أن يخرجن في مواعيد غرامية رغم أن بعض الاستثناءات قد تحدث في بعض أسر الطبقة الوسطى إذا كانت المرأة في سن الزواج، وكان الرجل، مسلماً وعربياً، والزواج نتيجة محتملة. ويواجه زواج الفلسطينية المسلمة من غير العربي، أو من عربي غير مسلم على وجه خاص، بالسخط الشديد من قبل الجالية الفلسطينية جمعاء بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية. إن هذه الجماعة الفرعية المنحدرة من تقاليد الزيجات المرتبة، بين أبناء العمومة في الغالب، قد حررت القواعد التقليدية بسماحها للمرأة بأن تختار الرجل العربي المسلم الذي تريد الزواج منه وأن تقضي بعض الوقت في التعرف عليه قبل الزواج. وتختلف العائلات في تقرير ما إذا كانت فترة التعرف على الرجل لا تتم إلا بعد الخطبة الرسمية، لكنها، في حالة حدوثها قبل الخطبة، يجب أن لا تتم دون مراقبة من جهة ما أو في الخفاء بعيداً عن أنظار أعضاء الجالية الآخرين. فالمرأة الفلسطينية التي تشاهد في الأماكن العامة بصحبة رجل من غير الأقرباء، أو تلك التى تتصرف بطريقة غير منضبطة مع رجال لا يمتون إليها بصلة القربى، تصبح موضوعاً لتقولات الجالية، وتصنف على أنها امرأة ذات أخلاقية واهية. وبذلك يصعب عليها عندئذ الزواج ضمن الجالية. وعلى النساء الفلسطينيات أن يكن عذراوات عند الزواج، فهذا هو ما ينتظره منهن آباؤهن وأغلبية أزواجهن المحتملين.

لا ينطبق على الرجال الفلسطينيين أي من هذه القواعد. إذ يسمح لهم بالخروج في مواعيد غرامية مع الأمريكيات الأوربيات، وبقضاء الليل خارج منازلهم، وحتى بالعيش مع نساء من الولايات المتحدة ليسوا متزوجين بهن. وعلى الرغم من أن معظم العائلات الفلسطينية تفضل أن يتزوج أبناؤها من فتيات فلسطينيات مسلمات، إلا أن الزواج من خارج الجماعة العرقية أمر مقبول. والزواج من هذا النوع شائع في الواقع في هذه الطبقة الاجتماعية وبين المهاجرين من أعضائها، أو أولئك الذين ولدوا ونشأوا في الولايات المتحدة على السواء. ومن شأن هذا الأمر أن يزيد في صعوبة حصول المرأة الفلسطينية المنتمية إلى الطبقة الوسطى على قرين فلسطيني مناسب. فزواج الرجال، دون النساء، خارج الجماعة العرقية يقلل عدد المتوافرين من الرجال المهيئين للزواج من النساء الفلسطينيات. وليس من النادر العثور على نساء فلسطينيات عازبات في سن الأربعين في هذه الجماعة الفرعية. وينتهي الأمر ببعض النساء إلى اللجوء إلى شبكة العائلة التقليدية لغرض الزواج، عائدات إلى الأيام الخوالي التي سعين جاهدات إلي تفاديها.

كما فقدت العلاقات الاجتماعية الأساسية بين الرجال والنساء من غير ذوي القربى، سواء حدثت في البيوت، أو المناسبات الاجتماعية، أو العمل أو المدرسة، فقدت تلك الدلالات الأخلاقية والجنسية الخطرة التي كانت تحملها بالنسبة لهؤلاء الفلسطينيات. ولم تعد الحفلات ومناسبات الزواج واللقاءات العائلية تقوم على أساس الفصل بين الجنسين كما كانت عليه الحال تقليدياً. وبات مفهوماً أن بامكان المرأة والرجل أن يتفاعلا اجتماعياً دون استثارة العلاقة الجنسية أو التعبير عنها؛ والأهم من ذلك، هو أن هذا السلوك من جانب النساء لم يعد مداناً من قبل الجماعة التى ينتمين إليها، ما دام يتم بشكل علني وفي إطار العمل أو الجماعة. وتصبح هذه التفاعلات الاجتماعية غير مقبولة عندما يحدث معها إفصاح معلن عن وجود مشاعر أو علاقة جسدية بين المرأة والرجل، أو عندما تتناول المرأة الكحول أو تتصرف بشكل صارخ. أما إذا كان الرجل الفلسطيني هو الذي يمارس هذا السلوك مع امرأة غير عربية، فإن قواعد مختلفة تمام الاختلاف هي التي تطبق في هذة الحالة.

تشعر النساء الفلسطينيات المهاجرات المنتميات لهذه الجماعة الفرعية بشكل عام أن المواعيد الغرامية وممارسة الجنس قبل الزواج تشكل مظاهر سلبية في حضارة الولايات المتحدة وأنها تقود إلى عدم احترام المراة والى أمراض اجتماعية أخرى لا توجد في فلسطين مثل العائلة المنحلة، والأمهات العازبات، ونسب الطلاق المرتفعة، والنساء المشردات. وطريقتهن في التكيف مع الحياة في الولايات المتحدة التي تقوم على الأخذ بأفضل ما في الحضارتين تسمح بشيء من التحرر من القيود التقليدية المفروضة على السلوك النسوي، وتبقي قسماً من تلك القيود على حاله. أما فيما يتعلق باللغة المستخدمة في البيوت، وتقاليد الملبس، وثمرات الضيافة، فإن الأساليب الفلسطينية تتداخل مع أساليب الولايات المتحدة، إلا أن هذا ينطبق على الرجال أكثر من انطباقة على النساء. وقد كان هذا هو الموقف الذي تبناه أسلافهم الفلسطينيون، والجماعات التى ينتمون إليها، وكان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لجماعة سكانية مهاجرة حققت نجاحاً اقتصادياً في الولايات المتحدة وكان لها خيار العودة إلى الوطن أو عدمه.

منذ قيام الاحتلال العسكري الاسرائيلي لغزة والضفة الغربية عام ١٩٦٧ الذي أصبح معه اختيار العودة إلى فلسطين مستحيلاً من الناحية العملية، أدرك الفلسطينيون في الولايات المتحدة أن المحافظة على ثقافتهم في المهجر أمر بالغ الأهمية بالنسبة لبقائهم كشعب. وقد نشأ على مستوى الجالية ميل عام نحو قصر التكيف على أقل ما يمكن من مظاهر التكيف مع مجتمع الولايات المتحدة. وإذ تقر هذه الجماعة من الفلسطينيين، خصوصاً النساء، بالأهمية السياسية لهذا الهدف، من الناحية النظرية، فإنها ليست مستعدة للرجوع عن كل هذا القدر من التكيف الذي تم تحقيقه. فقد ترسخت هويتهم كأمريكيين فلسطينيين، إلا أنهم يلاحظون أن ليس بوسعهم أن يعتبروا أنفسهم أمريكيين كاملين ما دامت سياسة الولايات المتحدة تحول دون إمكانية عودتهم وتشجع تدمير أرض وطنهم. ويظلون مصممين على منح هذه الهوية المركبة إلى أبنائهم، وسوف يكتب لهم النجاح في ذلك ما داموا يشعرون بأنهم موجودون في الولايات

المتحدة كرهاً لا طوعاً.

من الفلاح إلى التاجر الصغير

خلفية

إن المرأة الفلسطينية التى ورد وصفها آنفاً تتناقض بحدة مع عشرات الألوف من النساء الفلسطينيات اللائي هاجرن إلى الولايات المتحدة بعد عام ١٩٦٧، خصوصاً بعد عام ١٩٧٥. فهؤلاء النسوه قدمن أيضاً من قرى الضفة الغربية ولديهن قليل من الروابط العائلية مع الغرب، وكن يعشن على مصادر الدعم المحلية. ومن الطبيعي أن دخولهن كانت تأتي من زراعة الملكيات الأرضية الصغيرة أو من العمل في اسرائيل، حيث توجد سوق للعمل التي فتحت أمام الفلسطينيين بعد عام ١٩٦٧ وأصبحت ضرورية من أجل البقاء في ضوء استمرار المصادرات الاسرائيلية للأراضي. وقد كانت مناطق القدس ورام الله وبيت لحم، على الدوام، مصدر معظم المهاجرين الفلسطينيين إلى الولايات المتحدة، إلا أن تركيز الاسرائيليين على مصادرة الأراضي في هذه المناطق بالذات، خلال سنوات السبعينات والثمانينات، قد خلقت فيها دوافع أقوى للهجرة. كان الفلسطينيون في أجزاء أخرى من فلسطين، خصوصاً الرجال منهم، قد بدأوا في ذلك الوقت بالمغادرة بأعداد أكبر من ذي قبل. إلا أن فلسطينيي تلك المناطق الوسطى من الضفة الغربية هم الذين اختاروا أكثر من سواهم الهجرة إلى الولايات المتحدة بدلاً من البحث عن عمل في الكويت، أو الأردن، أو الأقطار العربية الأخرى (مجدال ١٩٨٠). لقد اقتلع هؤلاء الفلسطينيون جذورهم من الحياة الفلاحية التقليدية في السبعينات والثمانينات وجاؤوا إلى الولايات المتحدة هرباً من الأضطهاد السياسي والاقتصادي.

بدأت هجرتهم إلى الولايات المتحدة، عادة، بالأفراد الذكور ممن لديهم أقرباء هنا أو الذين يدخلون البلاد بقصد الدراسة. وبخلاف المهاجرين على دفعات متواترة، كما أسلفنا أعلاه، فإن هذه الجماعة من المهاجرين لم تكن تعيش على مداخيل تدعمها التحويلات، كما أنها لم تدخل إلى شبكة راسخة من الأقارب الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى ويعيشون في الولايات المتحدة. كان بوسع الرجال أن يحصلوا على العمل بمساعدة أعضاء آخرين في الجالية الفلسطينية، إلا إنهم كانوا في العادة يبدأون من الحضيض، كموظفين بأجور متدنية في مخازن البقالة العائدة للفلسطينيين، على سبيل المثال. وبمرور الوقت، وعندما يكونون قد تمكنوا من ادخار حوالي ٥٠٠٠ دولار، يصبح بمقدورهم أن يشاركوا فلسطينياً آخر في شراء ما يصلح لبداية تجارة صغيرة مثل مستلزمات دكان للبقالة أو حانوت للأطعمة السريعة. لقد جعل الاحتلال العسكري الحياة في فلسطين غير محتملة وأحياناً خطرة، مما حدا بهؤلاء الفلسطينين إلى جلب عائلاهم أو زوجاتهم الجديدات إلى الولايات المتحدة بعد وصولهم بسنوات قليلة، رغم محدودية دخلهم.

ينتمي هؤلاء الفلسطينيون إلى الطبقة المتوسطة ـ الدنيا أو الطبقة المتدنية ـ العليا في الولايات المتحدة، وهو وضع يماثل تقريباً وضعهم في فلسطين. وهم قد جلبوا معهم العادات والقيم الفلاحية الفلسطينية في وقت اكتسب فيه التوجة نحو المحافظة على الثقافة الفلسطينية حيّة (بعد احتلال عام ١٩٦٧) قوة ملحوظة بصفتة التزاماً سياسياً من قبل الفلسطينيين في الولايات المتحدة. ويعزز هذا التوجه أحقية التمسك بفلسطينية المرء بوجه جميع الظروف في الولايات المتحدة. وقد ساهم أفراد هذه الجماعة الفرعية بهذا الاتجاه، ليس بالجانب النظري فحسب، بل بنماذج سلوكهم اليومي. أصبحت التقليدية وسام شرف. وهي تقاس من قبل أعضاء هذه الجماعة الفرعية، نساء ورجالاً، بسلوك النساء أكثر مما تقاس بسلوك رجال الجماعة.

تعيش النساء الفلسطينيات في هذه الجماعة على الدخل الذي يحققة أزواجهن أو أبناؤهن من عملهم في المصانع أو كملاك صغار أو مؤجرين لأعمال تجارية صغيرة في مناطق فقيرة تقطنها الأقليات. ولا تحصل الأسرة على دخل مرتفع، خصوصاً في حالة التجار، حيث يعمل الذكر في الأسرة ساعات طويلة ويغيب عن البيت اثنتي عشرة ساعة يومياً على الأقل وعلى مدى ستة أيام في الأسبوع. ويتم اقتطاع ساعات عمل يوم الأحد لتوفير وقت للعائلة وللزيارات الاجتماعية. وتتحمل النساء المسؤولية الكاملة عن العناية بالأطفال، والعمل المنزلي، وإعداد الطعام. فهن يحضرن الأطباق الفلسطينية التى تتطلب وقتاً طويلاً كل يوم تقريباً، ويعملن في أوقات فراغهن، على تخليل الزيتون والباذنجان وصنع اللبن والجبن في المنزل.

بشكل عام، فإن الرجال وحدهم هم الذين يعملون خارج المنزل ويتفاعلون بشكل واسع مع مجتمع الولايات المتحدة. وبخلاف عائلات الطبقة الوسطى التي تسكن في الضواحي البيضاء، فإن هذة العائلات تميل إلى الاستقرار في المناطق المدنية بالقرب من أمثالهم من الفلسطينيين. وهم غالباً ما يشكلون جماعة سكانية عازلة بين البيض والأمريكيين الأفارقة. وتشترك الجالية الفلسطينينة التي يستقرون بينها معهم في القيم والمنظورات، وتعزز بنشاط المحافظة على الأفكار المحافظة ونماذج السلوك. وتتولى الفلسطينيات مسؤولية إيجاد بيت فلسطيني، ووسط ثقافي فلسطيني في الولايات المتحدة، ويتم تقييمهن من قبل الأعضاء الآخرين في جاليتهن الفرعية بناء على درجة نجاحهن في تحقيق ذلك.

القيم

كل ما في بيوت هؤلاء النسوة يذكر بالحياة في فلسطين: ترتيب الأثاث، تزيين الجدران، نوع الغذاء الذي يطهى ويقدم، طريقة معاملة الضيوف ـ الذين يفصلون حسب جنسهم في بعض الأحيان ـ واللغة العربية. يتم التحدث مع الابناء باللغة العربية، وغالباً ما يلتحق هؤلاء بالمدارس في الولايات المتحدة وهم لا يعرفون من الانجليزية سوى ما يسمعونه من التلفزيون. وهم يواصلون التحدث بالعربية في البيت حتى

عندما تحتل اللغة الإنجليزية موقع المركز في حياتهم العامة. وغالباً ما يرسل الآباء أبناءهم إلى القرية خلال الصيف ليتشبعوا باللغة والثقافة الفلسطينية. وحين يصلون سن البلوغ، تكون لغتهم العربية جيدة، رغم أنهم لا يستطيعون القراءة والكتابة بها دون تعليم منهجي.

تنحو النساء المتزوجات نحو إنجاب ما بين أربعة إلى سبعة أطفال، والإقامة في شقق أو بيوت صغيرة تضم غرفتين للنوم أو ثلاثة. لا تعمل خارج البيت إلا قلة من النساء، لأن عملهن يفسر من قبل أفراد الجالية بأنه علامة على عدم استطاعة كاسب المال الذكر تأمين إعاشة عائلته بشكل مناسب. لا تترك النساء منازلهن إلا لزيارة غيرهن من النساء، أو للتسوق، أو للدراسة، ويتم دلك عادة بعد استشارة أحد الأعضاء الذكور المناسبين في العائلة. والمرأة التي تترك غالباً، دون سبب وجيه، تتعرض للأقاويل من قبل النساء الأخريات والرجال. وأذا حدث ذلك، فإن امرأة أخرى من الجالية تقوم بالتحدث معها حول سلوكها وتتولى تحذيرها قبل أن تخرج الأقاويل عن نطاق السيطرة. فإن حدث ذلك، فإنها توبخ من قبل زوجها أو والدها أو أمها لتلويثها سمعة العائلة.

وتكون هؤلاء النساء، شأنهن في ذلك شأن النساء الفلسطينيات المنتميات إلى الطبقة الوسطى اللائي تم وصفهن آنفاً، من الحاصلات على تعليم بحدود الصف السادس أو المرحلة الثانوية. وحتى لو كن قد مكثن في فلسطين، فإنهن، في جميع الأحوال، ماكن سيرسلن إلى الجامعة من قبل آبائهن. إلا أنهن يؤمن بأن التعليم الجامعي مهم لأبنائهن وبناتهن على حد سواء. أما إمكانية حصول بناتهن على مثل هذا التعليم فهي قضية أخرى. إذ أن أفراد هذه الجماعة الفرعية، لأسباب تتعلق باهتمامهم بعذرية المرأة ونشاطها الجنسي، يميلون إلى الرغبة بتزويج بناتهم بعد اتمامهن التعليم بوقت قصير. هذا الأمر ليس ضرورياً في الشرق الأوسط؛ إذ أنه يرتبط بالمخاوف التي تولدها الحريات الجنسية الواسعة التي تمتلكها النساء في مجتمع الولايات المتحدة، وشيوع ممارسة الجنس قبل الزواج. وتتزوج كثير من النساء بعد الحصول على موافقة أزواجهن على إتمام دراستهن في الكلية، إلا أنهن يجدن أن العناية بالمنزل والأطفال تجعل تحقيق ذلك أمراً صعباً. وما دام المفروض أن تقوم العائلة الكبيرة بالعناية بالمرأة في حالة فقدان الزوج، فإن الزوجة تحصل على ضمان اجتماعي في حالة حصولها على التعليم.

الأعراف الجنسية ونماذج الزواج

تحاذر هؤلاء النساء من الظهور العلني في محاورات طويلة مع رجال من غير ذوي القربي أو التصرف بطريقة تلفت إليهن الانتباه ـ مثل الحديث بصوت عالٍ أو الضحك بطريقة ملحوظة. وتقتصر الزيارات الاجتماعية الخاصة على النساء؛ فإذا كان الرجال حضوراً؛ توجب أن يصاحب المرأة أبوها أو أخوها أو زوجها. وحتى في هذه الحالة، فإن المرجح أن يفصل الجنسان في غرفتين منفصلتين. وفي الجلسات المختلطة التى تضم

الأقارب أو الأشخاص المتزوجين، يتوجب على المرأة أن تلتزم بأصول اللياقة وأن لا تكثر الحديث. إن السلوك العدواني مع الأطفال أو مع نساء من نفس عمر المرأة يبدو طبيعياً ومقبولاً. إلا أنه مع النساء الأكبر سناً علامة على عدم الاحترام. أما مع الرجال، فإنه يعني فقدان السيطرة على النفس. وهو أمر يدعو إلى التوجس الجنسي، إذ أن المرأة التي تظهر عدم القدرة على ضبط النفس بشكل متكرر تعتبر امرأة غير موثوق بها من الناحية الجنسية.

يعتبر خروج المرأة العزباء في موعد مع رجل أمراً محرماً تماماً. كذلك الحال بالنسبة للحضور بدون رقابة عائلية إلى الحفلات والمناسبات الاجتماعية التي يحضرها الرجال. إن قاعدة الاقتران بابن العم عن طريق زيجة مرتبة (على النحو الذي تمت به زيجات الآباء) في طريقها إلى الاضمحلال بين أفراد هذه الجماعة الفرعية. إلا أن عرض الزواج ـ الذي يجب أن يكون من عربي مسلم، ويفضل أن يكون فلسطينياً ـ يقدم عادة للعائلة ولا تمنح للفتاة فرصة مقابلة الخاطب والتحدث معه إلا بعد موافقة العائلة. وعلى الفتاة أن تتخذ قرارها بشأن الزواج بعد لقاءات قليلة مع الرجل تتم تحت رقابة العائلة. ولا يستطيع الاثنان الخروج معاً لوحدهما إلا بعد الخطوبة، التي تشمل، وفق التقاليد الإسلامية، توقيع عقد زواج ملزم.

لا يخضع الرجال الفلسطينيون العزاب المنتمون إلى هذه الجماعة إلى هذه الضوابط. فلهم حرية الخروج في مواعيد غرامية مع نساء أمريكيات، وممارسة الجنس قبل الزواج معهن، والزواج منهن. وهذا المعيار المزدوج ينطبق أيضاً على فلسطينيي الطبقة المتوسطة، إلا أن مقدار الثقة والسماح الممنوحان لنساء تلك الطبقة يعني أن حركاتهن لا ترصد بالتفصيل بحثاً عن خروقات ممكنة، وأنهن لا يتعرضن إلى العزلة الاجتماعية التامة إذا ما ضبطن. حيث أن النساء الفلسطينيات، من الشرائح الاجتماعية والاقتصادية الدنيا، يتعرضن للعقاب القاسي عن مثل هذا السلوك الذي قد يتخذ شكل "الحبس المنزلي" أو الإعادة إلى إقارب في الشرق الأوسط والنبذ الاجتماعي. وفي وسط تكون فيه الحياة الاجتماعية مقتصرة على العائلة والنساء المحليات، ويتم فيه اختيار الزوجة استناداً إلى سمعتها، يكون النبذ الاجتماعي ثمناً باهظاً جداً.

الزواج من خارج الجماعة العرقية أقل شيوعاً بين رجال هذه الطبقة مما هو عليه في الطبقة الوسطى. إلا أن هناك عدداً من المشاكل التي تقلل عدد الخطاب المتوفرين للنساء الفلسطينيات المرشحات للزواج ضمن هذه الجماعة الفرعية. حيث غالباً ما يتزوج الرجال من نساء فلسطينيات (عادة من الأقارب) من فلسطين أو الأردن حفاظاً على التقاليد العائلية. وينظر الرجال الفلسطينيون، المنتمون إلي هذه الجماعة، إلى أولئك النساء بصفتهن "أكثر فلسطينية" من النساء اللائي يعشن في الولايات المتحدة، وبالتالي فهن أكثر استعداداً لمعاملتهم بالطريقة التفضيلية التى درجت عليها أمهاتهم. وللسبب نفسه، لا يفضل الرجال الفلسطينيون في الشرق الأوسط من الذين يحملون نفس الخلفية الاقتصادية الاجتماعية الزواج من امرأة تعيش في الولايات المتحدة إلا إذا كانوا ينوون الهجرة. ويقدم هذا سبباً آخر لزواج النساء المبكر ضمن هذه الجماعة ـ فكلما

كانت الفتاة أصغر سناً وأقل تعليماً، كلما بدت أكثر جذبا لمجموعة الخاطبين المرشحين وأقرب إلى التعادل مع مستواهم التعليمي.

وتقول هؤلاء النساء الفلسطينيات أنهن لن يمكثن في الولايات المتحدة وبناء على ذلك فإنهن يسعين إلي المحافظة على النماذج السلوكية التي كان متعارفاً عليها ضمن جماعتهن الاجتماعية عندما غادرن فلسطين. وهن يعترفن صراحة بأن الأمر في الولايات المتحدة أصعب مما هو عليه في فلسطين وهو يسبب لهن خسارة ملحوظة في مجال الحريات. ففي فلسطين، حيث يشترك الجميع في القيم الأساسية، وحيث لا تخشى النساء الاعتداء أو الاغتصاب في الطريق، تكون القيود المفروضة على حرية الحركة بالنسبة للنساء أخف بكثير مما هي علية في الولايات المتحدة، حيث الخوف من الاعتداء عليهن يؤمن الحجة للآخرين لكى يقيدوا حركة المرأة الاجتماعية المستقلة. إن إدعاءهن بأن الانماط الاجتماعية في فلسطين قد ظلت جامدة على حالها خلال فترة غيابهن هو، بالطبع، غير صحيح. إلا أنه يمثل الحقيقة الفلسطينية الوحيدة المعروفة لديهن. حتى إذا أرادت بعض النساء التخلي عن قليل من المظاهر الأكثر تزمتاً في حضارتهن، خصوصاً عندما يكون لهن دور يلعبنة ضمن الاطار الاجتماعي للولايات المتحدة، فإن عيون الجالية تضمن التصرف السليم على نحو تعرض المحاولة الفردية لتوسيع الحدود صاحباتها لخطر العزلة الاجتماعية. فالخروج عن التقاليد يعتبر شيئاً مماثلاً للتمرد. وهؤلاء الفلسطينيون يعرّفون أنفسهم بصفتهم فلسطينيين في الولايات المتحدة وليس كأمريكيين فلسطينيين. وسوف لن يتم قبول الهوية المركبة إلا في حالة التحرك إلى مستويات اجتماعية أرقى، حيث يمكن لجيل الأبناء عندها أن يتقبل تلك الهوية. وكما هو الحال بالنسبة لغيرهم من الفلسطينيين الذين تمت الإشارة إليهم آنفاً، فإن قبول الهوية الأمريكية الكاملة أمر يتعلق بالأجيال القادمة وبالوضع السياسي لفلسطين.

عندما تلتقي الجماعتان

يمكن على الفور التمييز بين هذين النوعين من النساء الفلسطينيات في الحفلات ومناسبات الجالية. ففى حين ترتدي فلسطينيات الطبقة الوسطى شبه المتكيفات الملابس الغربية، ترتدي المرأة الفلسطينية المحافظة الزي الفلسطيني التقليدي وترتدي الكثيرات منهن غطاء الرأس. وقد وجدت خلال مقابلاتي الواسعة مع النساء الفلسطينيات أن كل جماعة تختلف عن الأخرى حول الطريقة التي يجب أن يعشن حياتهن كفلسطينيات في الولايات المتحدة. وإذ تنتقد إحدى الجماعتين الأخرى لكونها ليست فلسطينية حقيقية ، ولإسرافها في تقليد الغرب، ترى الجماعة الثانية أن النساء المحافظات التقليديات يعشن حياة متخلفة وقسرية. وعلى الرغم من أن نساء هذين النوعين معاً قدمن من قرى في فلسطين، وأنهن تزوجن من أحد الأقارب ضمن زيجة مرتبة، وأنهن لا يحملن سوى تعليم ثانوي ، فإن من الواضح أن حياتهن تختلف اختلافاً كبيراً. وفي الوقت الذي تري فيه فلسطينيات الطبقه الوسطى الحياة في الولايات

المتحدة مقترنة بكل الفرص التي منحتها لهن، فإن فلسطينيات الطبقة الوسطى المتدينة والطبقة السفلى لا يجدن في الولايات المتحدة سوى مكان يمكثن فيه لبعض الوقت بعيداً عن الأرض، والعائلة، والتقاليد، والطعام، وحياة الجماعة التي منحت حياتهن معنى في فلسطين. لا يوجد بين هؤلاء النسوة إلا القليل من السمات المشتركة عدا عن خلفيتهن العرقية، والاحترام الذي ما زلن يحملنه لقيم حضارية معنية، والتزامهن السياسي بفلسطين، الأمر الذي يتطلب محافظتهن على هويتهن الفلسطينية وتحاشيهن الاندماج الكامل.

بدايات هجرة جديدة

هذه الصورة للنساء الفلسطينيات تشمل الغالبية الساحقة من النساء الفلسطينيات البالغات المهاجرات في الولايات المتحدة. إضافة إلى ذلك، فقد جاءت منذ نهاية السبعينات أعداد متزايدة من النساء الفلسطينيات المهاجرات قادمات من أجزاء مختلفة من فلسطين أو جاء بعضهن بعد الاقتران برجال فلسطينيين دخلوا الولايات المتحدة لأسباب تختلف عن تلك التي أشير إليها آنفاً. هؤلاء الرجال جاؤوا إلى الولايات المتحدة للدراسة فقط وكانوا يخططون للمغادرة فور إنهاء دراستهم. إلا أنهم قرروا البقاء لأسباب تتعلق بفرص العمل المتاحة، ولتدهور سوق العمل في دول الخليج. بخلاف الآخرين الذين هاجروا من القدس، ورام الله، وبيت لحم في فلسطين، فإن هؤلاء الفلسطينيين ينتمون إلى مناطق نابلس، وجنين، وطولكرم في شمال فلسطين أو أنهم كانوا لاجئين من الأجزاء التي قامت عليها دولة اسرائيل من الذين استقروا فيما بعد في الضفة الغربية، أو غزة، أو الأردن ، أو الكويت.

هؤلاء النساء يمكن أن يصنفن ضمن واحدة من الجماعتين الفرعيتين اللتين تمت الإشارة إليهما تبعاً لدخل عائلاتهن. والبعض منهن جيدات التعليم في حين لا يحمل البعض الآخر سوى تعليم ثانوي. إلا أنهن جميعاً يشتركن باحساس بالوحدة الشديدة حيث أنهن انتزعن من بين أفراد عائلاتهن وصديقاتهن وهن لا يمتلكن روابط قرابة أو منشأ تربطهن بغيرهن من الفلسطينيين في الولايات المتحدة. إن الحرمان الاجتماعي والعاطفي الذي تعانية النسوة يجعل تكيفهن للحياة في الولايات المتحدة أمراً بالغ الصعوبة. وقد ذكرت كثيرات من هؤلاء النساء أن الزواج من رجل يعيش في الولايات المتحدة بدا لهن أمراً مثيراً، إلا أنهن سرعان ما اكتشفن أنه لم يكن كذلك.

الحياة السياسية

برغم الاختلافات فيما بينهن، تشترك النساء الفلسطينيات بالاهتمام البالغ بمصير شعبهن في فلسطين والأقطار العربية الأخرى ويشعرن بضرورة قيام دولة فلسطينية. ويغلب في حديث معهن القول بأن الفلسطينيين شعب مشرد لادولة له، وأن حرياتهم

في بلدهم محدودة، وأن أرضهم سرُقت، وأن طريقة حياتهم تم التدخل فيها وتشويهها، وأن غالبيتهم لا تملك الحق في العودة إلى بلادها. وقد أكدت كل امرأة فلسطينية تحدثت معها على مأساة الشعب الفلسطيني وكيف أثرت هذه المأساة على حياتها وشتت شمل أسرتها، كما تحدثت كل واحدة منهن عن ما يظهره مواطنو الولايات المتحدة من كراهية عامة أو عدم اكتراث بهذا الوضع. وقد أكدت حواراتي مع النساء الفلسطينيات ما أشار إليه إدوارد سعيد في كتابه **بعد السماء الأخيرة** After the Last Sky 1986:

في حين لا توجد هناك، بسبب مصير الشعب الفلسطيني المشتت والمتنوع، تجربة فلسطينية واحدة تشكل الفلسطينيين، في الواقع، جماعة واحدة "وإن كانت في صميمها جماعة قائمة على المعاناة والنفي". إن الإحساس العام بالمنفى الذي يسود بين الفلسطينيين في الولايات المتحدة نشأ عن هذه التجربة الجماعية. إنه يعني أن المرء لم ينس كونه فلسطينياً. وبالنسبة للنساء الفلسطينيات، فإنه لا يعني مجرد المحافظة على هوية عرقية فلسطينية قوية فحسب بل تنشئة الأبناء ليكونوا فلسطينيين.

تتدخل النشاطات السياسية الفلسطينية والاحساس بالمنفى بطرق مختلفة لدى النساء الفلسطينيات. فإلى جانب تنشئة أبنائهن كفلسطينيين والمحافظة على احترام قيم عربية تقليدية معينة، فإن النساء الفلسطينيات المنتميات الى الطبقة الوسطى أكثر استعداداً من غيرهن من النساء الفلسطينيات لممارسة النشاط السياسي العام ويكون ذلك عادة، من خلال المنظمات الفلسطينية أو الأمريكية العربية وتؤيد الملاحظات المستقاة من تلك المنظمات هذا الاستنتاج. وهذا هو السبب الذي يجعل الدراسات التي تتناول المهاجرين الفلسطينيين أو النساء الفلسطينيات، والتى تركز على المساهمين الملحوظين في الجماعات المنظمة تميل إلى اعتماد نماذج الطبقة الوسطى من الفلسطينيين شبة المتأقلمين.

لقد مالت النساء الفلسطينيات التقليديات المنتميات إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا إلى تجنب الحياة السياسية العامة، لأنهن يعتقدن، أو يعتقد أزواجهن وآباؤهن، أن هذه النشاطات لا تناسب النساء الفلسطينيات. وفى الجاليات التي تضمهن، ينظر إلى النساء المتزوجات اللائي ينشطن سياسياً بشيء من عدم الرضى، إذ يفترض أنهن يهملن أسرهن. في حين يقال للمرأة العازبة التي تمتلك كل هذا الوقت أن عليها أن تتزوج. فالسياسة العامة تعتبر شأناً من شؤون الرجال. ومن جهة أخرى، تعتقد هذه النسوة الفلسطينات أن حياتهن اليومية عبارة عن تعبير فعال للالتزام السياسي الفلسطيني الذي يسود المنفى: ألا وهو المحافظة على فلسطين حية. إنهن من خلال عملهن اليومي في إدامة البيت الفلسطيني وإعداد وجبات الطعام الفلسطينية المضنية، والتكلم بالعربية وتعليمها لأبنائهن، وتركيز حياتهن على إدامة وتطبيق القيم الفلسطينية التقليدية، إنما يحفظن حياً كل ما يسعى الاحتلال والمنفى إلى تدميره. قد يتناول الآخرون السياسة، أما هن فيعشنها. وعلى مستوى المنظمات الجماعية الفلسطينية ذات القاعدة المتسعة، يتم احترام طريقتهن في الحياة ، وإن لم يتم تبنيها من قبل الجميع.

الخاتمة

إن الطبقة الاجتماعية لا توضح، بالتأكيد، كل ما يتعلق بحياة النساء الفلسطينيات في الولايات المتحدة، إلا أنني قد وجدت أنها أفضل وسيلة لتمييز الاختلاف القائم في النماذج الحياتية الموجودة ضمن الجماعة الأوسع. كل النساء اللاتي شملتهن دراستي كن مسلمات. ومعظمهن عرفن الاسلام بأنه طريقة للحياة. قليلات منهن يرتدن المساجد أو يشعرن بأن ارتيادها ضروري، وقليلات يؤدين الصلاة في البيت. ومع ذلك، فإن الاشخاص المختلفين يفسرون التعاليم الاسلامية بشكل مختلف، خصوصاً عندما تتعلق بالنساء. فهي تستخدم، أحياناً، لتبرير تحديد حركة المرأة، إلا أن الثقافة هي الحجة المستخدمة لهذا الغرض في أغلب الأحوال، وإذ لاحظت فيه حدوث زيادة في عدد المسلمين الأصوليين في الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة، فإنهم ما زالوا أقلية بين الفلسطينيين.

في الختام، لا توجد هناك امرأة فلسطينية نموذجية في الولايات المتحدة. إن أولئك الذين يريدون تسليط الضوء على حقيقة تكيف الفلسطينيين بشكل جيد مع الحياة في الولايات المتحدة يركزون على جزء معين من الجالية، في حين يركز الذين يرومون إظهار أن الفلسطينيين تقليديون، لم يتغيروا إلا قليلاً منذ غادروا قراهم العربية، على جزء آخر. وفي الحقيقة، فإن هاتين الحقيقتين موجودتان معاً وفي الوقت نفسه، والأشخاص في كلا الجماعتين يؤكدون أن هويتهم كفلسطينيين تكمن في قلب الإحساس بالاغتراب الذي يشعرون به في الولايات المتحدة. وقد عملت الانتفاضة وحرب الخليج على تعزيز هذا الشعور.

BIBLIOGRAPHY

al-Tahir, Abdul Jalil. 1952. *The Arab Community in the Chicago Area: A Comparative Study of the Christian-Syrians and the Muslim Palestinians.* Ph.D. diss., University of Chicago.

Bonacich, Edna. 1973. "A Theory of Middleman Minorities." *American Sociological Review* 38 (October): 583–94.

Cainkar, Louise. 1988. "Palestinian Women in the United States: Coping with Tradition, Change and Alienation." Ph.D. diss., Northwestern University.

———. 1991. "Palestinian-American Muslim Women: Living on the Margins of Two Worlds." In *Muslim Families in North America,* Earle H. Waugh, Sharon McIrvin Abu-Laban, and Regula Qureshi, eds., (Edmonton: University of Alberta Press).

Elkholy, Abdo A. 1966. *The Arab Moslems in the U.S.* New Haven, Conn.: College and University Press.

Escribano, M., and N. el-Joubeh. 1981. "Migration and Change in a West Bank Village." *Journal of Palestine Studies* 11, no. 1 (Autumn).

Glaser, Daniel. 1958. "Dynamics of Ethnic Identification." *American Psychological Review* 23 (1): 33.

Gordon, Milton. 1964. *Assimilation in American Life: The Role of Race, Religion and National Origins.* New York: Oxford University Press.

Houston, Marion F., Roger G. Kramer, and Joan Mackin Barrett. 1984. "Female Predominance of Immigration to the United States since 1930: A First Look." *International Migration Review* 18: 908–63.

Kasees, Assad. 1970. *The People of Ramallah: A People of Christian Arab Heritage.* Ph.D. diss., Florida State University.

Kayal, Philip M., and Joseph Kayal. 1975. *The Syrian Lebanese in America.* Boston: Twayne Publications.

Lutfiyya, Abdulla. 1966. *Baytin.* The Hague: Mouton and Co.

Migdal, Joel. 1980. *Palestinian Society and Politics.* Princeton, N.J.: Princeton University Press.

Mills, C. Wright. 1959. *The Sociological Imagination.* New York: Oxford University Press.

Morokvasic, Mirjana. 1984. "Birds of Passage are also Women . . ." *International Migration Review.* 18: 886-907.

Said, Edward. 1986. *After the Last Sky: Palestinian Lives.* Pantheon: New York.

Simmel, Georg. 1908. *Soziologie,* Leipsig: Dunche and Humblot, translated as "The Sociological Significance of the 'Stranger,'" in Robert E. Park and Ernest W. Burgess, *Introduction to the Science of Sociology,* Chicago: University of Chicago Press, 1924, 322-27.

Stockton, Ronald. 1985. "A Survey of Palestinians in Detroit." *Psychological Reports* 120–30.

Zaghel, Ali. 1977. *Changing Patterns of Identification Among Arab Americans: The Palestinian Ramallites.* Ph.D. diss., Northwestern University.

قضايا الهوية : في مسرح الجالية المهاجرة

علاء فائق

تطور المسرح لدى الجالية المهاجرة

حظيت تجربة المهاجرين في الولايات المتحدة والاسهامات التي حققوها في إحضارهم لحياتهم الثقافية إلى بلدهم الجديد بالاعتراف الواسع على مدى القرون، وبالدراسة الموسعة في الآونة الأخيرة. ولا تستثنى من ذلك المساهمة الأمريكية العربية. إلا أن تطور المسرح الأمريكي العربي بالذات، والدور الذي لعبه المسرح في تأسيس الهوية الذاتية للأمريكيين العرب ، والتفسيرات والحقائق الخاصة بالتجربة الأمريكية العربية لم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام. وقد قام الأمريكيون العرب خلال العقد الماضي بانتاج المزيد من الأعمال المسرحية التي تتناول التجربة الأمريكية العربية، وهي أعمال متعددة الأشكال: مسرحيات بالعربية مكتوبة من قبل الأمريكيين العرب وموجهة لهم، وأعمالاً مسرحية باللغتين العربية والإنجليزية موجهة لجمهور أوسع يضم الأمريكيين العرب والأمريكيين غير العرب، وأعمالاً مسرحية مهنية بالإنجليزية لجمهور الولايات المتحدة العام.

أن المسرح صيغة مركبة من التعبير. وتطوّر الثقافات والجماعات صيغها الخاصة من التعبير المسرحي لكي تعكس اهتمامها بالقضايا الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية. ويلبي اختيار الصيغة المسرحية لعكس هذا الاهتمام الحاجة إلى اقتسام التجربة المشتركة وتوفير التسلية.

يمر المهاجرون العرب في الولايات المتحدة بالتجربة التي مرت بها الجماعات المهاجرة الأخرى التي كافحت من أجل المحافظة على تراثها الثقافي على مدى القرنين الماضيين. وقد أثمرت جهودهم عن ظهور سمات ثقافية جديدة نتجت عن تقاطع ما جاؤوا به إلى هذه البلاد مع ما وجدوه فيها. وقد أسهم هذا النتاج الجديد بدوره في الثقافة الأعظم للولايات المتحدة. فالجالية الأمريكية الأفريقية في الولايات المتحدة على سبيل المثال، لها هويتها الخاصة وتعبيرها الثقافي الخاص بها. وقد ساهمت من خلال تلك الهوية وذلك التعبير في تطوير الثقافة الأوسع لهذه البلاد. ويعتبر المسرح، في تجربة الكثير من الجماعات المهاجرة، صيغة طبيعية ومهمة من صيغ التعبير، وكانت له مساهمته في تلك

الثقافة الأوسع.

إن ظاهرة المسرح العرقي في الولايات المتحدة معروفة بشكل جيد، وقد تمت دراستها على نحو شامل من قبل الباحثين المسرحيين والأنثروبولوجيين.[١] إلا أنه لا توجد محاولة محددة لتسجيل أو دراسة أو تحليل نشوء حركة المسرح الأمريكي العربي، الذي ظهر الآن في أوساط مدن وجماعات عبر الولايات المتحدة. إن المسرح الأمريكي العربي يتحول الآن، وبسرعة، من شكل للتسلية المحدودة التي تقتصر حدود متذوقيها على الجمهور الأمريكي العربي إلى شكل فني يحظى باهتمام عام واسع من قبل جميع الأمريكيين. وتحمل هذه الاعمال الأمريكية العربية في شكلها ومضمونها تجربة الأمريكيين العرب في هذه البلاد محولة بذلك تلك التجربة إلى جزء من الثقافة الأمريكية.

انتج المهاجرون الأمريكيون العرب الأوائل مسرحيات عن التاريخ العربي وأمجادة في منظماتهم ونواديهم الثقافية. منذ عشر سنوات مضت، عندما كنت أبدأ لتوي الاهتمام بهذا الموضوع، وقع نظري في كتاب عن خليل جبران على صورة لمسرحية أنتجها المهاجرون الأمريكييون العرب في الولايات المتحدة في مطلع هذا القرن. وتظهر الصورة الممثلين في الملابس والخلفية الأصلية. ولسوء الحظ، لم أسجل اسم الكتاب في حينها وقد تعذر علي العثور عليه فيما بعد. ورغم أن هذه الصورة لم تتجاوز ذاكرتي الشخصية، إلا أنها تشير إلي المحاولات المبكرة لانتاج مسرحيات لجمهور أمريكي عربي ومن ثم للمحافظة على التقاليد والثقافة العربية في العالم الجديد.

إن جمهور المسرح الأمريكي العربي معتاد على مشاهدة أشرطة الفيديو التي تسجل المسرحيات العربية المنتجة في البلاد العربية التي تشكل الآن جزءاً مهماً من وسائل التسلية لديه. كما اتيحت للأمريكيين العرب فرصة مشاهدة العروض المسرحية الحية التي أنتجت وقدمت من قبل فرق مسرحية عربية تطوف المدن الكبرى في الولايات المتحدة مثل نيويورك، وواشنطن العاصمة، وبوسطن، وشيكاغو، وهيوستن، وسان دييغو، ولوس أنجلوس. تأتي هذه الفرق إلى الولايات المتحدة من بلدان عربية مختلفة مثل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر، وتقدم هذه الفرق، في الغالب، أعمالاً كوميدية وغنائية كتبت بالأصل وعرضت بنجاح في الشرق الأوسط. وقد حققت هذه العروض نجاحاً فنياً ومالياً عظيماً. يظهر في هذه العروض عادة نجم عربي كبير، نجم يرغب الجمهور الأمريكي العربي في رؤيته شخصياً. وقد كان دريد لحام من سوريا، وعادل إمام من مصر، وسليم البصري من العراق، وفيروز من لبنان، من بين النجوم المشهورين الذين قدموا عروضاً في الولايات المتحدة منذ بداية السبعينات. وقد تركت هذه النتاجات أثراً على الحياة الثقافية للأمريكيين العرب. إلا أن هذه الدراسة ستركز فقط على نتاجات المسرح الأمريكي العربي التي انتجت وقدمت من قبل الجالية الأمريكية العربية.

---

١ جراف ب. ولسون، ثلاثمائة سنة من الدراما والمسرح الأمريكي، (إنجلوود كليفس: برينتس هول، ١٩٧٣) ص ٤ ـ ٥ .

مسرح للأمريكيين العرب ومن تأليفهم

جاءت سنوات السبعينات والثمانينات بموجة كبيرة من المهاجرين العرب إلى الولايات المتحدة. وقد جاء بعضهم سعياً وراء حلم بحياة أفضل، وجاء آخرون هرباً من الإضطهاد السياسي أو من خراب الحرب وأهوالها. تركز هؤلاء المهاجرون بأعداد كبيرة في المناطق المدنية وبقيت حاجاتهم الاجتماعية والثقافية الأساسية غير ملباة. وبدأت الجاليات الأمريكية العربية على الفور في انتاج الصحف والمجلات، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، والنوادي الليلية لصالح المهاجرين العرب الجدد. وكان طبيعياً أن تظهر الأعمال المسرحية هي الأخرى لتلبي الحاجة إلى الثقافة والتسلية بين هذه الجماعة.

في ديترويت، قدمت فرق من الهواة منذ عام ١٩٨٠ عدداً من المسرحيات التي تتناول تعقيدات الحياة ضمن الثقافة الجديدة. وقد كانت معظم تلك المسرحيات هزلية حاولت أن تقلد المسرحيات الهزلية المصرية في طريق الكتابة والتقديم: وقد حاولت قلة منها تناول الاهتمامات السياسية. وقدمت هذه المسرحيات التعليق الاجتماعي على التغيير الحاصل في القيم التقليدية عند تفاعلها مع قيم الثقافة في الولايات المتحدة. وتعكس عناوين بعض المسرحيات المواضيع التي تثير الاهتمام حول حقائق العالم الجديد وهمومه: **مخزن الحزب** ١٩٨٣، **شوف اللوتو إيش سوى** ١٩٨٦، **مطلوب زعيم للجالية** ١٩٨٨.

هذه المسرحيات مكتوبة بلهجات عربية مختلفة، أغلبها العراقية، وتتعلق بأمور العائلة، والزواج، والمخدرات، وظروف العمل وما شاكلها. وهي تنتقد بوضوح الأشخاص الذين يراكمون الثروة على حساب قيمهم الأخلاقية والثقافية. وقد رحب الجمهور الأمريكي ـ العربي بالمسرحيات وحضرها بأعداد متزايدة. طافت بعض هذه النتاجات مدناً أخرى مثل شيكاغو، وسان دييغو، ولوس أنجلوس. وكان من الملاحظ والمهم أن العروض كانت تقدم عادة في وقت متأخر من المساء، في الساعة التاسعة أو العاشرة، لكي يتاح للأمريكيين ـ العرب الذين يعملون في المتاجر أو ورديات العمل المتأخرة أن يحضروا العروض دون أن يفوتهم جزء منه.

مما يشهد على شعبية المسرحيات كونها قد سجلت باستمرار على أشرطة الفيديو وعرضت نسخ منها في الأسواق للبيع. كما حققت نجاحاً مماثلاً على الصعيد التجاري. إلا أن النوعية الفنية والمعالجة الدرامية في هذه المسرحيات اتسمتا بالضعف بشكل عام. لقد لبّت هذه المسرحيات حاجة لدى الجالية المهاجرة. فقد قامت بتسلية الجمهور، في الوقت الذي عرضت له فيه معالجة مبسطة لحقائق ومشاكل حياته اليومية. ومن بين الكتاب والممثلين والمخرجين الرئيسيين لهذه المسرحيات عبد الخالق الفلاح، وطلال سامونا، وحكمت جاجوني، وحسام زورو، وصلاح كولاتو وكثيرون غيرهم.

إحدى المسرحيات التي كتبها حسام زورو عام ١٩٨٤، واستمد اسمها من مثل

عراقي **شليلة وضايع راسها** وأخرجهــا صلاح كالاتو٢ تسخر من المحامين والعدالة والمشـاكل الاجتماعيـة في ديترويت. مـهـاجر عراقي يعمل سكرتيراً لمحام من الولايات المتـحدة اسمة مستر تفمان/السيد خشن. المحامي غير معني بالعدالة والحقيقة، ويقتصر اهتمامـه على تحـصـيل المال. يوافق على الدفـاع عن رجل أحيل إلى الحاكمة بتهمة السرقة والقـتل المصـاحب لها ويدعي أنه قـام بذلك دفاعاً عن النفس. يشجع امرأة على تطليق زوجـهـا الـذي يـقـضي مـعظم وقـتـه في المقـهى بدل المنزل. كما يوافق على أن يمـثل في المحكمـة رجـلاً يقـيم الدعوى على مجتمع الولايات المتحدة لأنه لم يحقق الوعود التي جاء هو من أجلهـا إلى الولايات المتـحـدة. ويعـيش السكريتر، وهو مـهـاجـر عراقي، حالة تـنـاقـض مـع قـيـم المحـامي وممارساته غير المهنيـة. وينتـهي السكرتير بالترافع في هذه القضايا أمام المحكمة لأن مستر تفمان يتعرض لنوبة قلبية.

في الفـصل الثـاني يتنكر السكرتير بهيأة المستر تفمان مرتدياً الروب الأسود حيث يتولى تمـثيل مـوكليـه وقـضـاياهم. القـاضي يرتدي روباً أسـود وباروكـة بيـضـاء. ولا وجـود للمـحلفين في قاعة المحكمة. ويستخدم السكرتير نظام قيمه الخاص للبَتّ في القضايا، فـيـعـيـد الـزوجـين المطلقين إلى بعـضـهما بدلاً من السماح لهما بالطلاق. ويثير، بواسطة التـعليـقات الجانبيـــة والنكات، السخريـــة من القاضي والنظام القضائي في الولايات المتـحـدة. إن العـدالة الصـادقـة والحقيقية التي تنتظرها الجالية المهاجرة وتبحث عنها لا وجـود لها. والنظام القـضـائي زاخـر بالرشـاوى والفـساد: والمجرم الحقيقي يطلق سراحه وتستلب حقوق الضحية.

رغم أن المسرحـيـة تقـدم قـضايا وأموراً مثيرة للأهتمام حول تجربة الناس في ديترويت، فإنها تفـشل في مناقـشـة هذه القـضـايا بالعـمق الكافي. إلا أنها تنجح في إثارة تعـاطف الجـمهور وضحكه من خلال استخدامها للمواقف الإنسانية المألوفة.

وعلى أية حـال، المسرحـيـة مخادعة في المشهد الذي تقدمه: وهو قاعة محكمة لا وجود لها في النظام القـضـائي للولايات المتـحـدة. وهذا الخطأ الموضـوعي يعكس جهل المؤلف والمخـرج بالنظام القـضائي والحقيقـــة الثقافية في هذا البلد، وهو أمر شائع بين كثير من الأمـريكيين العـرب. فـموقفهم إزاء الثقافة التي يعيشون ضمنها الآن يأتي من افتراضات وأخطاء في فـهم حـقـيـقـة الثقافة الجديدة. وهكذا، فإن المسرحية، بدل إيضاح التجربة الثـقـافـيـة للولايات المتـحدة للجمهور، تقوم بتشجيعه في فهمه الخاطيء وتكرس الجهل والمعلومة الخاطئة.

العروض ثنائية اللغة والغنائية

تعـيش جـاليـة أخرى من الأمريكيين العرب في لوس أنجلوس. وقد بدأ المسرح في تلك المنطقـة بتقديم المسرحيات في أشكال غنائية وثنائيـــة اللغـــة لكي يستمتع بها الأمريكيون

٢ . صـلاح كالاتو، مخرج **شليلة وضايع راسها** تأليف حسـام زورو، شريط فـيديو، شركة مسرح بغداد، ديترويت، ١٩٨٤.

العـرب المولودون في هذه البـلاد والذين لا يتـقنون اللغـة العـربية، إضـافة إلى الجمهور العـام. وتقـدم هذه المسرحـيـات بدعم من الجماعة الثقافية الأمريكية العربية التي تسعى إلى إشـاعـة فـهم أفضل للثقافة العربية من خلال تقديم الموسيقى، والرقص، والأفلام، والمسرحـيات في منطقة لوس أنجلوس.

يـعـتـبر همام شـافي، وهـو ممـثـل وراقـص ومخـرج أمـريـكـي فلسطيني، واحـداً من الشـخـصـيـات القـيـادية في النهـوض بالنشـاط المسرحي الأمريكي العربي بصفته وسيلة لعرض التجربـة الأمريكية العربية والثقافة العربية. في عام ١٩٨٧ قدم عملـــه **وين عا رام الله**، وتدور المسرحـيـة حول مراهق من أصل فلسطيني تدفعـة الأغنية الرائجة **إمشِ مثل المصري** إلى تـصـور رحـلة الى وطن أبيـه في مطلع القـرن. ومن خـلال العـودة إلى الماضي تقـدم المسرحـيـة التناقـضات بين القيم والحياة الحقيقية في العالم العربي. كما تقدم قـصـة الشـعـب الفلسطينيي، كـاشـفـةً عن مـسـاهمة الأنظمـة العربية في مأساة الشعب الفلسطيني. وتجـمع المسرحـيـة بين الموسـيـقى والرقص العربي والأمريكي من أجل خلق التأثير الدرامي للعمل.٣

في تشرين٢ عام ١٩٨٩ شـهـد المسرح الأمـريكي العربي ميلاد شركة مسرح الأطفال الأمـريكي العـربي الذين خطا خطوة مهمة في تطور الهوية الثقافيـة للأمريكيين العرب. وقـد أشر تقـديم مسرحية: **المهرجان: مسرحية غنائية من فصلين**، مـيلاد الشركة وبداية جـديدة. وقـد قـام همام شـافي باقـتـباس المسرحية عن قصة قصيرة لأميرة عسلي. كما قـام بإخـراجها، في حين قام فهيم سعدي بتأليف موسيقاها. وقد قدم هذا العرض عـدد من الأمـريكيين العـرب المحترفين الموهوبين وحـوالي خمسـة وعشرين طفلاً أمريكياً عربياً قاموا جميعاً بتحقيق هذا النتاج بروحية الفريق.٤

تعالج **المهرجان** قـضية النشأة في عائلة أمريكية عربية. والد متعطل عن العمل لديه أربع بنات يرغـبن في المشـاركـة بمـهـرجـان. تتمتع كل فتاة بموهبة مختلفة: العزف على البـيـانو، الرقص الفـولكلوري، الغناء بالعـربيـة، والرابعة راقصة باليه. تشجع المسرحية المحـافظة على القـيم العـائليـة العـربيـة والتراث العربي في الولايات المتحدة. وتؤكد أهمية العـمل الدؤوب من خـلال اقتباس عدد من الأمثال العربية مثل "كل من جد وجد". وتدعـو إلى تعليم الأطفـال هذه القـيم لكي لا يذعنوا لمادية مجتمع الولايات المتحدة. كما تتـضـمن المسرحـيـة أيضـاً حلماً برحلة لكن الرحلة تتم من خـلال حكاية عـربيـة يعـود تاريخهـا للعـصـور الوسط تعكس قيم العمل الدؤوب، والأمانة، والصدق.

يعـرّف هذا الإنتـاج الجـمـهـور بالثقافة العربية، ويشجع، في الوقت ذاته، المواهب الشـابة لدى الأمـريكيين العـرب على تطوير بضـعـة أوجـه من الثـقـافة العربية والفنون التـعبيرية. إن ما يقوم به مسرح الأطفال الأمريكيين العرب مهم جداً وينبغي أن يدعم ويشـجع. فهو، كما تقول فريال مصري، منتجـــة العرض "يزرع بذور حـــب القيم

٣ . مقابلة على الهاتف مع همام شافي، ٢ شباط ١٩٩٠.

٤ . همام شـافي، مخرج، "المهـرجـان"، فـهيم سـعـدي، مـوسـيـقي، شريط فيديو، مسرح الأطفال الأمـريكيين العرب، لوس أنجلوس، ١٩٨٩. كل الإشـارات الأخرى إلى هذا العمل والاقتباسات منه تؤخذ من شريط الفيديو.

الثقافيـة العربيـة والتراث العربي". وتمضي لتوضح أيضاً "إن هذا هو الإنتاج الأول الكامل للأطفال الأمريكيين العرب". و"قد وفر **المهرجان** لهؤلاء الأطفال الفرصة لأن يؤدوا عملاً خلاقاً ذا علاقة بتقاليدهم وتراثهم"، وتخلص مصري إلى القول بأن المشروع "بذرة ستطور زعامات ومواهب مستقبلية لهذه البلاد". (**المهرجان**، نسخة الفيديو).

ويوضح همام شافي أهمية **المهرجان** بصفتة نتاجاً لعمل جماعي، واحتفاءً بالثقافة العربية، وتحقيقاً لوحدة الأمريكيين العرب. وقد صرح بأن الهدف من مسرح الأطفال الأمريكيين العرب هو توفير "المكان الذي يتعلم الأطفال فيه تجربة واكتشاف وتأدية ثقافتهم وتراثهم وتاريخهم وقيمهم، الأمر الذي يجعل كل هذه الأمور تبدو حقيقية بالنسبة لهم". **المهرجان**، نسخة الفيديو). وقد وعد بأن يكون الانتاج بداية لبرنامج مستمر وأن يأتي الإنتاج الثاني في الربيع التالي.[٥]

إن هذا المشروع يهم الجالية بأجمعها. فدعمها وتشجيعها ضروريان لاستمراره. إن بدايات المسرح الغنائي ثنائي اللغة مشابهة للكثير من المسارح العرقية الأخرى في الولايات المتحدة كحركة المسرح الأمريكي المكسيكي في تكساس، ونيومكسيكو، وولايات أخرى كانت قد بدأت بنتاجات مماثلة في بداية السبعينات وحققت نجاحاً كبيراً.

المسرح الأمريكي العربي الموجه للجمهور العام

تعود محاولتي الأولى لإنتاج عمل مسرحي مستمد من الثقافة العربية يقدم لجمهور من الولايات المتحدة إلى عام ١٩٧٧ في كولومبيا بولايه ميسوري. وقد قمنا، أنا وزوجتي بجمع كل الطلبة العرب في جامعة ميسوري وأسرهم لتقديم اسكتش/ عُجالة كنت قد قمت بكتابته يعكس ثقافتنا وهمومنا و أحلامنا.

يبدأ المشهد الأول من الاسكتش ذي المشهدين وعنوانة **زفاف** براوية يقدم زفافاً عربياً. تدخل النساء في موكب والرجال في موكب آخر ويمر الموكبان من خلال الجمهور. وفي نهاية الجزء الأول يغادر الموكبان بعد أن اتحدا في موكب واحد، من خلال الجمهور أيضاً، وأفراد الموكب يغنون ويرقصون. وقد جمع الاسكتش الموسيقى والرقص وأغاني من دول عربية مختلفة، في حين ارتدى الممثلون الأزياء التقليدية لتلك الدول. إن هذا الجمع العربي لا يلتقي أفرادة في العالم العربي الواقعي، ألا أنه عكس حنيناً إلى قيام أمة عربية موحدة وكان محاولة رومانسية لتقديم تلك الأمة.

بدأ المشهد الثاني المعنون "شريحة من الحياة" براوية يقدم الحقيقة الأخري المتعلقة بالحياة في الأرض المحتلة. ورغم أن هذا المشهد لم يستغرق سوى ثلاث دقائق مقابل الدقائق العشرين التي استغرقها المشهد الأول، وبالرغم من أنه خال من الكلام، فقد

---

٥ . مقابلة شخصية مع همام شافي، ١٥ آيار ١٩٩٠. وقد أشار إلى وجود تأخير في انتاج مشروع آخر بسبب صعوبات تتعلق بالدعم المالي ودعم الأفراد.

أثار طاقة درامية ومشاعر عميقة. فقد عكس الكفاح الفلسطيني من أجل البقاء الذاتي وتقرير المصير. وقد قدمت الجالية العربية من خلال هذا الأسكتش ثقافتها وهمومها وتطلعاتها عارضة على جمهور الولايات المتحدة الجانب الذي تمثلة في قضايا مثيرة للجدل غالباً ما يكتنفها سوء الفهم.

قدم المؤلف والفنان المسرحي الأمريكي العربي فريد العبودي قضية الإجحاف والتمييز ضد الأمريكيين العرب في الوقت الذي كان فيه هؤلاء يبحثون عن هوية ذاتية. والعبودي من مواليد الولايات المتحدة، وهو ممثل، وكاتب، ومخرج، ومدرس لفن المسرح. وقد درس المسرح في جامعة وين ستيت، وحصل على شهادة الماجستير في التمثيل من جامعة مشيغان، وشهادة أخرى في الإخراج من جامعة ولاية مشيغان. وقد قام بتدريس المسرح في جامعة اليرموك بالأردن ومارس مهنة المسرح في لوس انجلوس وشيكاغو. وقد قدم فريد مساهمة مهمة في تطوير المسرح الأمريكي العربي من خلال كتابة، وإنتاج، وتمثيل، وإخراج مسرحية عرضت في شيكاغو من حزيران إلى تموز عام ١٩٨٨، وتناولت بشكل مباشر، الإجحاف والنماذج الفردية الأمريكية العربية. وقد حاجج بأن هذا الإجحاف يساهم في إحساس الأمريكيين العرب بالاغتراب.

انتجت مسرحيته: **صورة مشبوه** على مسرح شيكاغو آكتورز بروجكت (مشروع ممثلي شيكاغو) واستمر عرضها لمدة شهر في صيف عام ١٩٨٨. وقد قدمت شخصية أمريكية عربية لم تحمل اسماً وكان يشار إليها بصفة **المشبوه** الذي كان يبحث عن هوية وهو يناضل من أجل أن يكون جزءاً من شيء ما. إلا أن ذلك البحث يقود إلى أن يصبح جزءاً من لا شيء.[٦]

تقدم مسرحية **صورة مشبوه** مواطناً شاباً من الولايات المتحدة ينحدر من أصل عربي ويتعرض لثلاثة استجوابات مؤلمة ومضنية. ويستخدم فريد الموسيقى، وسلايدات والفعل الدرامي العنيف مع لقطات استرجاعية بهدف تقديم تلك التجارب المرعبة. وفي ملاحظة الإنتاج التي كتبها يصف فريد جوهر المسرحية:

> إن فعل المسرحية مستمد، في أغلب أجزائه، من أحداث أكبر. وينبغي للمفهوم أن يكون مركزاً وغير متخلخل. يمتزج الحاضر بالماضي في سلسلة من الاسترجاعات التي تقدم من خلال وسائل مسموعة ومرئية وفعل مسرحي نشيط الحركة.[٧]

ينصح فريد بأن يجري مخرج هذه المسرحية بحثاً متأنياً في موضوع "الإجحاف والحقوق المدنية وحقوق الإنسان والمشاكل الأسياسية الناجمة عن التمييز، وعن غياب التفاهم الإنساني. وعلى المخرج أن يعمل مع الممثلين على حالات الكبح النفسي والبدني".

٦ . فريد العبودي: كاتب ومخرج، "صورة مشبوه"، مسرح مشروع ممثل شيكاغو، شيكاغو، ٢ تموز ١٩٨٨.

٧ . فريد العبودي: "صورة مشبوه" (شيكاغو: مخطوطة غير منشورة، ١٩٨٨)، ص١. كل الإشارات الأخرى إلى هذا العمل تظهر في النص.

(صفحة١) ويطلب فريد من المخرج أن يسعى مع الممثلين إلى خلق "الدينامية البدنية والنفسية الخاصة بالبيئة المكبوحة ". ثم يختتم قائلاً:

إن هذه العملية الدينامية والتحليلية يجب أن تسلط الضوء في النهاية على الكبح الذي يواجهه الأفراد الذين يسقطون ضحايا للإجحاف . فالإجحاف يسبب الحرمان المطلق والانتهاك الأكبر للنفس البشرية . وهو يترك الكثير من الناس في حالات من الغضب السلبي والجمود ، ويحولهم إلي ممارسة العنف والإدانة إزاء الآخرين . (ص ١)

تكشف المسرحية الأثر المدمر الذي يتركه الإجحاف على الحياة الانسانية. وتبدأ بصوت ضربات جسدية تصدر عن جهاز صوتي ثم ما تلبث تلك الضربات الصوتية أن تتحول إلى ضربات حقيقية يشعر بها الأفراد ويتحملونها. ويتولد إحساس التماثل الشخصي مع الشخصية الرئيسية، يجبر كل فرد من الجمهور على دخول عالم الرعب الذي يحيط بأولئك الذين يعيشون تحت الإجحاف. وتحمل المسرحية جميع الحاضرين على مواجهة حقيقة حالة الرعب التي يولدها الإجحاف والتمييز.

تستخدم هذه المسرحية أسلوب اللقطات الاسترجاعية عن طريق استعمال الشرائح/ السلايدات بالأبيض والأسود وأحياناً بالألوان لكي تعكس المناسبات السعيدة في حياة المشبوه. وتتفاوت فصول المسرحية الإثني عشر في الطول وتمثل شاباً يتعرض أولاً للاشتباه ثم التوقيف ثم الاعتقال ثم الاستجواب. إن ذنب الشاب الوحيد هو هويته. فهو أمريكي عربي.

لقد استمد فريد العبودي أحداث المسرحية من وقائع جربها شخصياً أو قرأ عنها، وقد قام أثناء البحوث التي أجراها، من أجل المسرحية، بدراسة أساليب الاستجواب المتبعة في الولايات المتحدة، ومن قبل الأنظمة العربية، والجيش الاسرائيلي. إن الاستجواب الأول في المسرحية، مثلاً، يمثل تجربة مر بها شخصياً في (آن آربر) عام ١٩٨١ عندما كان طالباً متخرجاً في المسرح في جامعة مشيغان بالرغم من أن المسرحية لا تحدد مكان وقوع الحدث.

يجد المشبوه أن إحساسه بالعزلة الأغتراب يزداد في مشاهد الاستجواب. يُعتقل أولاً من قبل ضباط الشرطة الذين يتهمونه بمضايقة امرأة هي زميلة له في الصف وبإجراء مكالمات هاتفية بذيئة لها.٨ ويطلق المستجوبون علية نعوتاً مهينة (ص١٢). إن الاشتباه به يقوم على مَنْ يكون وليس على ما فعل. وتقوم الشرطة بتحريف كل كلمة من كلماته لتلائم الصورة النمطية التي يحملونها عن العربي.

في مشهد آخر يستجوب المشبوه من قبل شخصين سوريين يتهمانه بالتجسس لأنــه،

٨ . لم يشر الكاتب المسرحي إلي المدينة أو الولاية التي ينتمي إليها ضباط الشرطة لأغراض رمزية: فهذه الأحداث يمكن أن تقع في أية مدينة في الولايات المتحدة. مقابلة شخصية مع فريد العبودي، ٣ تموز ١٩٨٨.

أثناء قضائه إجازة في سوريا، التقط صوراً في منطقه لم يكن يعرف أنها منطقة أمنية. أما جريمتـة الحقيقة هذه المرة فهي جواز سفره الصادر عن الولايات المتحدة والذي يحمل اسماً عربياً. إنهما يدعوانه بـ "الخائن" (ص٢٤) ويقولان له :

- "إن جنسيتك الأمريكية لا تنفعك في سوريا".
- "لو كنت تتمتع بأي كبرياء لكنت ناضلت مثل الآخرين. لكنك عشت في الغرب طلباً للراحة، والمال والجنس -"
- "وكما يفعل ابن حرام أخذت اسم والدك وتخليت عن شرفه". و
- "جئت إلى هنا لأنك لم تستطع أن تكون أكثر من غاسل سيارات في أمريكا". (ص ٢٦)

ويشتد هجومهما علية بحيث يستبعدانه عن الناس الذين اعتقد بأنه ينتمي إليهم، ثم يتمادي المستجوب السوري فيقول: "أنت لست عربياً ولا أمريكياً. وليس هناك شيء يسمى أمريكي عربي. أنت مثل صرصور . . . " (ص ٣٠)

قبل مشهد الاستجواب الثالث، يقول المشبوه إنه قد عثر على قطة صغيرة كانت قد عذبت، ويوضح أن الوقت قد فات لإنقاذها. وإذ تعتم الإنارة تدريجياً لتتحول إلى ظلام، ينتحب وهو يقول: " كان العالم كله قاسياً . . . قلبي يؤلمني . . هنالك أشياء كثيرة لا أفهمها، أسال الله التوجيه . . . أرغب كثيراً بالعيش لأن في الحياة الكثير من الجمال لو استطاع الناس أن يروا . . . (ظلام)" (صفحة ٣٥).

مشهد الاستجواب الثالـث هو أشد مشاهد المسرحية قبحاً، وأكثرها عنفاً، وأزخرها بالحركة البدنية. هذه المرة يعتقل المشبوه في القدس وهو يركض هرباً من انفجار قنبلة. ولا يجديه التشبث بكونه مواطناً من الولايات المتحدة. فهم ينظرون إليه بصفتة مجرد إرهابي عربي آخر. ويعامله المستجوبون الإسرائيليون كما لو كان شيئاً دون مستوى البشر. ويقولون له "أنت لست أمريكياً. العربي دائماً عربي" (ص ٣٧) ويتخذ المشهد إيقاعاً أعلى عندما يقوم المستجوبون بضربه، وطرحه أرضاً وسكب المياه القذرة عليه حتى ينهار.

في المشهد الأخير، "ليمبو" (الأعراف)، ينهي المشبوه رسالة بالقول: "لم أفكر بنفسي أبداً بصفتي أقلية. لقد حسبت أنني كائن بشري. . . لأنني لم أنتم إلى أية جماعة، ومع ذلك، فقد أعطوني لقباً خاصاً. . . إنه شيء يشبة الإهانة أن لا تميز بشكل إيجابي بل تفصل عن البقية". ويضيف: "من السهل على الناس أن يكرهوا، فهؤلاء الذين يكرهون لم يعودوا بشراً". ويختتم الرسالة: "لقد قضيت حياتي سائراً في الاتجاه الخطأ . . . أمثل دور شخص لم أكنه. . . أردت فقط أن أنتمي، أردت أن أكون جزءاً من شيء ما. أنا الآن من لاشيء. ما أصعب أن تكون كائناً بشرياً بلا هوية".

يأخذ فريد العبودي المشبوه في رحلة عبر نماذج الأمريكي العربي من المغتصب والجاسوس إلى الإرهابي. ومن خلال هذه الرحلة، يكشف عن عذاب الاغتراب.

ومثلما فعل جيمس بالدوين في **أحزان للمستر تشارلي** فإن فريد يصدم ويُزعج. وتكشف **صورة مشبوه** عن غضب الأمريكيين العرب الذين يسقطون ضحية النظرة المجحفة. ويطور فريد إهانة المستجوبين إلى الحد الذي يصبح فيه كل شيء ممكناً ويبدو العنف منطقياً. يدعم استخدام الاسلوب الاسترجاعي والشرائح/ السلايدات محتوى المسرحية ويعززه. ففي حياة الاغتراب يكون الماضي جزءاً من الحاضر، وهو يستعاد لحظة فلحظة، ويفتح الباب المؤدي إلى الاغتراب ويدعو الجمهور إلى الدخول.

إن دراسة الحركة المسرحية الأمريكية العربية لا تكشف عن وجود نوعية أدبية وفنية عليا راسخة في الوقت الحاضر، إلا أنها تكشف بشكل عام عن مواقف وقيم ومثل وتطلعات مهاجرين ينشئون جالية. إنها تلقي الضوء على بعد جديد في فهم نمو وتطور الهوية الذاتية لجالية مهاجرة في الولايات المتحدة. وكباحث وممارس مسرحي، أجد في تطور نمو الشخصية الثقافية الناشئة مادة ذات قيمة عظيمة تستحق التسجيل والمزيد من الدراسة.

إن الأنواع الثلاثة للمسرح تمثل طيفاً واسعاً لتجارب الأمريكيين العرب اليوم. وهي لا تخاطب الجمهور الأمريكي العربي وحده، بل العالم الأوسع الذي تجد نفسها فيه. وهي لا تكشف عن آمال وأحلام الأمريكيين العرب فحسب، بل عن مخاوفهم أيضاً، لهم وللآخرين. إن الأمريكيين العرب في مسرحهم المتطور يجلبون ماضيهم وقيمهم إلى ثقافة الولايات المتحدة التي يشكلون اليوم جزءاً منها ، في حين يكافحون في الوقت نفسه، للمحافظة على هويتهم الخاصة ولتعريف تلك الهوية لأنفسهم. أن تكون أمريكياً عربياً هو، حسب ما تقول هذه المسرحيات، أن تكون عربياً وأمريكياً معاً، وهو ، في الوقت الحاضر على الأقل، يعني أن لا تكون أياً منهما.

النماذج العرقية وصورة العربي

رونالد ستوكتون

حسبك أن تفكر ـ أننا لو استطعنا أن نحرر هوية المرأة المقنعة فسنحصل على قطيع من الجِمال، امتياز نفط، حريم كامل التأثيث، عنزة. . .

ستيف كانيون، ١٩٤٨

إن مدننا الكبرى تتحول إلى مناطق حربية، بكل العنف الذي تراه الشوارع التي نراها. نحن في ديترويت هذا الأسبوع، وهذه المدينة العظيمة يمزق أشلاءها العنف. الكثير من الناس هنا اعتادوا يومياً على صوت الطلقات النارية، هنالك قنابل تفجر، وسيارات تشعل. لماذا؟ سأقول لك يا صاح. لأن أكبر جالية عربية خارج الشرق الأوسط تعيش هنا في ديترويت . . .

مورتون داوني الابن ، ١٨ /تشرين ٢ / ١٩٨٨

ظهرت كلمة stereotype/النموذج المثالي في الرحلة المبكرة من صناعة النشر وكانت تشير إلى اللوح الخشبي الذي تؤخذ عنه الطبعات المتجانسة بدون تغيير أو تحوير. وقد نَشر الكلمة على مستوى الجماهير والتر ليبمان عام ١٩٢٢ بعد ظهور كتابه الكلاسيكي عن الرأي العام. وهي اليوم تستخدم بشكل روتيني لوصف الصورة غير الودية التي تستخدم بلا تمييز لوصف الجماعات الثقافية والعرقية.

يصف فيليب عملية إطلاق النموذج بأنها "نوع جمود، مستودع تحفظ فيه نماذج حقيقية إلى الأبد" (١٩٨٠، ٢٥) يمكن للنماذج النمطية أن تكون معادية أو غير معادية، إلا أن ما يهمنا هنا أكثر من غيرها النماذج النمطية المعادية التي تصيب الأذى أو الضرر. وكمثال على النماذج النمطية غير المعادية، يمكن ذكر كون الإيرلنديين مرحين أو أن الصينيين متفوقون في الرياضيات.

ربما تكون الخصلة الأساسية في النماذج المثالية أنها تنتزع الاشخاص "من التاريخ"

وتنكر عليهم الحق في التطور بمرور الزمن. حيث يبدو كأن سماتهم قد عُرّفت وثُبتت في لحظة من الماضي السحيق وأن سلوكهم قد تم تقريره سلفاً.

يركز هذا المقال على الصور التي يحملها الأمريكيون عن العرب، والتي يعبر عنها بشكل خاص في الكاريكاتير والكارتون. إلا أن الموضوع يأخذ بعداً أوسع من هذا الإطار. فالموضوعة المركزية المطروحة للبحث هي أنه لا ينظر إلى العرب نظرة مستقلة بل إن النظرة إليهم مشتقة إبتداءً من نماذج مثالية معادية تطبقها حضارتنا على أولئك الذين تصطدم بهم. وتمتد جذور هذه النماذج المثالية إلى نزاعات موغلة في القدم أوتعاليم حضارية يعود تاريخها إلى قرون أو ألوف من السنين. ويبدو منشؤها بعيداً جداً إلى حد لا يجعلها تنطبق على حقائق العالم المعاصر، إلا أن ثباتها على مدى الزمن يشهد بفاعليتها وقوتها الراسخة. وما أن يظهر الصراع أو التوتر حتى تؤلف بشكل يجعلها ملائمة للمواقف الجديدة.

يتناول سام كين (١٩٨٦) بالبحث المفصل مفهوم النماذج النمطية الخاصة بالاجناس البشرية ويركز على "تكرار الصور التي استخدمت لتمييز العدو في أزمنة وأمكنة مختلفة"(١٣). ويؤمن كين بوجود ميل خاص في الذات الإنسانية ـ يظهر بشكل خاص في أوقات الحروب ـ ينحو نحو توليد "آخر" معاد يمثل، بشكل ما، الجانب المضاد لهويتنا الخاصة. وفي تصوير عدوٍ من هذا النوع، "تمتلك المخيلة المعادية ذخيرة محددة من الصور ستستخدمها لتجريدِ العدو من صورته الإنسانية. وبقدر تعلق الأمر بالدعاية، فنحن جميعاً أفلاطونيون. بمعنى أننا نطبق نماذج مثالية أبدية على أحداث متغيرة" (١٣).

سيظهر هذا المقال أن هناك نوعين من النماذج المثالية المعادية هما الأهم. الأول استهدف الأفارقة بشكل تقليدي، وصورهم بأنهم يحملون انحطاطاً متأصلاً في مجالي البايولوجيا والحضارة، بينما استهدف الثاني اليهود ووصفهم، تقليدياً، بأنهم شعوب أو أمم ذات حضارات متقدمة إلا أن الاعتقاد السائد عنهم الآن أنهم يعانون من خطأ باثولوجي سببه سمة أو هنة متأصلة. ويطلق على هذين النموذجين المثاليين اسم العنصرية ومعاداة السامية.

وفي دراسته الكلاسيكية عن الإجحاف prejudice ، يشير أولبورت (١٩٥٨) إلى "سمة تبادلية" أو خاصية "تكميلية" في هذه المجاميع من الصور كما لو كانت تمثل بطريقة ما قطبين متميزين للتنفير. "وفيما بينهما يتوزعان الاهتمام بنوعين رئيسيين من الشرور ـ الأكثر "بدنية" والأكثر "معنوية". (١٩٤)

كما يشير أولبورت إلى أن الصور المعادية قد تكون خاضعة لعملية انتقال يتم بموجبها تحويل الموضوعات التي نشأت مع جماعة معينة إلى هدف مغاير تماماً. وكمثال على ذلك، يورد الحالة التي تم فيها تحميل الأرمن في كاليفورنيا الصور التي تنتمي تقليدياً إلى معاداة ـ اليهود (١٨٥).

إن المعلومات المتوفرة في هذه الدراسة تؤيد وتعزز هذا المثال عن النموذج المثالي المزدوج. والنتائج المستخلصة في هذا الفصل تستند إلى عدة مئات من صور الكارتون

التي تمثل شخصيات عربية. وقد تم شمول البعض التقليدي فيها كأمثلة. وقد أخذت رسوم الكارتون هذه عن الصفحات التي تخصص للمقالات الافتتاحية، ومن كتب الرسوم الهزلية، ومن شرائط الرسوم الهزلية في الصحف. وإذ لا يمكن اعتبار هذه العينة شاملة أو منتخبة بطريقة علمية، فإنها، رغم ذلك، شاملة ومؤهلة لتمثيل ما نشر من المواد خلال العقود القليلة الماضية. وعند الإعداد لهذه الدراسة، قمت بتفحص العشرات من مجموعات/أنثولوجيات الكارتون التي جمعت أعمال رسامين معينين أو مختارات سنوية، كما تفحصت عشرات الكتب الهزلية التي تتناول شخصيات عربية (وغير عربية)، وكتباً أخرى عن فنون الغرافيك والصور الكارتونية ومجموعة شخصية تضم عدة مئات من رسوم الكاريكاتير السياسي.

إن الكتب الهزلية والكارتون تشكل مصادر مفيدة للمعلومات لأنها موجهة لجمهور حاشد، ولأنها تستخدم صوراً مرسومة وتنطوي غالباً على موضوع يتعلق بحدث مع حكاية أو مغزى. وفي سعيها إلى أن تحقق توصيلاً سريعاً وكفؤاً، فإنها تعتمد على الصور الاختزالية التي تحتوي على رسائل حضارية وتثبتها بلا حاجة إلى استخدام الكلام في أغلب الأحيان. ويشير التحليل إلى أنه بالرغم من كون بعض المواضيع المرتبطة بالعرب مقتصرة على هذه الجماعة (مثل تلك التي تتناول الصحراء، والنفط، والجمال)، فإن نسبة استثنائية من كل الصور العدائية أو المهينة التي تستهدف العرب إما مستقاة من الصور التقليدية الخاصة بالسود واليهود أو موازية لها، إلا أنها قد عدلت لتناسب الظروف الراهنة.

دراسات كلاسيكية لصور حضارية

إن التركيز في هذا المقال لن يقتصر على الصور الحالية بل سيتناول بتوسع أكبر التكييفات التي أدخلت على المواضيع السالفة لجعلها ملائمة للمواقف الحالية. ومن هنا، سيكون من المهم فهم الإرث الحضاري الذي استندت عليه تلك الصور. وبدلاً من القيام بمراجعة موسعة للأدب، يمكن أخذ دراسة لحالتين تصلحان مثالاً لنماذج الصور الكلاسيكية القابلة للتكييف هما حالتي السود واليهود. الدراسة الأولى هي دراسة ونثروب جوردان **أبيض فوق أسود** (١٩٦٨) وهي تحليل للمواقف الأمريكية المبكرة تجاه الأفارقة والأمريكيين الأفارقة. والثانية هي دراسة نورمان كوهن (١٩٦٦) **تفويض بقتل جنس بشري** وهي دراسة بريطانية حول المواقف الأوروبية تجاه اليهود. ولأغراض المقارنة، يمكن النظر في دراسة جون دوور **حرب بلا رحمة**، وهي دراسة عن صورة الياباني في الولايات المتحدة في زمن الحرب ـ لغرض معرفة الطريقة التي تم بها تكييف مواضيع محددة وتطبيقها على مواقف نزاعية جديدة.

الحالة الأولى : السود كشعب متوحش

يركز جوردان تحليلة (١٩٦٨) على المرحلة الأولى من تشكل المواقف الغربية والأمريكية تجاه الأفارقة والأمريكيين الأفارقة. وكانت تلك المواقف قد بدأت تأخذ أشكالها بوقت سبق تغلغل الغربيين في أفريقيا في سنوات القرن السادس عشر. حتى في تلك الفترة، كانت هناك "أفكار عامة حول أفريقيا يبدو أنها كانت شائعة وقائمة منذ زمن طويل" (٣٤). وقد استمد البعض منها الإرث المتراكم في الحضارة الغربية منذ الأزمنة السحيقة. (٢٩) وهذه الأفكار العامة يمكن ضغطها في موضوعين رئيسيين: فكرة الشعب المتوحش الذي تسيطر غرائزه الحيوانية على طبيعته، ومفهوم يتعلق بالإرث البايولوجي الذي يصنع أجناساً معينة في مكان متوسط بين الكائنات المتمدنة والحيوانات.

وقد قرر الأوربيون في وقت مبكر جداً أن الأفارقة شعب متوحش، وقد وصفوهم بشكل متكرر بكونهم "حيوانيين" و "وحشيين" (٢٨). وقد اعتقدوا أنهم "شعب خليع وفاسق وداعر" (٣٢) أدنى من الأوربيين في الذكاء، والحذاقة، والإبداع الاقتصادي، والتنظيم الذاتي، والقدرة على الفهم، والتطور الديني والمدنية الإنسانية.

في نظر الأوروبيين، لم يبد من باب المصادفة أن يوجد السود في القارة الأفريقية ـ المكان الذي تعيش فيه مخلوقات أخرى شبيهة بالإنسان ذات جلود سوداء ـ يقصدون بها القرود. وكان هناك قدر ملحوظ من التكهنات بوجود علاقات وراثية محتملة بين "الحيوانات الشبيهة بالإنسان، والإنسان الشبيه بالحيوانات في أفريقيا". (٣٠) وخصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات الجنسية المزعومة بين الاثنين. وقد نشأت هذه الآراء "تقاليد امتدت قروناً" حول "سلسلة منظمة من النشاطات الجنسية" ما بين المخلوقات. (٤٩٠) وقد احتلت الوحوش طرف هذه السلسلة ـ وهي تمارس النشاط الجنسي الإباحي بلا حياء ـ ووقف البشر على الطرف الآخر. أما السود، فيأتون في الوسط حيث يشتركون بخصائص معينة مع كل من البشر والوحوش.

إن المفهوم شبه الديني حول سلسلة الوجود قد عزز هذه الأحاسيس. وقد لخص هذا المفهوم في أطروحة تعود إلى عام ١٧٩٩ تنص على أن "الطبيعة، ابتداء من الإنسان وحتى أصغر السحليات، تعرض أمام نظرنا سلسلة هائلة من المخلوقات التي منحت درجات مختلفة من الذكاء والقدرات الفعالة التي تلائم مواقعها ضمن النظام العام" (٤٩٩). وإذ لم تكن "المرتبة في الخلق" مفهوماً عنصرياً متأصلاً، فإن البيئة المشحونة بالعبودية سرعان إلى ما جعلته كذلك. كما ساهم في هذا التحول النزاع الذي دام قروناً بين أوروبا والأتراك وجعل الشعوب غير الغربية تبدو وكأنها تحمل ضمنياً عناصر التهديد مما يجعلها تستحق الاستعباد. "وقد بدا التحارب الدولي كأنه، قبل كل شيء، صراع لانهائي بين المسيحيين والأتراك. ولذلك بدت العبودية باستمرار متعلقه بالعداء الدائم القائم بين المسحيين في طرف، "والكفار" و "الوثنيين" في الطرف الآخر".

ومما سهل الاستعباد إيديولوجياً حقيقة أن السود في الولايات المتحدة لم يعتبروا حائزين



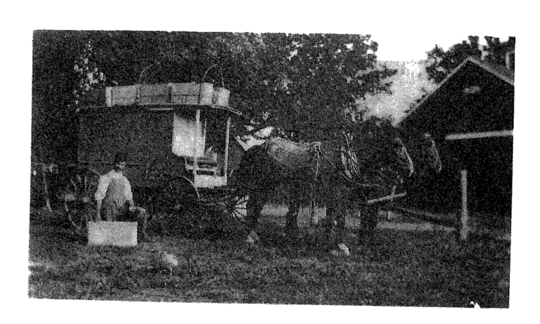
بائع متـجول مع حقيبة بضاعة متنوعة ، ورسستر ، مـاساشوستس (١٨٩٨)



بائع متجول بحقيبة ظهر ، برمنغهام، ألاباما
(حوالي ١٩١٠)



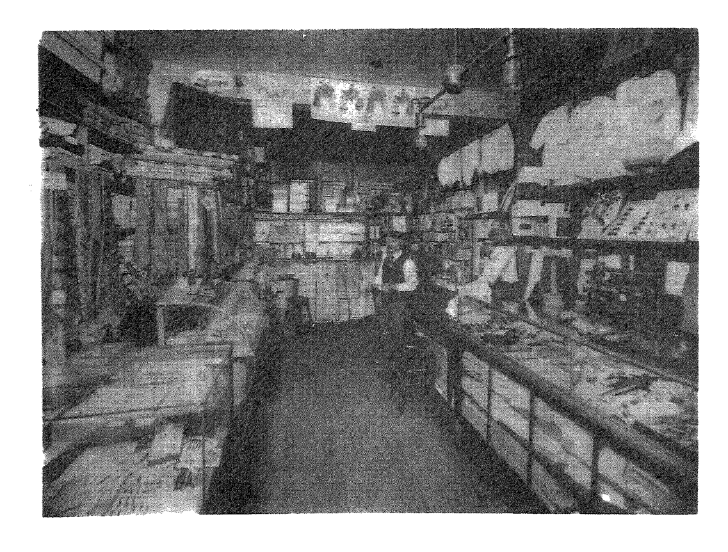
بائع متجول يعرض بضاعته، برمنغهام،
ألاباما (قبل الحرب العالمية الاولى)



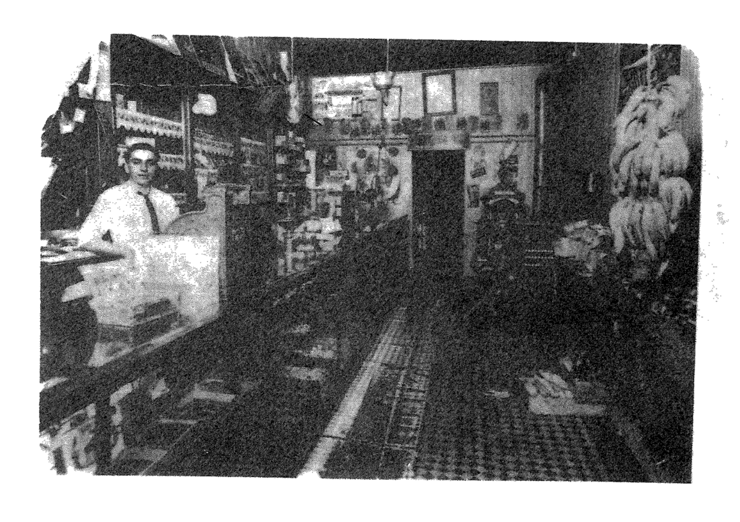
بائع متجول بعربة تجرها الخيول . (قبل الحرب العالمية الأولى)



شاحنة بائع متجول لملابس جاهزة (مطلع العشرينات)



السيد سوري في متجره في شارع ٣٦ في حي جورج تاون ، واشنطن دي سي (١٩٠٩)



مخزن تبغ وحلويات. سبرنغ فـالي / وادي الربيع، ايلينوي في العشرينات



يوم الافتتاح، ١٩١٦



حفل زفاف، فورت واين
إنديانا (١٨٩٦)



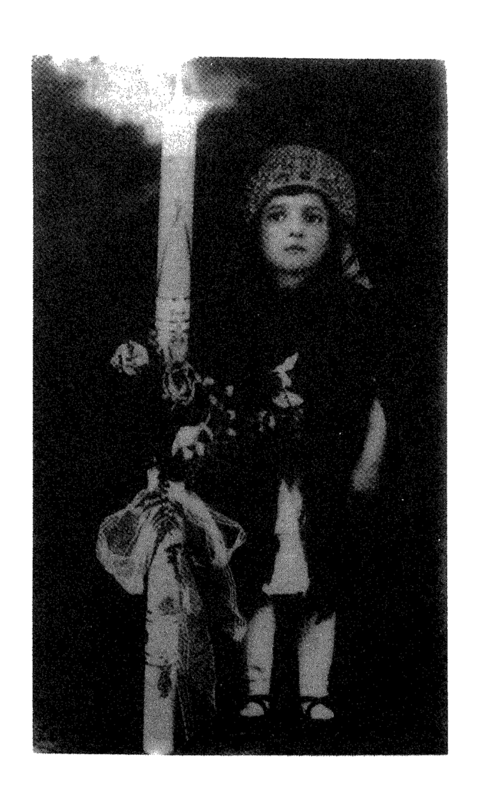
عـائلة نيقولا، بسمارك، نورث/ شمال داكوتا (قبل الحرب العالمية الأولى)



عائلة بوحاكر، برمنغهام، الاباما (حوالي ١٩٢٣)



تكريس الأسقف جرمانوس لكنيسة القديس جورج الأرثوذكسية، ديترويت، مشيغان (الحرب العالمية الأولى)



فتاة مارونية ، أحد الشعانين، ديترويت، مشيغان (مطلع العشرينات)



صنع الـ كبة



مهاجرون من زحلة، لبنان، يلتقون في ساحة ترفيه شعبية ، إيلينوي (١٩٣٠)

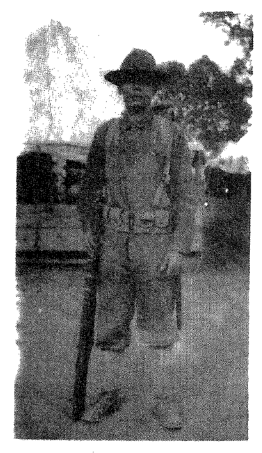


الفرقة المسرحية اللبنانية التي قدمت "هاملت"، يوتيكا، نيويورك (١٩١٥)



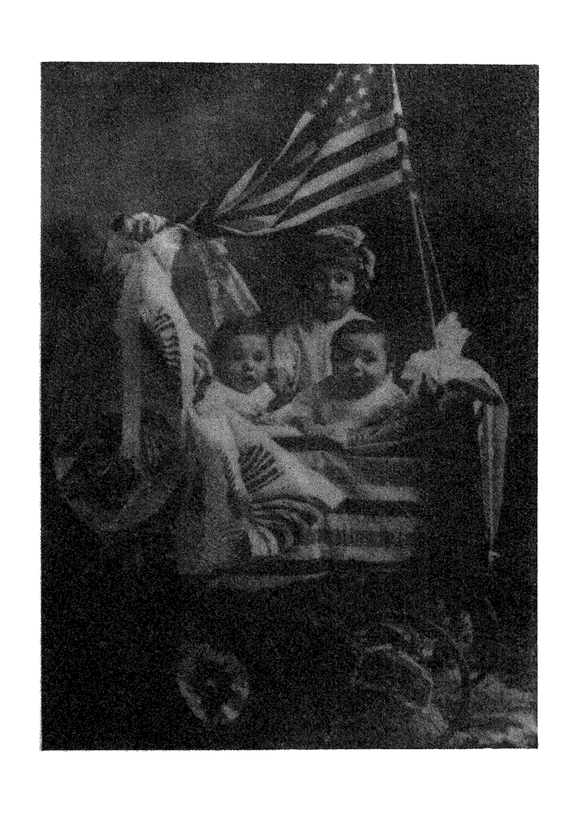
فتيات أمام الكاميرا (العشرينات)

جندي أمريكي عربي، غينيا الجديدة،
الحرب العالمية الثانية





ادوارد نـجـار، جندي لبناني درزي في
مـعسكر فريمونت ، كاليفورنيا (١٩١٧)



مـايري وليـستر ومـايك نيكولا الفائزون بالجائزة الأولى في استعراض ٤ تموز عام ١٩١٧ في ديكنســون . نورث / شمال داكوتا

على "مـزية القومية" . ففي الفكر الغربي، تعتبر"الأمم" حالة متقدمة على "الشعوب" . ولما كـانت صـفـة "الأمـة" قـد انتزعت من الأفارقة إلى حد صارت فيه "الأمم الأفريقية تنحو إلى أن تصبح شعباً زنجياً" (٩٠)، فـقـد صار من السهولة اعتبارهم أدنى وقابلين للاستعباد.

الحالة الثانية : اليهود كشعب معكوس

تنظر اللاسـامـيـة الكلاسـيكية إلي اليهود بصفتهم شعباً تتسم قيمه بأنها صورة المرآة لقيم الآخـرين. وقـد نشأ هذا الاعـتـقاد من مباديء مسيحية كاذبة (قامت الكنائس المسيحية بانكارها فـيما بعـد) وبلغ مـداه في "بروتوكـولات حكماء صـهـيون" سيئة الصيت، وهي عـبـارة عن وثيـقـة دعـائيـة روسيـة من القـرن التـاسع عشر. وهذا المنطلق يقوم على أن اليـهـود قـتلوا الله في حين أن جميع الشـعوب الأخري تحبه، وإذ تحب الشعوب الأطفال، فإن اليـهـود ينحـرونهم كأضـاحي في طقـوسهم، وفي حين يحب الآخرون أوطانهم، فإن اليـهـود يخونونها؛ وإذ يكدح الآخـرون طلبـاً للعـيش، فإن اليهود يحصلون على معاشهم بالغش والكذب؛ وإذ تحـــب الشـعـوب الأخـرى السـلام، فإن اليـهـود ينتعـشون في الحروب.

في تحديده لهيكـــل هذا المنطـــق، يقول كوهن (١٩٦٦) "أن أوهاماً محددة عتيقة وهدامـة بشكل كـبير قـد تم إحـيـاؤها" في الفترة مـا بين الثورة الفرنسية والحرب العالمية الثانية. (١٩)

يعـود تاريخ تلك الأوهام القـائلة بأن اليـهـود "مخلوقـات غـامضة وهبت قوى خارقة ومشبوهة" (٢١) إلى القـرن الثـاني بعـد الميلاد عندما كانت الكنائس تتنافس مع المعابد اليـهـودية على الأشـخـاص المتـحـولين من واحـدة إلى الأخـرى. وفي تلك الفترة، كـان الزعماء المسـيـحـيـون غالباً ما يصورون اليهود على أنهم "مدمرون وقتلة متمرسون" . كما كـانوا يصـورون المعـابد اليـهـودية على أنها "هيـاكل الجن. ومـغـارات الشياطين. وبؤرة الفناء" (٢١). وقـد تم تبني هذه الصـور في الفترة الصليـبيـــة حتى أصبـــح اليهود "الوسطاء الذين يستـخـدمـهم الشيطان من أجل هدفه المعلن في محاربة المسيحية وايذاء المسيحيين" (٢٢). وقـد اسـتطاعـوا بوساطة ديانتهم الشيطانية أن يمتلكوا "قوى شريرة لامحدودة" رغم مـا يبدون علية من ضعف (٢٢).

يمارس اليـهـود نفـوذهم، تبـعـاً لما تقـولة البروتوكـولات، من خـلال مجلس غامض. وكـانت هناك، على وجـة التـحـديد، "حكومـة يهودية سرية تسـيطر، من خـلال شبكة عـالمـيـة مـن المنظمات والوكـالات المموهة، على أحـزاب سيـاسـيـة وحكومـات، وعلى الصـحـافة والرأي العام، وعلى المصارف والتطورات الاقتصادية" (٢٢ ـ ٢٣) هدف هذه الجماعـة هو النفـود العـالمي. وستراتيجيتها قائمة على إحداث الفوضى الداخلية والحروب الدوليـة من أجل تعـزيز تأثيرها. وأن هذه الجماعـة قـد حـقـقت نجـاحـاً كبيرا بسيطرتها المزعـومة على الهياكل الاقتصادية الدولية الهامة.

كانت هناك ثلاثة أنواع من المشاعر الكلاسيكية المعادية لليهود: العداء للديانة اليهودية باعتبارها منحرفة وشريرة، ومعاداة السامية الشيطانية التي تظهر اليهود باعتبارهم مصدر الاضطراب والتمزق الاجتماعيين، ومعاداة السامية الاقتصادية التي تركز على ثروة اليهود ونفوذهم. وهذه السمات مجتمعة تعتبر مسؤولة عن نسبة استثنائية من العلل الاجتماعية منها: البلشفية، والرأسمالية، والضرائب الباهظة، والديون، والحروب المستمرة، والبطالة، والديانة العالمية، والعلمانية، والإباحية الجنسية، والسكر، وانهيار العائلة والمدارس الفقيرة.

يرى كوهن أن لهذه الصور المعادية قوة استثنائية. "إن ما كان عليه اليهود بالفعل وما فعلوه وما أرادوه، أو ما كان يمكن أن يكونوا عليه أو يريدونه أو يفعلونه، لم تكن له أية علاقة بالأمر". فما أن توضع هذه الصور في مكانها "حتى يمكن استغلالها بشكل متعمد بين حشود من البشر العاديين. لقد حدث هذا من قبل إبان جنون الساحرات الذي عصف بأوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وكان له أن يحدث من جديد عندما بدأت اسطورة المؤامرة العالمية اليهودية فعلها المميت". (٢٥)

الحالة الثالثة : الرجال القردة في آسيا

طبقاً لدراسة دوور المميزة (١٩٨٦) عن الدعاية في الولايات المتحدة واليابان أيام الحرب، فإن نظرة الولايات المتحدة إلى اليابانيين تأسست على "تعابير صيغية" و "صور نموذجية" تعود جذورها إلى عدة قرون خلت حين كانت تستخدم لرسم الآخرين من غير البيض بشكل عام (٩-١٠). وتوازي محاججة دوور محاججة جوردان في اقتراح كون الاعتقادين مهمين بشكل خاص: مفهوم تسلسل الأجناس وفكرة الشعوب المتوحشة. وهو يعتبر الايمان بوجود شعوب "متمدنة" مقابل شعوب "متوحشة" مهماً بشكل خاص لأنه يؤمن الأساس الإيديولوجي للتفكير العنصري (١٤٩). وقد نشأ عنه التأكيد على امتلاك غير البيض لطبائع حيوانية تضعهم في مرتبة أدنى من التطور تتميز بالبدائية، وعدم النضج، ونواقص خطيرة في المجالات الذهنية، والأخلاقية، والعاطفية. (١٥٣)

في سنوات الأربعينات، تم تجنيد هذه الصور التقليدية من أجل الحرب. وقد تم تصور اليابانيين بصفتهم شعب متدنٍ بالفطرة، خاضع للبدائية، والسلوك الطفولي، والنقائص السيكولوجية الجمعية. (٩-١٠). سياسياً كانوا "مشحونين بالطموحات القومية العنيدة العمياء . . . وخاضعين لنوبات مسعورة من القسوة والفظاعة". (٢٠) وقد حرمهم الوصف المختصر جاب/ the jap الذى التصق بهم باستمرار من "أدنى إمكانية للجمع" (٧٩) إذ كانوا "حزمة متعددة وغير مميزة محرومة لا من الانسانية أو الفردية فحسب، بل من الجنس والعمر أيضاً". (٩٣) وكان مجتمعهم عبارة عن تل للنمل لا يحمل سمة شخصية، وكان شعبهم خاضعاً "لخنوع مثل خنوع الغنم" (٨٣). وكانوا "بدائيين أو متوحشين" بالمعنى القبائلي غير المتمدن و "طفوليين كأفراد

وكجماعة، وغير أسوياء بشكل جماعي بالمعنى السايكولوجي والسايكاتري يعذبهم على جميع الأصعدة شعور كاسح بعقدة الدونية" (١٢٢) وكانت "فرديتهم المكبوتة" تتعزز "بأيديولوجية جماعة بدائية تستمد شرعيتها من ديانة جماعية بالية مدعومة بعقود من الاستبداد". (١٤١) وكانوا "جنساً يعاني من الاضطرابات السايكولوجية الجماعية". (١١٧)

في الكاريكاتير ظهر اليابانيون بصورة غير إنسانية أو دون الإنسانية "غالباً كحيوانات، أو زواحف، أو حشرات" أو "كقطعان" (٨١). وإحدى الصور الشائعة كانت صورة الأخطبوط الذي يقبض بأذرعة على آسيا ويمد يداً لغرس الخناجر في قلب الأراضي المجاورة (٨٣ ـ ٨٤).

وكان التصوير بشكل قرود شائعاً بشكل خاص "ربما لأن جميع الاستعارات الأكثر تجذراً قد استخدمت تقليدياً من المؤمنين بتفوق البيض لأغراض الحط من الشعوب غير البيضاء" (٨٦) وإذ ظهر هتلر وموسوليني، ففي شكل القرود أحياناً "فإن هذا لم يكن إلا استعارة عابرة، مجرد إشارة إلى حالة من النكوص أو الضلالة لا تحمل نفس الدلالات العنصرية الواضحة التي يحملها القرد الياباني" (٨٧).

صور العرب لدى الأمريكيين

في عام ١٩٧٧ تتبع لبست وشنايدر في الرأي العام في الولايات المتحدة نسقاً من المواقف إزاء العرب ووصفها بأنها "سلبية وقريبة من العنصرية" (٢٢). وأضاف تحليل سليد (١٩٨١) بأن "العرب ما زالوا من بين قلة من الجماعات العرقية التي يمكن التشهير بها دون التعرض للمساءلة القانونية في أمريكا" (١٤٣). وأفاد جرار (١٩٨٣) بأن دراسة ٤٣ كتاباً مدرسياً مخصصاً للمدارس الثانوية في مجال الدراسة الاجتماعية قد وجدت أن العرب يصورون بصورة "البدائيين، المتخلفين، سكان الصحراء، البدو، محبي الحروب، الإرهابيين والممتلئين حقداً". (٨٧ ـ ٣٨٨) وقد حلل شاهين (١٩٨٤) أكثر من ٢٠٠ برنامج تلفزيوني فوجد أن السمات العربية تتبع، في الغالب، ما دعاه "العدة العربية التلفزيونية الجاهزة". وتشمل "العدة" "بدلة رقص، ولباس رأس (يبدو وكأنه غطاء مائدة نتش من أحد المطاعم) وبرقع، ونظارات شمسية، ودشاديش وأردية هفهافة، وآبار نفط، وسيارات ليموزين، و/أو جمال" (٥).

وفي دراسته الكلاسيكية حول المواقف الغربية إزاء الشرق الأوسط (بضمنه الإسلام: تركيا وإيران والعرب) وجد إدوارد سعيد (١٩٧٩) مجموعة من الصور الجماعية المطبقة على الشعوب الشرقية اختصرها بتعبر "الاستشراق". وهذه المجموعة من الصور تنطوي في داخلها على "موقف الغربي من الشرق ... تلك المجموعة من الأحلام، والصور والمفردات المتاحة لأي شخص حاول التحدث عما يقع شرق خط التقسيم" (٧٣). وفي حين نجد أن بعض هذه النظرات قديمة العهد، فإن الكثير منها قد ظهر خلال الألف سنة التي شهدت الصراع بين أوربا والشرق الأوسط، وقد

ارتبطـت بشكل خـاص بالحـروب الصليـبيـة والحرب التي وقعت لاحقاً مع الاتراك العـثمانيين. وكـانت أوربا خـلال الجـزء الأكبر من هذه الفترة في الموقع الدفـاعي ومـرت عليـهـا فترات كـان بقـاؤها فيها مهدداً. ولم يتغير الميزان لصالح أوروبا حتى أيام نابليون عندما أصبح الأوربيون حكام الشرق.

وتقـوم نظرية سـعـيد على أن الثقافة الاستشراقية الغربية قد ظهرت خلال هذه الحقبة من الهيـمنة الغـربيـة كنتـاج عـرض للنزاع والفـتـوحات. ولما كان توجه أوروبا الابتدائي نحو "إخضـاع، وإعادة تشكيل الشرق وبسط السلطـة عليـه" (٣) فقد توفرت لدى المثـقفين الغربيين مصلحـة متأصلـة في تصوير العرب بصورة البسطاء، العاطفيين، المتـقلبين، المتـخلفين المحتـاجين إلى الحماية والتطوير. وكـانت النظرية الأوروبية الناشئة للمنطقـة "مـهنة بشكل خـاص كـعـلامـة على النفـوذ الأوربي ـ الأطلسي المبـسـوط على المشرق أكثر من كونها حديثاً تقييمياً عن المشرق" (٦). وأصبحـت مهنة المثقف "نظاماً لـلمـعـرفـة يتـولى، بحكم كـونه ناشئاً عن القـوة، بـ "خلق" المشرق والمشرقي وعـالمه" (٤٠).

يقـول سعيد بأن الرمز الرئيس لهذا العالم الغريب كان الإسلام: تلك الكلمة التي ما زالـت حـتـى اليـوم تثير الرعب في الكثير من القلوب الغـربيـة. وقـد مـثل الإسـلام، تاريخيـاً، عدوانية المنطقة، والتهديد الذي تمثله، والخطر الكامن فيها.

> إن تحـول الإسـلام إلى رمـز للإرهاب، والدمار وحشود البرابرة المكروهين الشيطانية لم ينشأ عن عـبث. فقد كان الإسلام بالنسبة لأوربا صدمة دائمة. فقد تربص "الخطر العثماني" على حدود أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر بما يمثلـه من خطر دائم على المدنيـة المسـيـحية. وقد قامت المسيحية الأوروبية، في عين الوقت، بدمج الخطر ومـعـانيه وأحداثه العظيمة وشخصياته، وحسناته، وسيئاته كأنه شيء يدخل في نسيج الحياة. (٥٩ ـ ٦٠)

في تحليل لاحق لأجـهـزة الإعـلام الأمـريكية والتصوير "المتخصص" للإسلام، لاحظ سـعـيـد أنه "لا توجـد بأي شكل حـقـيـقي ملحـوظ أية عـلاقـة مباشرة بين "الإسلام" باسـتـخـدامـاته الغربية الشائعة وبين الحياة ذات التنوع الواسع التي تأخذ مجراها في عالم الإسلام". (سعيد ١٩٨١، x)

وإذا كـان سـعـيـد قـد لخص الصور الغربية الكلاسيكية عن المشرق العنصري، فإن دراسـة سليـد المشـار إليها آنفاً تركز بشكل أكثر تحديداً على المواقف الأمريكية المعاصرة. لقـد اعـتـمـد سليد على استطلاع وطني للرأي العام طلب فيه من المستجيبين أن يذكروا إذا مـا كـانت كلمات مـعينة تنطبق على جماعات عرقية معينة كان من بينها العرب. وقد أظهـر التـحليل أن معظم الكلمات التي ربطت بالعرب كانت معادية أو غير ودية. وقد جـاءت كلمـة "غني" في مـقـدمـة الكلمات حـيـث بلغت نسبة الذين يعتقدون بعلاقتها بالعرب ٦٩٪ وجاءت في المرتبة الثانية وبنسبة حوالى ٤٠٪ كلمات: **ميال للحرب، يسيء**

معاملة النساء، مخادع، خياني، قوي، أسمر ومعتم، بربري وقاس. وقد جاءت في المرتبة الثالثة ثلاث صور ايجابية (متدين، ذكي، وشجاع) بنسبة ١٢ ـ ٢٠٪ ولم تأت صفة (ودي) إلاّ في نهاية القائمة ولم تزد نسبة الذين اعتبروها صفة من صفات العربي التقليدية عن ٥٪. وفي أسئلة متابعة لاحقة أجاب ٤٠٪ بأنهم يشعرون بأن معظم العرب أو جميعهم معادون للمسيحية، كما ذكر ٤٠٪ أيضاً أنهم يعتبرونهم معادين للسامية، وقال ٤٤٪ أن العرب "يريدون تدمير اسرائيل وإلقاء الإسرائيليين في البحر". وأظهر التحليل اللاحق أن هناك متغيرين يتمتعان بقوة استثنائية في تفسير المشاعر المعادية للعرب هما: اعتقاد بأن العرب كانوا معادين للغرب وشعور بأن الرجال العرب يسيئون معاملة النساء العربيات (سليد ١٩٨١).

تفسيران

إن التفسيرات التي توضع لسبب تصرف العرب بالشكل الذي يزعم أنهم يتصرفون به تقع ضمن تصنيفين رئيسيين: الممارسات الاجتماعية المنحرفة، والتأثير غير الصحي للإسلام. إن الحجة القائمة على أساس العلاقات الاجتماعية توازي النجاح شبه ـ الانثروبولوجية وشبه السايكولوجية التي استخدمت ضد اليابانيين. (أنظر دوور ١٩٨٦ الفصل ٥ و ٦). أما الحجة الإسلامية فهي ليست مختلفة عن بعض أشكال معاداة السامية الدينية. يعتبر كتاب رافائيل باتاي المطول **العقل العربي** (١٩٧٢) مثالاً كلاسيكياً على الكتابة غير الودية حيث يورد باتاي أن الذكور من العرب يتعرضون للفساد في عمر مبكر بسبب الاستمرار في إرضاعهم من ثدي أمهاتهم حتى يبلغوا مرحلة الكلام. وهذا يعني أن "التشكل الفموي للرغبة الرئيسية في مرحلة الطفولة، وهي الرغبة في ثدي الأم" تستتبع "إرضاءً فورياً" وتكون النتيجة السايكولوجية

> إن تشكل الرغبة المؤكد في الفم يحمل ضمنياً، وبشكل يكاد يكون تلقائياً، ضمانة تحقيقها دونما حاجة إلى أي فعل إضافي من جانب الطفل... وقد لا يكون من الشطط البحث عن علاقة بين هذا الوضع في الطفولة وبين سمة مميزة من سمات شخصية العربي البالغ ... وهو النزعة نحو النطق ببيان شفوي مشدد عن نية ما تم الفشل في متابعة ذلك بأي فعل يمكن أن يقود إلى تحقيقها. (٣١)

يقول باتاي إن نماذج العلاقات الاجتماعية اللاحقة (مثل حث الأخوة الصغار على التنافس على مستوى الأخوة الأكبر)، يؤدي أيضاً إلى خلق منافسات على مستوى الأخوة. وهذه المنافسات تساعد في تفسير غياب الوحدة عند العرب و"ميلهم نحو التنازع" الذي يعتبر "سمة بارزة في العقل العربي" (٢٢٧). "حيث تظهر على السطح النزعة نحو القتال لدى أدنى الاستفزازات ... وتتردى بسهولة إلى عنف

جسدي" (٢٢٥).

يساهم الإسلام، في النموذج الذي يقدمه باتاي ، في المشكلة باستبعاده لـ "الإرادة الإنسانية" من المجتمع. وهذا الاستبعاد يجعل من التخطيط بعيد المدى حراماً ما دام "يوحي بأن الشخص لا يضع ثقته في الأقدار السماوية" (١٥٠) كما يشجع الإسلام على الاستعداد لتقبل "الاستبداد المشرقي" ما دام ينص على أن الخير والشر يحددان من قبل "إرادة مطلقة" عليا (١٤٨).

ظهرت في مجلة أومني Omni مقالة بعنوان "أهمية الاحتضان" يمكن أن تعتبر مثالاً معاصراً لهذا النوع من التحليل (١٩٨٩ بلوم/Bloom) إن مجلة أومني عبارة عن مجلة علمية ذات شعبية واسعة الانتشار وهي لا تعني عادة بالصدامات العرقية. وفي حالة هذه المقالة، يحاجج المؤلف بأن الكثير من علل الشرق الأوسط ما هي إلا نتائج عرضية لممارسات تربية الأطفال. إنه يتساءل: "لماذا تبدو بعض المجتمعات وهي تتخبط في العنف؟" ويجيب: إن المجتمعات التي تحتضن أطفال هي مجتمعات مسالمة نسبياً أما "الحضارات التي تعامل أطفالها ببرود ينجب بالغين قساة" (٣٠). والحضارات الإسلامية "تعامل ابناءها بفظاظة. فهم يحتقرون التعبير المكشوف عن المودة. والنتيجة: بالغون عنيفون . . . فهل يكمن الحرمان من العناق وراء القسوة العربية؟ هل أن حراس الشعلة الإسلامية يعانون من غياب الاحتضان؟ هل يمكن لهذا الحرمان أن يفسر تعطشهم للدماء؟" (٣٠) أما النتيجة التي يتوصل إليها فهي "إن الموقف البارد وحتى القاسي من الأطفال لم يتوقف في الكثير من المجتمعات العربية . . . وقد تحول العربي البالغ الذي جرد من الحميمية ودفع إلي حياة من العزلة الباردة إلى قنبلة موقوتة. إن شعباً كاملاً يمكن أن يتحول إلى برابرة لمجرد غياب عناق". (١١٦)

إن التفسيرات التي تركز على الإسلام غالباً ما تؤكد على العنف المزعوم في طبيعة هذه الديانة. يشير لافين (١٩٧٥) إلى أن العنف في القرآن "هو أكثر أشكال الصلوات إيجابية" وبناء على ذلك فإنه "يشكل خيطاً في نسيج الحياة المألوف" (١٠٦ ـ ١٠٨). وبالنسبة لغير المسلم، فإن البحث عن المنطق في استنتاج كهذا هو "توقع شيء منطقي مما هو غير منطقي في الأساس" (١٣١). وقد استنتجت دراسة شملت الكتب المدرسية من الروضة حتى الصف الثاني عشر في الولايات المتحدة (القزاز ١٩٨١) شيئاً مماثلاً: "تأكيد وحيد على الحرب كأداة لنشر الإسلام". ويلاحظ الكاتب بأن موقفاً كهذا "يميل إلي خلق صورة ذهنية مضللة يربط فيها الإسلام بشكل رئيس بالحرب المقدسة والعنف" (٣٧٦).

في عالم الأدب القصصي، تظهر صور مشابهة أيضاً. فعندما وصف ليون يوريس (١٩٨٥) الشعب الفلسطيني في روايته الرائجة **الحج** The Haj، حشد عدداً من أكثر النماذج المثالية عدوانية وازدرائية. وفي مقطع تقليدي، يصف فلسطين ما قبل ١٩٤٨ بأنها "مستنقع مزبل وموبوء" وأنها "بركة ماء راكد" تغطيها "ستارة مظلمة". وقد "انحطت إلى مستوى اليتم والنغولة . . . وتحولت إلى خيش ورماد" وقد تميز النظام

السياسي "بالقسوة الكاملة، والفساد الكامل". لم يكن لدى الحكام المحليين من "التعاطف أكثر مما لدى الشمس الحارقة"، وأظهروا "قليلاً من الرحمة بالضعفاء". وعاش الناس ضمن "نظام اجتماعي مطلق" يكون لكل رجل فيه "مكان محدد في القبيلة يحبس فيه من الميلاد حتى المات. وطريقه الوحيد للارتقاء هو التحطيم". ولم يوجد مكان للمبادىء الديمقراطية ما دام "قانون الصحراء مطلقاً". والعربي المحلي "لصاً، وقاتلاً، وغازياً" يعتبر "العمل الشاق غير أخلاقي" (١٦ـ ١٧) كما يوضح يوريس بأن "الحقد مقدس في هذا الجزء من العالم"، وأن المسلم يعتبر "كراهية اليهود أمراً مقدساً" (٥٢ ـ ٦٠).

مواضيع مشتركة ومُشتقة

خصصت لكل جماعة عرقية صور حضارية تتعلق بمواضيع تنفرد بها الجماعة. وهذه المواضيع مكرسة للجماعة ومن الصعب نقلها إلى الآخرين. فلغرض تصوير العدوانية أو الكراهية، مثلاً، يمكن للمرء أن يصور شخصاً أسود كمتوحش عنيف (في الغابة أو في الشارع)، ويهودياً يحمل سكيناً ويبدو مستعداً لمهاجمة بريء غافل، وعربياً يحمل سيفاً يقطر منه الدم. إلا أن من غير الممكن اتهام العرب بقتل الرب، كما لا يمكن تصوير اليهودي في الغابة أو السود في حالة استغلال نفوذهم من وراء الستار.

من ناحية أخرى، فهنالك مواضيع أو صوراً معينّة أكثر عنصرية إلا أنها قابلة للتحويل أو التكييف لجماعات مغايرة. وبقدر تعلق الأمر بطريقة تصور العرب فإن هنالك ستة مواضيع تصويرية، على الأقل، تبدو مشتقة أو مستقاة من مواضيع تصويرية تخص عرقيات أخرى. وهذه الصور تتشابه مع النماذج المثالية لجماعات أخرى إلى حد يكاد يقطع بكونها قد اقتبست عن مصدر آخر.

الحرمان الجنسي. أحد المواضيع العالمية للنماذج المثالية المعادية هو أن "أعداءنا" يكونون مدفوعين برغبات حيوانية مجنونة لا تحكمها الحدود الاجتماعية (كين ١٩٨٦ ٥٨ ـ ٦٠، ١٢٩ ـ ١٣٤). و "نساؤهم"، إما إباحيات بشكل خال من الحياء أو أنهن مزودات ببرقع خفيف من الحياء ما يلبثن أن يطرحنه بسهولة طرح الرداء، ولا ينظر رجالهم إلى النساء إلا باعتبارهن أدوات متعة، أو بضاعة تنتقل من شخص إلى آخر، أو غنيمة يستولي عليها الأقوى. وإذ يعيش رجالهم بهذه الطريقة مع نساء من نوعهم، يكن غالباً غير جذابات ولا حاذقات، فهم يندفعون إلى حافة الجنون عند رؤيتهم لنسائنا الجميلات. وتنبع جذور هذه الشهوة أحياناً من رغبة باثولوجية في الامتلاك والسلب، وفي أحيان أخرى من دافع بدائي للحصول على ما هو أعلى مرتبة في السلم الارتقائي، أو من مجرد الجمال الكامن في الشعر الأشقر. وتمتلك علاقتهم بـ "نسائنا" في أغلب الأحيان ظلالاً سياسية كتأكيد النفود أو تحدي السلطة.

استُخدمت هذه المواضيع ضد اليهود والسود، وهي تستخدم الآن ضد العرب. وقد صورت الدعاية النازية اليهودي الشهواني وهو يغوي الفتيات الصغيرات، أو يخدع امرأة آرية حسناء إنها عفيفة، أو يغري بغزله بريئة أو يفرض نفسه على ضحية لا تتقبله (بيتويرك ١٩٨٣). ومن قصص المغامرات التي تدور في أفريقيا، غالباً ما يحدث أن أنثى شقراء (مثل جين رفيقة طرزان) تختطف أو تؤسر من قبل السكان المحليين الأشرار الذين يظهر بوضوح هدفهم الدنيء. وتتشابه صرخاتها المثيرة للشفقة وهي تسحب إلى العتمة بشكل مذهل مع تلك التي نسمعها في قصص المغامرات التي تدور في العالم العربي. ومن المحتم أن يتميز قارئي هذه القصص غيظاً إزاء قسوة المعاملة التي تلقاها، وإزاء عدم قدرة هؤلاء المتوحشين على التحكم بشهواتهم. ويحدث أحياناً أن توجد قصة مغايرة، تقع فيها امراة بيضاء في أسر أو تحت سحر شيخ عربي جريء في الصحراء وتعامل بشكل طيب ثم تقع في غرامه. إن قصة من هذا النوع لم تحدث أبداً لامرأة بيضاء في أفريقيا. قدم توماس جيفرسون (١٧٨٧) تفسيراً لهذا السلوك في حقبة زمنية سابقة. وتقوم فرضيته على أن الذكور السود يفضلون الإناث البيض على السوداوات لأسباب تشمل "الشعر المنسدل، والجسم الأكثر تناسقاً، وحكمهم الخاص في صالح البيضاوات، الذين يعبرون عنه بتفضيلهم إياهن بشكل مطلق يشبه تفضيل الـ "أولان أوتان" للنساء السوداوات على بنات نوعه". (١٣٨) في رواية "الحج" يكتب يوريس عن جدعون، البطل اليهودي في فلسطين العشرينات، وعلاقته مع النساء الفلسطينيات الإباحيات. فجدعون، كما يصفه يوريس، عرف نساء كثيرات. . . عادة لعشر مرات في اليوم رغم أن أحداً من "الرجال العرب لم يعرف أو يشك بذلك" (٢٣). وكان الرجال العرب، بدورهم، يغيرون على المستوطنات اليهودية ويحتفظون دائماً بـ "امرأة يهودية لمتعة الرجال". (٣١)

تمثل أشكال ١ ـ ٥ المواقف من النساء العربيات. فهن يظهرن عادة بشكل كتل غير مميزة ولا وجوه لها كما في عمل ستيف كانيون الكلاسيكي المتوفر في طبعات مكررة معاصرة (الشكل ١)؛ أو في قصة حول مغامرات السندباد تجلس فيها النساء عاريات في حمام الحريم وهن يناقشن خياناتهن الماضية والمقبلة (شكل ٢)؛ ١ في قصة مغامرات

---

١ . يساء فهم مصطلح الحريم في الغرب. في خيمة البدوي توجد قطعة قماش تفصل بين طرفي الخيمة. أحد الطرفين هو الطرف العمومي حيث يستقبل الضيوف. يستخدم هذا الطرف الرجال والنساء وإن كان مخصصاً للرجال على الأغلب. الطرف الثاني للنساء والأطفال. حيث يعد الطعام وتجلس النساء لتبادل أطراف الحديث. تفصل بين الطرفين بضعة أقدام بحيث يستطيع الناس على الجانبين تبادل التعليقات أو المشاركة في الأحاديث. أما الحريم في المخيلة الغربية فهو، على النقيض من ذلك، مكان مترف تستلقي فيه الزوجات المتعددات لرجل متنفذ على الوسائد وهن ينتظرن دورهن لتلبية الواجب الزوجي. النساء دائماً شابات، دائماً جذابات ونصف عاريات عادة. ومعظم أوقاتهن تنفق في الاستحمام والتعطر انتظاراً لاستدعائهن. من أجل منظور أمين لمؤسسة "الحريم" أنظر كروتييه ١٩٩١.



شكل ١



شكل ٢

معاصرة تدور في شمال أفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية، تلتقي وحدة أمريكية بأب عربي وابنته عازر التي تبدو خجولة ظاهرياً. وفي ذلك المساء تخلع عازر ملابسها وتستعرض أمام الجنود في حين يحاول البطل الأمريكي المحرج التعامل مع الأب عديم الحياء (شكل٣). لاحقاً تقوم عازر بمعانقة ومداعبة ديدبان أمريكي لإشغاله تمهيداً لخنقه. تتفاوت مواقف الرجال العرب من النساء من القوادة فاقدة الحياء كتلك التي يظهرها والد عازر إلى حب التملك المرضي. فما تدخل امرأة شقراء إلى الشرق الأوسط حتى يقرر الحاكم العربي أن يضيفها إلى حريمه ـ دون أن يكلف نفسه عناء استطلاع رأيها في الأمر (شكل ٤)؛ عندما يدلف طرزان إلى ناد ليلي بحثاً عن غربي آخر يواجهه حشد من العرب الذين يتهمونه بـ "إهانة" راقصة نصف عارية كانوا قد استعبدوها لأغراض متعتهم. إن الشتم الذي يوجه لطرزان جزء من المواضيع التقليدية



شكل ٣

التي ترد على لسان الشخصيات الكاريكاتيريـــة التي تمثـــل العرب (شكل ٥)، عندما يتمادى العـرب في مـضـايقـــة طرزان، يخبرنا النص بأن غـضـبـه انفـجـر مثل "عاصفة صحراء" .

التشبه بالمخلوقات . في حين يُخضَع العرب أحياناً إلى التشبيــه القِرْدي العنصري، فإنهم، في الغالب، يخضعـون لتـصـويرات خبيثة قريبة الشبه بالتجربة اليهودية الأليمة. ويـصـدق هذا، بشكل خـاص، على المواقف التي تختص بالعنف أو الحرب. فقد صور الفلسطينيـون بشكل خـاص بصـورة الجـرذان التي تدخل البـيـوت أو تقع في المصيدة أو بصـورة البراغيث التي تصيب مناطق خاصة ثم يقضى عليها.

وقـد ظهرت عدة صور كاريكاتيريـــة تمثل الفلسطينيين بهذه الصورة بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ . يتـساءل رســم سكراولـــز الكلاسيكي عن الفرق بين عرفات والجرذ فيجد أن الجرذ، محبوب أكثر من عرفـــات (شكل ٦). وقد استخدم سـزيب التـشبــه القردي ليظهر الفلسطينيين بشكل قرود تهتـف لعرفات، القرد الزعيم المتبجح. (شكل ٧)

من بين صـور الجمال الأكـثـر عـدوانيـة ظهـر كاريكاتير لـ أوليفانت يصور بيتاً عربياً بخيـمـتـه وزوجاته عديمات الوجوه المتشحات بالسواد، ويبدو فية الذكر الخسيس بوجه شديد الشبه بوجه جملـه الذي يظهر معـــه (شكل ٨) . وكـان أوليفانت قد اختار، في الأسـاس، ليبـيـا كمسرح لهذه الصورة إلا أنه، على ما يبدو، أحب المشهد كثيراً بحيث نقله، دون تغيير تقـريبـاً، إلى العـربيـــة السعـوديـــة في رسم لاحق. وخلال حرب الخليج شـاع، على نحـو خاص، استخدام موضوعــة الجمل لعكس صورة عن شعــب


فتاة ذهبية لتسليني . حسن . . .
ستصبح واحدة من
زوجاتي . ها . ها
النجدة !
هوك !
هوك !

شكل ٤


أنا لم أقصد إهانة أحد .
أنا لا أرغب بالعراك !
جدتك كانت ضبعة
وأنت جروها
لن يرضيني سوى هذا السيف
سأسفك دمك الجبان !
هل تجرؤ على أن
ترمي الفلوس
عند قدمي نسائنا
هل تعتقد أنك
يمكنك أن تهين
نساءنا وتمضي
بسلام ؟
كلب ابن كلب
عفواً . . .
لكنك تقف
في طريقي

شكل ٥

سؤال : ما هو الفرق بين جرذ وعرفات . . .؟



شكل ٦ جواب : للجرذ أصدقاء أكثر

معتاد على نموذج الحرب الصحراوية (شكل ٩). وفي قميص رياضة/ تي شيرت، وزع بشكل واسع، يبدو جندي عراقي على ظهر جمل والاثنان يظهران من منظور بندقية مع شعار "أقطع عشرة آلاف ميل لأدخن سيجارة علامة الجمل".

إلى أن هذه الإشارة إلى شعار كلاسيكي للتدخين لم تكن مفيدة للشركة. ففي مرحلة سابقة، كانت السجائر ترتبط بالعالم العربي وكانت صورة العربي تدعم مبيعات السيجارة. إلا أن الزمن قد تغير، وقد وجدت سجائر الجمل Camel نفسها في سنوات الثمانينات مثقلة بشعار سلبي يحمل علامة الجمل. وكان رد فعلها أن حاولت احتواء الضرر بحملة إعلان نشيطة تجعل اسم الجمل Camel جزءاً من اسم شخصي جو كَمِل/ Joe Camel. وقد استطاع "نموذجهم الناعم" أن يجتذب نساء جميلات، ويقود السيارات المسرعة، ويرتدي ملابس سهرة، ويصبح بطلاً حربياً. وقد تحوّل بسرعة إلى شخصية ذات شعبية وتظهر الاستطلاعات أن التعرف عليه قد وصل إلى درجات عالية جداً. وربما يكون هنالك شيء من الصدق في النصيحة القديمة التي تقول: عندما يعطيك العالم ليموناً، اصنع ليمونادة.

السمات الجسدية والسيكولوجية. في هذا المجال يبدو التوازي بين صورة العرب واليهود مذهلاً. فالسمات الجسدية لليهودي الشرير معروفة جيداً: شفاه غليظة، ذقن صغيرة، أنف معقوف، عيون زائغة، شعر أشعث، لحية هزيلة، فم متعطش خبيث، أسنان معوجة. وللرجل الأسود أيضاً صفاتة الجسدية المكروهة: شفاة غليظة، جبين سميك، أسنان قبيحة، تعبير غبي، أكتاف منحدرة، ركب مثنية، ذراعان طويلتان (هاردي وستيرن ١٩٨٦).

يشترك العربي في النموذج مع اليهود في الشفاه الغليظة، والعيون الشريرة، والشعر الأشعث، واللحية الهزيلة، والذقن الصغيرة، والأنف المعقوف، والظرة الخبيثة،

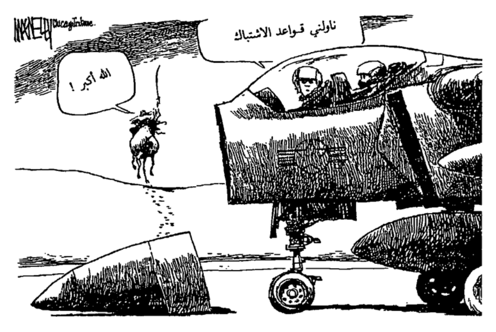


شكل ٧



ربما يمكننا اهتمامكم بالتفوق العالمي عن طريق الاستشارات الصيدلانية . ها ؟

شكل ٨



شكل ٩

كما يشترك مع السود في الشفاه الغليظة، والجبين السميك، والتعبير الغبي، والأكتاف المنحدرة. وهذا التداخل المزدوج يوحي بأن تحويل الصورة يحدث على مستويات مركبة. فقد يكون اليهود في حقب سابقة قد حملوا صور الأفارقة المحتقرين ثم حولت هذه الصور إلى العرب في الوقت الحاضر. إن صور اليهود في فترة "رامبرانت" تختلف، بالتأكيد، عن صور اليهود اليوم. وكذلك الأمر بالنسبة للعرب الذين كانت صورهم في وقت سابق من هذا القرن أفضل بكثير مما هي عليه الآن، ففي ذلك الوقت، كانت المواضيع خالية من العدوانية وكانت تؤكد على الغرابة بما في ذلك صورة الشيخ الرومانسي وابن البلد الودود. وقد حدث التحول الملحوظ بعد حرب ١٩٦٧ عندما أحيا التوتر السياسي صوراً معادية معينة وأسقطها على هدف جديد.

إن إضفاء الصور اليهودية على العرب يحمل مفارقة لكنه لا يبدو غير منطقي. فكلمة "السامي" لم تتحول من تعبير لغوي يشمل العرب واليهود معاً إلى تعبير متخصص يطلق على اليهود وحدهم إلا في نهاية الثمانينات من القرن الماضي. (كريمر ١٩٧٦). قبل ذلك، كان كل من عطيل العربي وشايلوك اليهودي لدى شكسبير ـ رغم الاختلاف الكبير في شخصيتيهما ـ مجتلبين من الشرق الأوسط تركت قيمهما الأجنبية وراءها التوتر والاضطراب. ومن هنا، لا يستغرب أن يتتبع رسامو الكاريكاتير العلاقة عن طريق استخدام تصويرات متوازية.

في عام ١٩٨٩، نشرت مجلة شهرية تختص بشؤون الشرق الأوسط كاريكاتيراً عن "العقل العربي". ويبدو التشابة مذهلاً بينه وبين كاريكاتير آخر سبقه بتسعين عاماً وحمل اسم "العقل اليهودي". (شكل١٠ و ١١) حيث تظهر شخصية كاريكاتيرية نموذجية للعربي ـ أنف بارز، شفاه غليظة، حواجب كثة، وعيون زائغة ـ وهو يقرأ في "العقل العربي". وفي داخل العقل توجد أنماط مبسطة من التفكير: التعصب، الثأر، الازدواجية، العداوات بين الإخوان. إن التشابه مع صورة "العقل اليهودي"

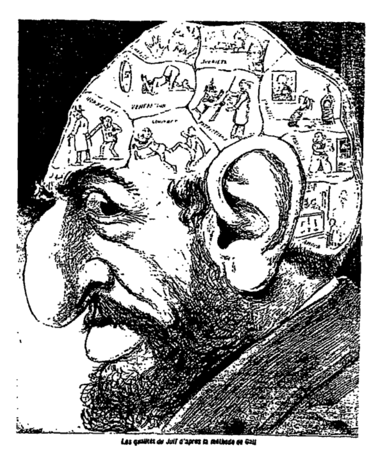


شكل ١٠

التي رسمت قبل مائة عام مذهل. في العقل اليهودي، نجد عبارة المال، والميل إلى السرقة، وعدم الاستعداد لخدمة الوطن. وتشمل الملامح الجسدية المشتركة بين العربي واليهودي الأنف المعقوف والوجه المشعر ـ وكلا العقلين يتركز حول توجهات اجتماعية معادية للعالم وتقسيمات ذهنية حادة ذات عمليات فكرية غريبة على البشر الاعتياديين. يظهر بوضوح الموضوع الطاغي على صنع هذه النماذج ـ وهو أن الجماعة تشترك في قالب ذهني مشترك لا يسمح إلا بالقليل من الاختلافات الفردية. وحقيقة كون "العقل العربي" قد نشر من قبل جماعة يهودية لا يعني إلا أن النماذج المثالية على مدى الجماعة ولا تستثني أية جماعة فرعية من التأثر بهذا النوع من التفكير.

زعماء متوحشون. من المشاهد المألوفة في الرسوم الهزلية أو رسوم الكارتون العنصرية، مشهد الزعيم أو الطبيب ـ الساحر ـ المدفوع بمشاعر التظاهر والخوف من الأجانب ـ وهو يذم البيض ويدعو أبناء البلد إلى تحطيمهم أو طردهم. ويصور الزعيم أو الطبيب ـ الساحر عادة بذراع تهدد مرفوعة في الهواء ووجه يعصر قسماته الحقد. أما أبناء البلد، الذين تنبثق خطورتهم من تقبلهم المبسط لكل ما يقال لهم، فإنهم يستجيبون باندفاعة هستيرية، وغالباً ما يتقافزون في الهواء أو يرددون شعارات مثل "أقتل، اقتل" (هاردي وستيرن) (١٩٨٦).

وغالباً ما يعتمد تصوير الزعماء العرب على صور مشابهة. والموضوع الشائع في قصص المغامرات يظهر الزعيم العشائري أو الدكتاتور المصاب بجنون العظمة وهو يدعو شعبه إلى مهاجمة الأجانب أو طردهم (وغالباً ما تستخدم كلمات دينية أو مرتبطة بالصليبية مثل "الجهاد" أو "الكفرة"). أما دافع الحاكم فهو، في الغالب، شخصي وقد يكون إهانة متخيلة أو رغبة في الاحتفاظ بنفوذه غير متحدد بالأفكار المتمدنة التي قد يجلبها الغرباء. تشمل أسلحة الزعيم الواضحة وغير المعلنة بساطة شعبه، والخوف الكامن من الغرباء، والمفاهيم الخاطئة التي يحملونها عن الأجانب،



Les qualités du Juif d'après la méthode de Gall

شكل ١١

ومـعاداتهم للقواعد السلوكيـة المنظمة. أما استجابتهم، فهي متحمسة، وعاطفية، وغير عـقـلانيـة، وخطرة. وفي سيرة ذاتية ظهرت في كتاب على نمط القصص المرسومة وزعته الـكنيـسـة الكاثوليكيـة، يتـعـرض القـديس فـرانسس للتـهـديد عندمـا يحاول التـوسط للصليـبيين وتوشك وساطته أن تعرضة للقتل (شكل ١٢).

في قصة صدرت عام ١٩٨٨، يتـوجب على جماعـة أمريكيـة معادية للإرهاب (يطلق عليها الاسم الرمزي GI JOE) أن تذهـب إلى أمارة عربيـــة حيث يحكم حاكم اسمـه شريـف "عـرف عنه أنه يقطع رؤوس مخالفي أنظمـة المرور" ويطلق على العـصـبـة التي تشكل أتباع شريف (لا يناسبهم وقار كلمـــة جيش) اسم حراس الجنـــة (شكل١٣). وتعـتبر الجنـة بحد ذاتها كلمة تهكمية حين تستعمل لوصف كومة الرمل غير المفيدة التي يسـيطر عليـها شريف، يهتف الحراس بجنون عندما يحثهم على المعركة، مع التأكيد على كـون الكفـار "ضـعفاء وجبناء" وأنهم "قد وعدوا بمنزلة خاصة في الجنة لكل من يسقط من أجل القـضـية". وفي المواجهة النهائية، يموت العشرات من الحراس، في حين يقف بإزائهم شـخصان أمريكيان شجاعان أحدهما ذكر والأخرى أنثى.

يستـخـدم مـوضوع العربي المتبجح في وصف بدوي الصحراء، وهو أشد شخصيات الكاريكاتير خطورة في الشرق الأوسـط. يشتـهر هذا النموذج للعربي بالقسوة، وفقدان



شكل ١٢



شكل ١٣

الرحمة، والخداع، والميل إلى اعتبار الحياة مجرد بضاعة رخيصة. وحسب وجهة نظر الرسام، فإن أفضل الطرق للتعامل مع أناس من هذا النوع هي الادراك بأنهم رغم ما يبدون علية من الشدة والعدوانية، فإنهم في الحقيقة ضعفاء وجبناء. وسرعان ما يفقد الخداع والتبجح أثره إذا ما واجههم المرء بشجاعة. في إعادة لسرد قصة لورنس العرب "يختبر" لورنس بسيل من الشتائم. يحافظ لورنس هدوئه على ويقوم بالرد على مهاجمه. ويثير هذا الموقف دهشة الشخص الثاني الموكل بالتعذيب ويكسب لورنس إعجاب الأمير الذي كان يراقب المشهد سراً. كما يكسبْ لورنس تأييد الأمير السياسي. (شكل ١٤).

تقع قصة معاصرة أكثر عندما يزور الرجل الوطواط بيروت للعثور على أم روبي التي طال فقدها. وعندما يواجه بجيش من الإرهابيين يكون تعليقه: "سيكون هذا أسهل مما حسبت". وهذه العبارة تذكر، بشكل مؤلم، بموقف مشابه أثناء مهمة "المارينز" في هذه الأرض المضطربة عام ١٩٨٣ (شكل١٥). فقد حاول الرئيس ريغان أن يخفف من وقع إعلانه عن موت ٢٤١ من المارينز في ثكناتهم بقوله: "إن الوضع



شكل ١٤ ......

في بيروت كان أصعـــب وأعقـد مما حسبناه في البدء" (ريغان ١٩٩٠ ـ ٤٦١). ومضى ريغـان مـوضحـــاً بأن "الحرمان" العربي ، و"المنافسات العشائريـــة القديمــة" و "الكراهيـة المرضيــة" ولدت "لاعـقـلانيــة" لما تحـدت الالتـزامات "الأخلاقية" التي استندت إليـهـا السيـاسـة الأمـريكية. "كيف تتعامل مع أناس يدفعهم هذا النوع من الحماس الديني الذي يجعلهم مستعدين للتضحية بحياتهم من أجل عدو لمجرد كونــه لا يعبد نفس الرب الذي يعبدون؟" (٦٢ ـ ٤٦٣). عندمـا يصـل "الرجـــل الـوطواط" (بـروس ويـن) إلى بـيروت، في مـرحلـــة لاحقـــة من قـصـــة "الرجل الوطواط"، ويسـتـقل سـيـارة أجـرة، ويـتـمكن من التـحـدث بطلاقة مع السائق لأنـــه (كما يحاط القـارىء علماً) يجيـد الفـارسية. إلا أن القارىء لا يحاط علماً بأن الفارسية لغة غير عربية تسـتـخـدم في إيران وليس في لبنان. وعندما يقوم آية الله الخميني باستئجار عدو الرجل الوطواط واسـمـة الـ جـوكـر / المهـرج وهو قـاتل جماعي، ليكون سفيراً لإيران في الأمم المتـحـدة، يظهـر السـفير الجـديد في الجـمعية العامة وهو يرتدي كوفية سعودية بدلاً من العمامة الإيرانية.

إن خلط الهويات وتداخل المواضـيع يظهر أيضاً في التشابه بين المفهوم المعادي للعرب والمسـمى "قـانون الصحراء" وذلك المعادي للأفارقة والمسمى "قانون الغاب".

وبطرق مـتـشـابهة، وإن كـانت عـجـيـبة، يظهر السود والعرب وهم يمارسون نماذج حـيـاتيـة لا يستطيع الغربيون المتمدنون فهمهـــا. فقواعـد النظام الاجتماعي لديهـم تجرد الناس من إنسـانيـتـهم، وتعلي أكـثـر العناصر خبثاً في المجتمع، وتشيع الطاعة الصارمة العـمياء. وبالنتيجـــة، تكون طريقتهم في فعل الأشياء غير منتجة ومضادة لمصالحهم، لكنهم لا يستطيعون إدراك ذلك.

حـرب ظلام ضـد النور . التـصـق مـوضـوع الحـرب بالعـرب منذ أيام الحـروب الصليـبية. إلا أن التعبيرات المعاصرة عن هذه العلاقـة تحمل تحولاً نحو الشيطانيـة أشد



شكل ١٥

عنفاً من أن يبرر بنزاع انتهي قبـل ٨٠٠ عام. حيث تعزى الرغبـة العربيـة باخضاع الآخـرين إلى رغبـة مـرضـية بتدمير المدينة وإيقاع الأذى بالإنسانية. إذ يزعم أن العرب يؤمنون بأن خلق الإضطراب والفـوضى الاجتماعية يعزز مصالحهم الأنانية الضيقة. فهم ليسوا أعداء بالمعنى الزمني فحسب بل أنهم أعداء بالمعنى الميتافيزيقي أيضاً.

ليس بوسع المرء أن يلاحظ التشابه المذهل بين هذا الموضوع والطريقة التي صورت بها اليهود في الـ "بروتوكولات" وفي الدعايـة النازيـة. فاليهود، شأنهم في ذلك شأن العرب، اتهموا بالانخراط في الحرب والإرهاب من أجل تقويض النظام الاجتماعي. وهم يمارسون القتل لأنهم يستمتعون به، تماماً كما زعم أن يهود العصور الوسطى نحروا الأطفال المسيحيين كجزء من ديانتهم. وكما حصل لليهود من قبلهم، فقد اتهم العرب بأنه شعب معكوس.

خداع. كان أحد أشنع الاتهامات المعادية للسامية ـ ومن ثم النازية ـ لليهود هو اتهامهم بممارسة الخداع والغدر فيما يتعلق بالحرب والسلام. حيث يزعم أنهم يتسربلون بعباءة السلام في الوقت الذي يعملون فيه سرياً (Cohn 1966, Gitelman 1988) من أجل الحرب. كانوا شعباً لا إلـه لـه إلا الحرب وكانوا يجنون المكاسب من تدمير



١٦





١٧

الشعوب .

ويعتبر الخداع واحداً من السمات الرئيسية التي تلصق بالعرب في الكارتون. فهم يتظاهرون بالرغبة في السلام، إلا أنهم يعملون من أجل الحرب ويقدم الزعماء العرب في صور تظهرهم وهم يطلقون النار علي حمامة السلام وينكمشون رعباً من زهرة صحراوية صغيرة تدعى "سلام". وفي رسم كلاسيكي لـ هيزبلوك " يحمل عنوان (عملية السلام)، لم يصور هنا، يظهر عرفات والأسد والملك حسين بصورة أطباء وهم

يقطعون جسد امرأة ضحية تضع سعفة نخيل حول رأسها المقطوع وهم يذرفون دموع التماسيح ويعلنون أن الضحية قد ماتت "لسوء الحظ".

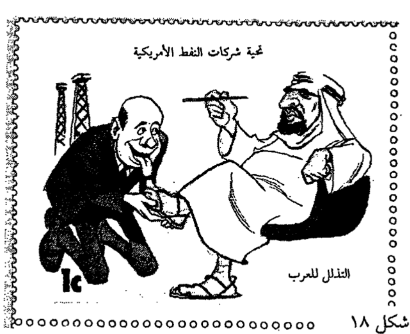
في الجانب الآخر، فإن الأشخاص الذين يخرجون عن الصف ويسعون إلى السلام يستشهدون بسرعة. في "لذعة الموت" يتم اغتيال مندوب عربي يحضر محادثات السلام التي تجريها الأمم المتحدة (شكل ١٦). وفي قصة تدور في إسرائيل، يكتشف الجيش أن أحد الإرهابيين العنيفين هو، في الحقيقة، الرخمي، التاجر المهذب في الضفة الغربية الذي كان يتظاهر بالمساعدة في حفظ السلام (شكل ١٧).

قوة سرية. هل يمكن أن يكون الأشخاص الذين في السلطة مسيرين من قبل عناصر غير مرئية؟ هل يمكن أن تمتلك جماعات صغيرة ومتنفذة أشخاصاً يعملون كالدمى من أجل تنفيذ أوامرها؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي طبيعة أولئك المتنفذين السريين؟

في الـ "بروتوكولات" يصور اليهود بأنهم حكام العالم السريون، فهم شعب يمتلك خطة وتنظيماً يبلغ عمرهما قروناً من الزمان تهدف إلى السيطرة على أولئك الذين يتولون الحكم واستغلالهم. ويأتي جزء من نفوذهم من الثروة التي يمتلكونها، إلا أن الجزء الأكبر يعود لدهائهم وقابليتهم على دعم سياسات تبدو ظاهرياً في صالح المجتمع إلا أنها، في الواقع، تضعف تلك المجتمعات وتسمح لليهود بملء الفراغ. تحمل سلسلة المقالات المشهورة التي نشرت في صحيفة هنري فورد ذي ديربورن اندبندنت تحت عنوان "اليهودي الدولي" (حوالي ١٩٢٠) إضافة خاصة بالولايات المتحدة. إذ يضم المجلد الأول مقالات عن "البرنامج اليهودي العالمي" و "الإمبريالية اليهودية" و "الخطة اليهودية لشق المجتمع" و "اليهود والثورة الروسية" و "اليهود والمزارع الأمريكية" و "النفوذ اليهودي والصحافة العالمية" و "النفوذ السياسي اليهودي" و "العلامة اليهودية وروسيا الحمراء".

تختلف صورة العرب، ككتلة نفوذ سري، إذ يربط نفوذهم بالنفط وبسذاجة زعماء العرب وضعف أخلاقيتهم. إنهم يشترون الدعم والأصدقاء بثرواتهم العظيمة. وتمكنهم ملكياتهم واستثماراتهم في الولايات المتحدة من استغلال الكيانات السياسية القائمة. وتتخذ صورة العرب كمستغلي نفوذ شكل حقائب مليئة بالنقود، وشيكات بمبالغ كبيرة وعروض لشراء صناعات بكاملها، ودفوعات نقدية مباشرة، واجتماعات سرية لمجالس إدارة تتخذ قرارات سرية. والكثيرون من هذه الصور يذكر، بالتأكيد، بحكماء اليهود.

إحدى الصور التي تسخر من هذا النموذج نشرت في مجلة "ماد" في منتصف السبعينات، وهي اقتراح بإصدار طابع تذكاري بعنوان "التذلل للعرب" يهدف إلى إظهار الأمور "على حقيقتها" (شكل ١٨). وقد أظهر عدد من صور الكاريكاتير التي نشرت في منتصف الثمانينات "جيسي جاكسون" بصورة العميل المدفوع له من قبل الأموال العربية. وإحدى روائع سزيب المعنونة "جيسي العرب" تظهر جاكسون بالكوفية العربية. وفي صورة أخرى يظهر جاكسون وهو يغادر سفارة عربية ومعه



شكل ١٨

حقائب مملوءة بالنقود ويظهر مع الصورة الهتاف الذي كان مؤيدو جاكسون يرددونه عام ١٩٨٤ "أركض ، جيسي أركض" بصفتة عنواناً للصورة.

كراهية إسرائيل : يبدو ظاهرياً أن هذا الموضوع مختص بعالم ما بعد ١٩٤٨. إلا أن مكوناته الأساسية والصورة المستخدمة لتوضيحه تشبه إلى حد كبير صور اليهود بصفتهم أعداء الرب. وكما كان اليهود يتهمون بقتل الرب، فإن العرب يتهمون أحياناً بالمذابح الجماعية المتعمدة. ويجب أن نتذكر أن كراهية اسرائيل ـ وهم الشعب الذي يعتبر شعب الله المختار ـ لا تقل، في نظر كثير من المسيحيين عن كراهية الرب.[٢] ومن هنا لا نريد أن نستنبط تشابهات زائفة قد تكون ضعيفة أو مشكوكاً فيها، كما لا نريد أن ندخل في الحروب الكلامية المؤذية التي تناقش النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، إلا أن صورة العرب بصفتهم مدمري شعب الله وردت مؤكدة بقوة، يتوجب معها الأخذ بعين الاعتبار إمكانية كونها صورة محولة.

التشابة يرد أيضاً في موضوع الإرهاب. فكلمة الارهاب كلمة مخيفة، وتكون عادة غير محددة بشكل جيد، وهي تستدعي صوراً لأرواح شيطانية مصممة على إنزال الألم بالابرياء لغير ما سبب سوى الرغبة في رؤية الناس يتألمون. ويزعم أن الارهابيين يستمتعون بالعنف ويحصلون على متعة خاصة من رؤية الأبرياء يتعذبون. وغالباً ما يصورون وهم يحدقون مستمتعين بأفعالهم الشريرة. وهذا الموضوع هو واحد من أوسع المواضيع استخداماً ضد العرب (شكل ١٩). أما حقيقة أن العرب غالباً ما يكونون ضحية الوحشية، لا مسببيها، فهي أمر يتم تجاهله على نطاق واسع.

بعد مؤتمر الجزائر عام ١٩٨٨، عندما أدانت منظمة التحرير الفلسطينية الإرهاب واعترفت باسرائيل، وقبلت حق إسرائيل في البقاء كدولة يهودية، ودعت إلى تسوية متفاوض عليها بين اليهود والفلسطينيين، خلصت المخابرات الاسرائيلية إلى أن منظمة

٢ . قدم سيمون ١٩٨٤ وستوكتون ١٩٨٧ زوايا دقيقة عن الإيمان بأن خلق دولة يهودية في فلسطين في ١٩٤٨ كان تحقيقاً لإرادة الله.



شكل ١٩

التحـرير الفلسطينية قد مُرت بتحول حقيقي وأنها معنية حقاً بتسوية سلمية مع اسرائيل (نيويورك تايمـز، نيسان، ١٩٨٩ ٦). إلا أن رسـامي الكاريكاتير نظروا إلى الأمـر بشكل مختلف. فـقـد صـور معظمهم المسعى الفلسطيني كخدعـة أو تحول تكتيكي أو "بيـان لمسايرة الموضـة". وقـد صـور ياسر عـرفـات غـالبـاً وهو يضع نظارات أنيقة أو كوفيـــة "سلام" من آخر طراز (شكل٢٠)، وعدم تعرض عرفات للاغتيـال عزز الاعـتـقـاد بأنه كـان يقـدم عـرضـاً للاستهلاك الغربي. وبالنسبة لكثير من المراقبين كان الافتراض بأن العـرب كـذابون مترسـخـاً إلى الحـد الذي جـعلهم غير قـادرين على رؤية الأحـداث التـاريخية بصيغ تختلف عن القـوالب السلفـيـة المحفورة في أذهانهم. وكانت الابتـسـامـة المخادعة على وجه عرفات ـ التي تشبه ابتسامات تظهر في صور كاريكاتيرية أخـرى في الوقت نفـســه ـ تحمل المرء على التساؤل: "هل تشتري سيارة مستعملـة من هذا الرجل، ناهيك عن مـعـاهدة سـلام"، ولم تكتـسب البـيانات الفلسطينية مصداقية لدى رسـامي الكاريكاتير إلا حين صـافح الزعيم الإسرائيلي رابين عرفات عام ١٩٩٣.

تكلفة الصور المعادية

قـد يتـسـاءل المتشككون عن الأثر الذي يتركه وجود النماذج المثالية. هل من الطبيعي أن نصـدر تعـمـيمات عن الآخـرين أو أن نتـمـسك بآراء غير ودية إزاء الشعوب الأجنبية أو الغـربيـة، خـصـوصـاً تلك الشـعـوب التي تنتمي إلى مناطق ترتبط معها أمتنا بعلاقات متوترة؟



شكل ٢٠
زِي تصريحات عرفات الجديدة

إن علينا أن نجيب بـ "نعم" على هذه الأسئلة. إلا أن علينا، أيضاً، أن نشير إلى أن ما هو طبيعي ليس بالضرورة أمراً مرغوباً فيه. وهنالك أربعة أسباب تجعل المرء يرغب في مقاومة صنع النماذج المثالية الجارحة أو التقليل منها.

أولاً، أن الكلفة التي يتحملها الضحايا باهظة وخصوصاً في حالة كونهم من السكان المحليين. فهناك حوالي مليوني أمريكي عربي (ناف ١٩٨٣، ٩) وأكثر من ثلاثة ملايين مسلم من خلفيات عرقية مختلفة (حداد ١٩٨٦، ١) يخضعون لتصوير معاد وازدرائي. إن الأذى الذي يلحق بأبنائهم وحده يكفي لتبرير قيام رسامي الكاريكاتير بإعادة النظر في أساليبهم.

ثانياً، إن النماذج المثالية الراسخة (حتى تلك المتعلقة بالشياطين) تلعب دوراً حاسماً في النتائج التاريخية مضفية المنطق والمبرر على سياسات ما كانت لتكون مقبولة دون ذلك. ففي حالة الأفارقة، سهلت تقبل العبودية، وهي مؤسسة ما كان يمكن التساهل معها لو أنها طبقت على البيض. وفي حالة اليهود، كانت النتيجة عقوداً من الاضطهاد انتهت بمقتل الملايين من الأفراد الأبرياء. وقادت، في حالة اليابان، إلى نزاع اتسم بالعنف البالغ الذي جعل دوور (١٩٨٦) يدعوه "حرباً بلا رحمة".

من المهم أن نتذكر أنه بالرغم من أن السياسات الحكومية ليس ثمرات بسيطة للرأي العام، فإن الحكومات تعمل ضمن مقاييس تتحدد بما يتقبلة الجمهور. فإذا كان الجمهور مستعداً لأن يجرد جماعة من الناس من انسانيتها ـ سواء كانت جماعة محلية أو أجنبية ـ فإن تراخياً استثنائياً فيما يتعلق بحقوق الإنسان يصبح مسموحاً به. وتصبح العبودية، والحروب الوحشية، والقتل الجماعي، والاغتيال، وعدم الاكترات بالعذاب أموراً مقبولة بشكل أكبر.

النتيجة الثالثة هي صناعة سياسة غير دقيقة. فاليابانيون والأمريكيون في الحرب العالمية الثانية كانوا، كما يعتقد دوور، أخطأوا فهم وتقدير بعضهم بعضاً. فقد كانت اليابان مقتنعة بأن الولايات المتحدة، كانت عبارة عن حضارة ضعيفة، متلاشية،

ومنحلة غير قادرة على المقاومة المستديمة. أما الأمريكيون فقد اعتقدوا من جانبهم، بأن اليابان كانت بلداً متخلفاً، محكومة بعدم الكفاءة التكنولوجية وسوء الأداء التنظيمي. أما عملية اتخاذ القرار الأمريكي، فكما يقول دوور، فإن "الأساطير العنصرية المعادية لليابانيين قد طغت على عملية جمع المعلومات العقلانية واتخذت الآراء الخاطئة والمجحفة شكل الحقيقة" . (١٠١ ، ١٠٢) توجه اليابانيون إلى بيرل هاربر معتقدين أن الولايات المتحدة ستستسلم، وكانت الولايات المتحدة متاكدة من أن ألمانيا كانت وراء الهجوم ما دامت اليابان غير قادرة على مثل هذه المناورة المتقنة. وأخطأ الاثنان، وتحمل الاثنان نتائج وخيمة تبعاً لذلك. أخيراً، تقود النماذج المثالية إلى ما يدعوه اللاهوتي ألان بوساك بـ "البراءة" الكاذبة. فحين نصور الآخرين بطريقة معادية أو نصور أنفسنا كضحايا بريئة لخصم مانوي، ندخل في عملية إنكار ذات وتحرر متبادل من الإنسانية. وبمواجهة قضايا "أفظع مما نستطيع أن نتأملة" نتنصل من مسؤوليتنا عن أفعالنا" . وهذه البراءة الزائفة لا تستطيع أن تتلاءم مع التدميرية التي في داخل المرء أو في الآخرين وبذلك تتحول إلى التدمير الذاتي" . (٤)

وإذا صغنا الأمر بطريقة أخرى، فإن النماذج المثالية تتطلب تقديماً مشوهاً للعدو، كما تتطلب تقديماً مشوهاً لأنفسنا (كين ١٩٨٦ ، ٢٣). فإذا كان أعداؤنا عدوانيين، توسعيين، وحشيين، وغير عقلانيين فإن ذلك سيتتبع أن نكون عقلانيين، مسالمين، رفيقين، وقانعين. إذا كان عدونا يسيء معاملة النساء، توجب أن نكون نحن ممن يحترموهن. وإذا كان عدونا عنصرياً أو متعصباً، فإن ذلك يستتبع أن نكون نحن منفتحين ومؤمنين بالمساواة. وإذا كان لعدونا حكام قساة لا يقيمون وزناً لحياة الإنسان، فإن حكامنا يجب أن يكونوا أرواحاً طاهرة تضع حياة الإنسان فوق كل اعتبار. وكما يقول دوور (١٩٨٦) فإن أولئك الذين يعيشون في عالم النماذج المثالية "يكشفون عن جوانب من أنفسهم أكثر مما يكشفونه من العدو الذي يصورونه" . (٢٧)

BIBLIOGRAPHY

Allport, Gordon. *The Nature of Prejudice.* Garden City, N.Y.: Doubleday Anchor, 1958.

Al-Qazzaz, Ayad. "Image Formation and Textbooks." In Ghareeb, *Split Vision,* 369–380, 1983.

American-Arab Anti-Discrimination Committee (ADC). *The Uprising in Cartoons.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, Issue Paper 21, 1988.

Appel, John, and Selma Appel. "The Arab Image in American Film and Television." Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, n.d.

———. *Jews in American Graphic Satire and Humor.* Cincinnati: American Jewish Archives, 1984.

Balch Institute. *Ethnic Images in Advertising.* Philadelphia: Balch Institute, 1984.

Bloom, Howard. "The Importance of Hugging." *Omni* (February, 1989): 30–31.

Boesak, Allan Aubrey. *Farewell to Innocence: A Socio-Ethical Study on Black Theology and Power.* Maryknoll, N.Y.: Orbis Books, 1979.

Bytwerk, Randall. *Julius Streicher: The Man Who Persuaded a Nation to Hate Jews.* New York: Stein and Day, 1983.

Caniff, Milt. *Steve Canyon Magazine.* Princeton, Wis.: Kitchen Sink Press, 1948. Reprint.

Christian Nationalist Crusade. *Protocols of the Learned Elders of Zion.* 1903. Reprint. Eureka Springs, Ark.: Christian Nationalist Crusade, n.d.

Cohn, Norman. *Warrant for Genocide: The Myth of the Jewish World-Conspiracy and the Protocols of the Elders of Zion.* New York: Harper and Row, 1966.

Croutier, Alev. *Harem: The World Behind the Veil.* New York: Abbeville Press, 1991.

Damon, George H., Jr., with Laurence D. Michalak. "A Survey of Political Cartoons Dealing with the Middle East." In *Split Vision,* ed. Edmund Ghareeb, 143–56, 1983.

Dower, John. *War Without Mercy: Race and Power in the Pacific War.* New York: Pantheon Books, 1986.

Feiffer, Jules. *The Great Comic Book Heroes.* New York: Bonanza Books, 1965.

Ghareeb, Edmund. *Split Vision: The Portrayal of Arabs in the American Media.* Washington, D.C.: Arab-American Affairs Council, 1983.

Gitelman, Zvi. *A Century of Ambivalence: The Jews in Russia and the Soviet Union, 1881 to the Present.* New York: Schocken, 1988.

Haddad, Yvonne Y. "A Century of Islam in America." Washington, D.C.: The Middle East Institute, 1986.

..ardy, Charles, and Gail Stern. *Ethnic Images in the Comics*. Philadelphia: Balch Institute, 1986.

Hess, Stephen, and Milton Kaplan. *The Ungentlemanly Art: A History of American Political Cartoons*. New York: Macmillan, 1975.

The International Jew: The World's Foremost Problem. Dearborn, Michigan: The Dearborn Independent, 1922. Reprint.

Jarrar, Samir Ahmad. "The Treatment of Arabs in U.S. Social Studies Textbooks. In *Split Vision*, ed. Edmund Ghareeb, 381-90, 1983.

Jefferson, Thomas. *Notes on the State of Virginia*. 1787. Reprint ed. William Peden. New York: W. W. Norton & Company, 1954.

Jordan, Winthrop. *White Over Black: American Attitudes Toward the Negro, 1515-1812*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1968.

Keen, Sam. *Faces of the Enemy: Reflections on the Hostile Imagination*. San Francisco: Harper and Row, 1986.

Kraemer, Joel L. *Historic Confrontations Between Jew and Arab*. Hadassah Education Department, 1967.

Laffin, John. *The Arab Mind Considered: A Need For Understanding*. New York: Taplinger Publishing Company, 1975.

Lendenmann, G. Neal. "Arab Stereotyping in Contemporary American Political Cartoons. In *Split Vision*, ed. Edmund Ghareeb, 345-54, 1983.

Lippmann, Walter. *Public Opinion*. 1922. Reprint. New York: Free Press, 1965.

Lipset, Seymour Martin, and William Schneider. "Carter vs. Israel: What the Polls Reveal." *Commentary* (1977): 21-29.

Michalak, Laurence. *Cruel and Unusual: Negative Images of Arabs in American Popular Culture*. Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, Issue Paper 15, n.d.

Naff, Alixa. "Arabs in America: A Historical Overview." In *Arabs in the New World: Studies on Arab-American Communities*, ed. Nabeel Abraham and Samir Abraham. Detroit: Wayne State University Center for Urban Studies, 9-29, 1983.

Patai, Raphael. *The Arab Mind*. New York: Charles Scribner's Sons, 1972.

Philippe, Robert. *Political Graphics: Art As a Weapon*. Oxford: Phaedon Press, 1980.

Press, Charles. *The Political Cartoon*. Madison: Farleigh-Dickenson University Press, 1981.

Reagan, Ronald. *Ronald Reagan: An American Life*. New York: Simon and Schuster, 1990.

Said, Edward W. *Orientalism*. New York: Vintage Books, 1979.

———. *Covering Islam*. New York: Pantheon, 1981.

Shaheen, Jack. *The TV Arab*. Bowling Green, Ohio: Bowling Green State University Popular Press, 1984.

———. "Palestinians on the Silver Screen in the 1980's." *American-Arab Affairs* 28 (1989): 68-80.

———. "The Comic Book Arab." *Link* (Nov.-Dec., 1991): 1-11.

———. *The Influence of the Arab Stereotype of American Children.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, n.d.
Simon, Merrill. *Jerry Falwell and the Jews.* Middle Village, N.Y.: Jonathan David Publishers, 1984.
Slade, Shelly. "The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll." *Middle East Journal* 35 (1981): 143–62.
Stockton, Ronald R. "Christian Zionism: Prophecy and Public Opinion." *The Middle East Journal* 41 (1987): 234–53.
Uris, Leon. *The Haj.* New York: Bantam Books, 1985.
Zogby, James. *The Other Anti-Semitism: The Arab as Scapegoat.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, n.d.

العنصرية والعنف الموجهين ضد العرب في الولايات المتحدة

نبيل ابرهام

لا ينكر الإ قليل من الناس أن العنصرية، والتحيز، والعنف المرتبط بالكراهية ما زالت تعتبر من ملامح مجتمعنا. من المرجح أن يسمع المرء بأن هذه الظواهر في ازدياد. وليس هناك من يشك بأن الأمريكيين الأفارقة، مثلاً، ما زالوا يواجهون الكراهية والاجحاف في الولايات المتحدة المعاصرة. أو أن اليهود يواجهون معاداة السامية رغم أن الدلائل توحي بأن العداء لليهوديه كان، حتى وقت قريب، في طريقه إلى الاضمحلال: أو أن الأمريكيين من أصول إسبانية، أو آسيوية أو محلية، شأنهم في ذلك شأن النساء والشواذ جنسياً، يواجهون الإجحاف والتعصب. فهذه أمور مسلم بها كما لو كانت شأناً من شؤون التلوث البيئي أو الإهدار الحكومي.

إن اهتمامنا هو مدى وجود العنصرية في المجتمع المعاصر خصوصاً فيما يتعلق بطبيعتها وانتشارها. وهذه الدراسة تتناول هذه القضية بقدر تعلقها بالعنصرية المعادية للعرب. إن تناول العنصرية والعنف الناجم عن الكراهية ينحو، بشكل عام، إلى التركيز بشكل رئيس على نشاطات الجماعات العنصرية والتفوقية البيضاء المتطرفة.١ تسجل دراسة يجريها مركز التجديد الديمقراطي Centre of Democratic Renewal أن حوالي ثلاثة آلاف حالة "للعنف الناجم عن التعصب" وقعت في الولايات المتحدة خلال الفترة ما بين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦. إن تقرير المركز، حسب ما يصفه واضعه، هو "أول نظرة شاملة على المستوى الوطني للعنف الناجم عن التعصب تغطي فترة امتدت

كتب هذا المقال قبل وقوع أزمة الخليج. وقد أضيف له تعقيب ليغطي جزءاً من أثر الحرب على الأمريكيين العرب. من أجل سرد مفصل لهذه الفترة انظر: "أزمة الخليج والعنصرية المعادية للعرب في أمريكا" (١٩٩١) لنفس المؤلف.

اقتطف من نسخة أولى لهذا المقال في النشرة الإيطالية Invarianti تحت عنوان:
" Razzismo e Violenza antiaraba negli Stati Uniti" (Rome, Autumn- Winter 1990-91)

١ . يستخدم مصطلح "العنصرية" هنا بمعنى موسع ليشير إلى موقف عدائي غير عقلاني (أي التحيز) الموجه ضد الجماعات الوطنية والعرقية والعنصرية أو ما يفترض أن يكون من مميزاتها بشكل يوحي بإنكار القيمة الانسانية والحقوق الإنسانية والمدنية.

على مـدى بضع سنوات منذ عـودة جماعـات الكراهية إلى الظهور في السبعينات" . (لوتز ١٩٨٧ المقـدمـــة). إن الصـورة التي تظهـر في التـقـرير تظهـر أن "أعـضـاء المنظمات العنصرية، واليـمـينيـة المتطرفـة، والمعـادية للسامية" سيشكلون المصدر الأساس للعنف الناجم عن العنصرية والكراهيـة في المجتـمع المعـاصر. فـالمبـاديء العنصرية واللاسامية الفـجـة التي يحملونها، إلى جـانب أعمال العنف التي يمارسـونها ضـد الأمريكيين الأفارقة واليـهـود والمنحـدرين من أصـول إسـبـانيـة وآسـيـوية والشـواذ جنسـيـاً تجعل جماعات العنصريين البـيض والنازيين الجـدد مـرشـحين لتحمل مسؤولية ما يوجد في المجتمع من عنصرية وعنف ناجم عن الكراهية.

لكن، مـا مـدى دقـة هذه الصـورة؟ فـالقـراءة المتأنية لتقرير المركز (CDR) وتقـارير أخـرى من شأنها أن تثير بعض الشكوك. فـمن جـهـة، يلاحظ التـقـرير بأنه في الوقت الذي "لا توجـد مناطق في البـلاد تشـهد نشاطاً فائقاً للمنظمات التفوقية البيضاء دون أن تتـبع ذلك درجـات عالية من العنف الناجم عن الكراهية" ، فإن العكس ليس صحيحاً مـا دامت "هناك مناطق من البلاد عرفت درجات عالية من العنف الناجم عن الكراهية دون أن يوازي ذلك وجـود التـفـوقيين البيض المنظمين بدرجات عاليـة" . (لوتز ١٩٨٧ ـ ١٧). في حين يخبر تقـرير آخـر عن العنـــف الناجم عن الكراهيـة القاريء بأن عملية تخريب الممـتلكات المعـادية للسـامـيـة ليست، في غالبيتها، من عمل جماعات الكراهية المنظمـة، بل هي، في مـعظم الوقت، حـوادث من عـمل المراهقين الذين لا ينتمون إلى جماعات الكراهية. وسنة بعد سنة، ظهر أن ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة ممن أوقـفوا لارتكابهم مثل هذه الجـرائم هم في العشرين من أعمارهم أو اصـغـر. "(عـصبة مناوءة التشهير اليـهودية ADL). وبالرغم من أن هذه الملاحظــة تخص الحـالات المعادية للسامية بشكل ضيق، إلا أنها تبـدو مـلائمـة كـذلك لحـالات تخريب الأمـلاك العنصرية وللعنف بشكل عام. وتدعم هذا الاسـتنتـاج، بشكل غير مـبـاشر، حـقـيـقة كون الـ كوكلوكس كلان KKK والمنظمات النازية الجـديدة المختلفـة في حـالــــة تدهور منذ بداية الثمانينات. فـفي عام ١٩٨٧، كان عــــدد أفراد الـ كوكلوكـــس لا يزيد على ٤٥٠٠ إلى ٥٥٠٠ فرداً، وهو "أدنى ما بلغـــــه خلال ١٤ عـاماً" ، في حين لم يكن بوسع النازيين الجدد أن "يدعوا عضويـــة ما يزيـــــد على٤٠٠ إلى٤٥٠ عـضواً" . وباختصار، فـ"الاتجاه العام نحو الاضمحلال سار بانتظام وأعاد حركة الكراهية إلى ما كانت عليه في منتصف السبعينات عندمـا بدأت جهودها الرامية إلى العودة إلى الظهور (ADL ١٩٨٧، ١ ـ ٢).

وإذا بدت الادعـاءات المتـعلقة بالجماعات العنصرية واليمينية مبالغاً فيها، فإن الاتجاه السـائد، رغم ذلك، مـا زال يعـتبر مـثل هذه الجماعـات المصدر الرئيسي للعنصريـــة في المجتـمع المعـاصر. ويعزو الرأي التقليدي العنف الناجم عن الكراهيـــة والعنصرية إلى جماعات التفوقيين البيض والنازيين الجدد.٢ إلا أن هنالك تناقـضات صارخــــة في هذا

٢ . أحصت دراسة حديثـة، على سبيل المثال، ٦٧ "منظمة حقد عنصرية ومعادية للسامية" تؤيد علناً أعمال العنف أو تشـارك فيها. وهي جميعاً جماعات يمينية متطرفة، مسيحيــــة حاقدة أو نازية جديدة. ولم ترد الإشـارة إلى أية جماعة يهودية متطرفة (أنظر عصبة مكافحــة التشهير ١٩٨٨/أ، ١٩٨٨/ب).

الرأي أيضاً. إذ لا يذكر كل من تقرير المركز (CDR) ودراسات العصبة (ADL) شيئاً عن نشاطات الجماعات اليهودية المتطرفة مثل عصبة الدفاع اليهودي (JDL).٣ إذ يقال أن الجماعة الأخيرة "هي واحدة من أكثر الجماعات الإرهابية نشاطاً في الولايات المتحدة: وأنها مسؤولة عن قتل سبعة أشخاص وجرح واحد وعشرين على الأقل، خلال الفترة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٨٥ (هوفمان ١٩٨٦، ١١ و ١٥: وفريدمان ١٩٨٦، ١٩٨٨). وتشير دراسة موثقة قام بها جون و. هارسي عام ١٩٨٧ إلى أن المنظمات اليهودية المتطرفة ارتكبت "حوالي٢٠ حادثة إرهابية، وعدداً كبيراً من أعمال العنف الأخرى بما فيها الافتراء والتهديد . . . " أو ما يعادل ربع مجموع الأعمال الإرهابية المرتكبة في الولايات المتحدة خلال الثمانينات. وفي عام ١٩٨٥، حين تناقص الإرهاب في الولايات المتحدة بشكل حاد، ارتكب الإرهابيون اليهود أربعة من مجموع الحوادث الإرهابية المسجلة السبع، وقد نجم عن أفعالهم هذه موت شخصين وعده إصابات خطيرة (هاريس ١٩٨٧، ٦).٤ وكما سيتضح لاحقاً، فإن الجماعات المتطرفة اليهودية تشكل مصدراً لا يمكن انكاره للعنف الناجم عن الكراهية الموجه ضد العرب والذي لا يبحث ضمن التناقص التقليدي للعنف العنصري في الولايات المتحدة.

من الغريب أن تقرير المركز (CDR) لا يشير إلى عصبة الدفاع اليهودية (JDL) إلا إشارة واحدة عابرة وبمفارقة تضعها في الجانب الطيب. إذ يشير التقرير إلى حادثة وقعت في لوس انجلوس ١٩٨٦ حين "تعرض حارس من رجال الأمن إلى هجوم من قبل عضو في الحزب النازي الأمريكي أثناء صدام بين التفوقيين البيض وأعضاء عصبة الدفاع اليهودية . . . " (لوتز ١٩٨٧، ٢٤). والأمر الأشد غرابة هو وصف مقتل الناشط الأمريكي العربي أليكس عودة عام ١٩٨٥(أنظر ما يتبع) الذي ورد في الصفحة نفسها من التقرير. حيث يرد ذكر جريمة القتل دون الإشارة إلى عصبة الدفاع اليهودية التي كانت متورطة في عملية إلقاء القنبلة التي قتلت عودة (كما كانت متورطة في عدة عمليات إلقاء قنابل أخرى تمت في تلك السنة). ويبدو غريباً أن يغفل تقرير مهم حول العنف العنصري الإشارة إلى مصدر مميت من مصادر العنف العنصري في الولايات المتحدة.

يبدو إغفال الجماعات اليهودية المتطرفة عند تناول العنف الناجم عن الكراهية أمراً غريباً لسبب آخر. ففي الوقت الذي شهدت فيه الجماعات العنصرية البيضاء انحساراً ملحوظاً في عدد أعضائها خلال السنوات الأخيرة، وظلت، بلا جدال، على هامش

٣ . من الغريب كذلك ميل تقرير "مركز التجديد الديمقراطي" إلى إطلاق اسم "عيادات النساء الصحية" على عيادات الإجهاض التي رماها بالقنابل المتعصبون المناوئون للإجهاض، وهو مؤشر آخر على أن الاعتبارات الايديولوجية أخذت بعين الاعتبار في الدراسة. وقد أصدرت عصبة مكافحة التشهير "تصنيفاً" للتصريحات العنصرية والعنيفة والمعادية للديمقراطية الصادرة عن مئير كاهانا زعيم عصبة الدفاع اليهودية دون الخوض في النشاطات العنيفة للمنظمات اليهودية المتطرفة (أنظر عصبة مكافحة التشهير ١٩٨٥).

٤ . أنظر أيضاً شهادة مساعد المدير التنفيذي لمكتب التحقيق الفدرالي أولفر ب. ريفل أمام اللجنة الفرعية للكونغرس حول الإدانة الجرمية (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٩ ـ ١٢).

المجتمع، فإن المنظمات اليهودية المتطرفة مثل عصبة الدفاع اليهودية (JDL) ومنظمة الدفاع اليهودية (JDO) قد وسعت قاعدة دعمها بين غالبية اليهود.٥ فقد استمر الحاخام مئير كاهانا، مؤسس عصبة الدفاع اليهودية ومرشدها الروحي الذي طالما اعتبره زعماء المنظمات اليهودية السائدة ديماغوجياً خطراً في تلقي القبول الواسع والدعم المالي من يهود الولايات المتحدة لحين اغتياله في تشرين٢ ١٩٩٠. ويلاحظ الصحفي روبرت فريدمان:

> في حين ينتمي مؤيدو الحاخام المولود في بروكلين الاسرائيليون إلى سكنة الأكواخ في شباب "السفارديم" الفقراء، فإنه قد اجتذب إليه على مدى السنين في الولايات المتحدة، حيث يقوم بجمع الأموال، مجموعة غريبة من المعجبين من بين أعضائها روبين ماتوس رئيس شركة هاجن ـ داز لانتاج المثلجات، وجاكي ميسون الفائزة بجائزة توني لعام ١٩٨٧. والمحامي باري سلوثنيك الذي نجح في العام الماضي [١٩٨٧] في الدفاع عن برنارد غويتز الذي أطلق النار في النفق ورجل العصابات الشهير جون غوتي. (١٩٨٨، ٤٥)

يقتبس فريدمان من استطلاع نشر في الفتره نفسها في مجلة مونيتين الإسرائيلية يكشف عن أن "٢١ بالمائة من الجمهور الإسرائيلي يؤيد بشدة آراء كاهانا المعادية للعرب" (١٩٨٨، ٤٥).

ويشير مراسل إسرائيلي أن كاهانا قد ظهر في شهر شباط من عام ١٩٩٠ في كنيس يهودي في مدينة سيلفر سبرنغ بولاية مِرِلاند حيث كان يخاطب جمهوراً ضم ٦٠٠ شخصاً "كانوا يصفقون بحماس" لإعلانه بأن "إسرائيل ستكون ديمقراطية لليهود فقط. وسوف يتمتع العرب بوضعية الأجنبي المقيم، أي بلا حقوق ..." ويضيف المراسل قائلاً: "ليس لدي شك بأن جماعة كبيرة من اليهود في الولايات المتحدة تؤيد جميع آرائه" (تال ١٩٩٠).٦

---

٥ . أشار موضوع نشر في صحيفة للجالية اليهودية حول منظمة الدفاع اليهودية إلي أن عدد أعضاء المنظمة "يزيد على ٣٠٠٠ عضو في جميع أنحاء الولايات المتحدة ولديها فروع في الولايات المتحدة، وفرنسا، والمكسيك، وأمريكا الجنوبية .." ويضيف الموضوع الذي كان موالياً للمنظمة بأنها تقوم" بتدريب اليهود علي محاربة معاداة السامية بما هو أبعد من الكلام". (آبلبوم ١٩٩٠). من أجل صورة أكثر توازناً عن السجل السابق للمنظمة، أنظر شهادات بوني رياوي ومحاميها مايكل سميث أمام لجنة الكونغرس الفرعية للادانة الجرمية (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٤١ ـ ١٤٧، ٥٩ ـ ١٧٠) (ريدجواي ١٩٨٥، فريدمان ١٩٨٦).

٦ . قدم كاهانا بصفته عضواً في الكنيست الاسرائيلي "قانوناً مقترحاً لمنع الاندماج بين اليهود وغير اليهود ومن أجل قدسية الشعب اليهودي" دعا فيه ضمن ما دعا، إلى " سواحل منفصلة ... لليهود وغير اليهود. اليهود واليهوديات ... ممنوعون من الزواج من غير اليهود"، "اليهود واليهوديات ... ممنوعون من إقامة علاقات جنسية كاملة أو جزئية مع أي نوع من غير اليهود". "يعاقب بالسجن لمدة خمسين عاماً كل شخص غير يهودي يقيم علاقة جنسية مع بغي يهودية أو بيهودي ذكر". يمكن العثور على هذا الهذيان العنصري وغيره لدى كوتلر ١٩٨٦ ١٩٩ـ ٢٠١، وكاهانا ١٩٨١؛ أنظر أيضاً العمل الأخير لفريدمان ١٩٩٠.

ولو افترضنا بأن النظرة التقليدية للعنصرية والعنف الناجم عن الكراهية قد عدلت لتشمل الجماعات اليهودية المتطرفة، فهل ستعكس عندها، وعلى نحو مناسب، حقيقة العنصرية المعادية للعرب في الولايات المتحدة؟ فقط في حالة الافتراض بأن العنصرية المعادية للعرب محصورة بهامش المجتمع. إلا أن هذا وضع غير متحقق. فالعنصرية المعادية للعرب، كما سيظهر البحث لاحقاً، شأنها شأن أنواع العنصرية الأخرى، تتخلل المؤسسات السياسية والثقافية الواسعة. إلا أن العنصرية المعادية للعرب، بخلاف أنواع العنصرية الأخرى، تواجه بالتسامح من قبل المجتمع الموسع وهي الحقيقة التي تم تشخيصها من قبل عدد من المعلقين.[7] فقد قامت الباحثة شيلي سليد باستطلاع هاتفي لمواقف ٦٠٠ شخص في خريف عام ١٩٨٠ استنتجت منه أن "العرب ما زالوا من بين الجماعات العرقية القليلة التي يمكن التشهير بها دون الوقوع تحت طائلة القانون في أمريكا" (١٩٨٠، ١٤٣). وتكشف الدراسة ضمن ما تكشف، أن :

> نسبة مئوية كبيره من الذين شملهم الاستطلاع [يشعرون] أن العرب يمكن أن يوصفوا بصفات "بربري، وقاسي" (٤٤٪) و "خائن، ومراوغ" (٤٩٪) و "يسيء معاملة النساء" (٥١٪)، و "ميال للحرب، ومتعطش للدماء" (٥٠٪). إضافة إلى ذلك، فقد أجابت نسبة كبيرة عن سؤال حول عدد العرب الذين تنطبق عليهم قائمة طويلة من الصفات، بأن "معظم" أو "جميع" العرب هم "معادون للمسيحية" (٤٠٪) و معادون للسامية"(٤٠٪) و "يريدون القضاء على إسرائيل ورمي الإسرائيليين في البحر"(٤٤٪). (١٩٨١، وردت في سليمان ١٩٨٨).

وقد كتبت جيورجي آن غيير كاتبة العمود الصحفي النقابية على الصعيد الوطني، تسترجع موقفها إزاء العرب أثناء عملها كمراسلة لصحيفة شيكاغو دايلي نيوز/ أخبار شيكاغو اليومية عام ١٩٦٩، تقول:

> لقد انغرس العالم العربي ـ على نحو لاشعوري إلى حد كبير ـ في أذهان الشعب الأمريكي وحتى في الصحافة الأمريكية كنوع من عالم "منبوذ". حيث يوجد توقع غير معلن لدى المحررين، والأصدقاء، ولدى المرء نفسه أيضاً بأن العرب شعب متخلف، متفسخ قد تجاوزه التاريخ بل أنهم يبدون منفرين نوعاً ما بعاداتهم الغريبة والعتيقة المنحدرة من الأزمنة الماضية. (غريب ١٩٨٣، مقدمة ٧). [8]

---

٧ . هذا بالطبع، لا يعني أن أنواعاً أخرى من العنصرية (مثل العنصرية المعادية للأمريكيين الأفارقة) غير موجودة في المجتمع السائد، إنما المقصود أن العنصرية المعادية للعرب هي وحدها التي تلقى التسامح علناً.

٨ . بعد ذلك بعقدين من السنين، لا تزال فلورا لويس تكتب في عمودها:
كثير من الشرق أوسطيين ينعون اليوم الحقيقة التي تشير إلى أن مناطقهم الإقليمية تبدو أنها تفقد أهميتها الآن لعدم قدرتهم على لعب لعبة الحرب الباردة. لا شك أن أعداداً أكثر ممن تخنقهم دكتاتوريات ينعون حقيقة أن المنطقة لم تشارك في المسيرة باتجاه الديمقراطية. إنهم يعانون كثيراً من مجتمعاتهم المريضة. (نيويورك تايمر، ٢٨ نيسان/ ابريل، ١٩٩٠).

أُنجز بالفعل عمل مهم في مجال الانحياز المعادي للعرب (وللمسلمين ولشعوب الشرق الأوسط) والنماذج النمطية في وسائل الاعلام، والأدب، وهوليوود. ولا حاجة بنا هنا إلى مراجعته.[٩] إذ أن النماذج النمطية تشكل جانباً واحداً من المشكلة الأكبر للعنصرية المعادية للعرب، والتي تشمل، في نظرنا، المواقف المعادية للمسلمين وشعوب الشرق الأوسط أيضاً. إن هذه المقالة تسعى إلى توسيع البحث خارج حدود النماذج النمطية ليشمل العنف والعنصرية الموجهين ضد العرب، وهي مواضيع لم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام في الماضي. إن حقيقة كون العنصرية المعادية للعرب غالباً ما قوبلت بالتسامح في المجتمع الموسع تجعل هذا النوع من العنصرية مقياساً جيداً لمعرفة حقيقة الموقف في الولايات المتحدة.

يبدأ الفصل بمراجعة للعنف والعنصرية الموجهين ضد العرب خلال السنوات ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦وهي الفترة نفسها التي يغطيها تقرير المركز (CDR). إن هذه المراجعة لا تدعي لنفسها الشمولية وتحدد مجالها بالحوادث البارزة. وتعرض المراجعة كون وجهة النظر التقليدية حول العنصرية والعنف الناجم عن الكراهية كما يطرحها تقرير المركز والتقارير المشابهة أضيق من أن تقدم تناولاً مناسباً للعنصرية والعنف الموجهين ضد العرب. وسوف يقدم فيما يلي تحليل للمنابع المختلفة للعنصرية المعادية للعرب. يكشف التحليل المزيد من التصور في وجهة النظر التقليدية حول العنصرية: وهي أن العنصرية المعادية للعرب في المجتمع المعاصر ليست ظاهرة هامشية بل إنها تمتد إلى المجتمع الأوسع كذلك.

في "منطقة الخطر"

أمضى الأمريكيون العرب الجزء الأكبر من سنوات الثمانينات في حالة من التوجس المتزايد نتيجة اعلان إدارة ريغان "الحرب على الإرهاب الدولي". وقد بلغ الخوف ذروته عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦. وقد ضاعف المأزق قيام مسلحين "من الشيعة اللبنانيين باختطاف طائرة TWA في رحلتها ٨٤٧ إلى بيروت في ١٤ حزيران ١٩٨٥. وقد بدأت عملية الاختطاف بموت أمريكي شاب ضرباً على متن الطائرة وانتهى بعد ذلك بسبعة عشر يوماً بإطلاق التسعة والثلاثين المتبقين من الرهائن الأمريكيين. وقد حظيت الحادثة بتغطية واسعة في وسائل الإعلام، وكانت في غالبيتها منفعلة وهستيرية بشكل خال من الحياء. ففي مقالة افتتاحية نشرت في صحيفة "نيوز ليدر" الصادرة في ريتشموند بولاية فرجينيا، على سبيل المثال، طرح اقتراح بإعدام سجين شيعي لبناني كل خمس عشرة

٩ . حول الكيفية التي تصور بها أجهزة الإعلام الأمريكية العرب، أنظر سعيد ١٩٨١: سليمان ١٩٨٨، غريب ١٩٨٣ ومقالاتي في "أكاذيب عصرنا" (مجلة شهرية تصدر عن معهد تحليل الإعلام نيويورك ٩١ ـ ١٩٩٤). من أجل اختبار تفصيلي للنماذج النمطية للعرب في هوليوود أنظر ميشالاك ١٩٨٤، شاهين ١٩٨٤. يمكن العثور على دراسة مفيدة للسوابق الثقافية لمواقف معادية للعرب والمسلمين في الثقافة الغربية لدى سعيد ١٩٨٧.

دقيقة لغاية إطلاق سراح الرهائن (٢١ حزيران ١٩٨٥). كما نشرت صحيفة النيويورك بوست، المشهورة بنبرتها القاسية، على صفحتها الأولى صورة رجل من مدينة ديربورن بولاية مشيغان ينحدر من أصل شيعي لبناني يرتدي قميصاً عسكرياً تمويهياً وحزاماً للرصاص معبأ بالطلقات وهو يحمل تقليداً لرشاش من نوع AK - 47 وفوقه عنوان رئيس يقول: "شعب الولايات المتحدة تحت الهجوم/ بيروت USA". وقد حصل على الصورة مندوب عديم الضمير، أقنع الامريكي اللبناني بالمثول أمام كاميرته. وتزعم المقالة التي ظهرت مع الصورة بأن رجل ديربورن قد تبجح بوجود ٥٠٠٠ مسلح شيعي لبناني في حالة استعداد للدفاع عن أنفسهم في الضاحية التابعة لمدينة ديترويت. حتى صحيفة وول ستريت جورنال التي تتصف عادة بالرصانة لم تنج من الهستيريا السائدة. ففي افتتاحية بعنوان "الاختطاف القادم"، دعت الصحيفة، بلا خجل، إلى انتقام عسكري من قبل الولايات المتحدة يبدأ "بضربات ضد الأهداف العسكرية السورية داخل لبنان" (١٨ حزيران).

من الممكن أن يكون إسفاف وسائل الإعلام قد ساهم في انفجار هجمات العنف ضد الأمريكيين العرب والشرق أوسطين التي تزامنت مع حادثة الاختطاف والتي جعلت من عام ١٩٨٥ منعطفاً في تاريخ العنف ضد العرب وغيرهم من الشرق أوسطيين. وتشير مفوضية العلاقات الانسانية في لوس أنجلوس إلى أن اثني عشر من مجموع واحد وسبعين (١٦,٩٪) حادثة ذات دوافع دينية وقعت في منطقة لوس أنجلوس في عام ١٩٨٥ "كانت موجهة ضد مساجد أو مراكز إسلامية أو أفراد مسلمين". وقد لاحظ موظفو المفوضية أن تلك كانت المرة الأولى التي تقع فيها أية حوادث معادية للاسلام خلال السنوات الست التي بدأت فيها سجلاتها، ويشير التقرير السنوي للمفوضية بأنه يبدو أن ما أثار الحوادث المعادية للإسلام كان "عدداً من الأحداث التي وقعت في الشرق الأوسط"، وبالتحديد، خطف طائرة الـ TWA وباخرة أخيلي لاورو، والهجمات التي وقعت في مطاري روما وفيينا (أنظر لاحقاً). "وفي كل من تلك الحالات، كان أمريكيون قد قتلوا" (بيكر ١٩٨٦).

ما بين ١٦ و ٢٢ حزيران، تعرضت المراكز الإسلامية في سان فرانسسكو ودنفر وديربورن وكوينس في ولاية ماساشوستس، إلى التخريب أو تلقت مكالمات تهديدية. كما وجه التهديد إلى المنظمات الأمريكية العربية في نيويورك وديترويت. في ٢٢ حزيران أصيب مسجد دار السلام في هيوستن بالقنابل وكانت الخسائر ٥٠ ألف دولار.[١٠] بعد ذلك باسبوع، في ٣٠ حزيران، اغتصب رجلان في توسون امرأة كانت على علاقة غرامية بفلسطيني، وقام الرجلان بحفر نجمة داود على صدرها. في ١٦ آب انفجرت قنبلة وضعت خارج باب مكتب اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز في

١٠ . طبقاً لرئيس الجمعية الإسلامية في هيوستن الكبرى سيد م . جمعة. "أزاحت قوة الانفجار جدار غرفة ١٥ × ٣٠ قدم حوالي أربع بوصات عن الأساس. وقد انفجرت القنبلة بعد ساعة من مغادرة جماعة دار السلام صلاة العشاء . . .وقد أدين ثلاثة رجال أحدهم ضابط مخضرم في القوى الجوية (كونغرس الولايات المتحدة ، ١٩٨٨ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١).

بوسطن، ملحقة جراحاً بليغة بالشرطيين اللذين استدعيا لإزاحتها (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٥٧، ٥٨، ٦٤).١١

ليس بالامكان ربط كل حادثة من الحوادث المذكورة، بشكل ملحوظ، بعملية اختطاف طائرة الـ TWA في عام ١٩٨٥، إلا أن هناك سياقاً قابلاً للملاحظة يفيد بأن الحوادث الإرهابية وغيرها من الأحداث التي تقع في الشرق الأوسط، خصوصاً تلك التي تشمل مواطنين من الولايات المتحدة، وتستغلها الإدارة الحكومية والصحافة، يمكن أن تطلق التهديدات والعنف ضد الشرق أوسطين في أي موقع من البلاد.١٢ وبسبب الاضطراب المستمر في الشرق الأوسط، فإن عدم تعرض أحد لإصابة خطرة أو لما هو أسوأ من ذلك لم يكن إلا مسألة وقت.

وقع حادث اختطاف آخر في الشرق الأوسط في خريف عام ١٩٨٩. ومرة أخرى تبع ذلك اندلاع العنف ضد الأمريكيين العرب والشرق أوسطين الآخرين. إلا أن النتيجة هذه المرة كانت أكثر مأساوية. ففي صبيحة الجمعة الحادي عشر من تشرين ١ انفجرت قنبلة في مكتب اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز في لوس أنجلوس، متسببة في مقتل أليكس عودة المدير الإقليمي للمنظمة البالغ من العمر ٤١ عاماً. وقد انشطر جسد عودة إلى قسمين بفعل القنبلة التي كانت مربوطة إلى باب مكتبه (بالرمو وجارلسون ١٩٨٥، رايز وجونز ١٩٨٥، بينسكي ١٩٨٦، وفريدمان ١٩٨٧). وكان عودة قد ظهر قبل ذلك بيوم واحد في برنامج إخباري في محطة تلفزيون محلية وأعرب عن رأيه بأن منظمة التحرير الفلسطينية وزعيمها ياسر عرفات لم يكونا خلف حادث اختطاف الباخرة أخيلي لاورو في البحر الابيض المتوسط. وكان مقتل أحد ركاب الباخرة: ليون كلينغهوفر، قد أكد يوم الأربعاء ٩ تشرين١. وقد حذفت العبارات التي أدان بها عودة حادث الاختطاف والارهاب بشكل عام من المقابلة، الأمر الذي قد يكون ساهم في مقتله، رغم أنه يصعب التأكد من ذلك.

ومما آلم الأمريكيين العرب بشكل خاص، غياب الاهتمام بمقتل أليكس عودة من قبل وسائل الإعلام في الولايات المتحدة بالمقارنة بالاهتمام الذي يمنح لضحايا العنف في الشرق الأوسط بشكل عام. في تأبين تذكاري لأليكس عودة يوم ٣١ كانون٢/ يناير ١٩٨٦، قارن ألسكندر كوكبرن، كاتب العمود والناقد الصحفي في مجلة **نيشن** بين التغطية الإعلامية لجريمة قتل أليكس عودة وتلك الممنوحة لمقتل ليون كلينغهوفر الذي وقع قبلها بأيام قليلة. "في الأيام الثلاثة الأولى التي أعقبت القتل، خصصت صحيفة النيويورك تايمز ١٠٤٣ بوصة من أعمدتها لمقتل كلينغهوفر و ١٢,٥بوصة لجريمة قتل

---

١١ . أنظر أيضاً: "رجال يرسمون رمز نجم على امرأة أثناء اغتصاب خارج مطعم"، أريزونا دايلي ستار (توسون) ٢ تموز ١٩٨٥، ليرنر ١٩٨٦.

١٢ . أثناء حديث أمام المؤتمر السنوي للجنة مكافحة التشهير في ٥ أيلول ١٩٨٥، أورد جورج بول. وكيل وزارة الخارجية السابق في إدارة جونسون، هذه الملاحظة الذكية: "كان [الأمريكيون] غير مهيأين تماماً لمعاناة رهائن رحلة TWA رقم ٨٤٧. ويعود ذلك جزئياً إلى أن أحداً في السلطة لم يحاول أن يوضح العلاقة السببية بين الحادثة ودعمنا التلقائي للمشاريع والطموحات الإسرائيلية" (أعيد طبع خطاب بول في: تقرير واشنطن عن شؤون الشرق الأوسط ٤ تشرين٢ ١٩٨٥).

أليكس عودة. أما بالنسبة لصحيفة الواشنطن بوست فقد كانت الأرقام المقارنة ٦٢٠ بوصة لـ كلينغهوفر و٣٠ بوصة لأليكس عودة". ١٣

رغم أن معظم التغطية الإخبارية كانت مباشرة، فإن صحيفة **نيويورك بوست،** المعروفة بانفعاليتها الرخيصة، أوردت الخبر المتعلق بعودة تحت عنوان: "مقتل المعجب بعرفات، جرح ٧ من العرب في انفجار القنبلة في كاليفورنيا" (١٢ تشرين١ ١٩٨٥). وكان العنوان غير المسؤول قد طبع بحروف بارزة. وقد عمدت الصحيفة إلى أن تحور، بدون حياء، تعليقات عودة على عملية اختطاف أخيلي لاورو، مخبرة قراءها بأن عودة "امتدح علناً دور ياسر عرفات في حادث الاختطاف البحري" دون أن تشير مرة واحدة إلى أن عودة كان يمتدح جهود الوساطة التي يبذلها زعيم منظمة التحرير الفلسطينية، وليس تورطه في عملية الاختطاف. وقد أوردت صحيفة **لوس أنجلوس تايمز،** بالمقابل، أن عودة كان في الواقع قد قال: " ... إننا نثني على عرفات لدوره الايجابي في حل هذه القضية". (١٣ تشرين١ ١٩٨٥).

اعتبر مكتب التحقيق الفدرالي (FBI) جريمة قتل عودة الحادث الإرهابي الأكبر في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٥. وقد ألمحت الوكالة بشدة إلى وجود عصبة الدفاع اليهودية أو منظمة يهودية متطرفة مماثلة خلف عملية التفجير (كومنغز ١٩٨٥).١٤

"إن جريمة قتل عودة كانت بشكل واضح ولا يقبل الخلاف جريمة سياسية، واغتيالاً، بسبب هوية الضحية وما كان يقوم به، ومكان وجوده في زمن وفاته المأساوية. ولهذا السبب، فإن جريمة قتل أليكس عودة كانت وما تزال ذات أهمية بالغة بالنسبة للأمريكيين العرب. إن الدافع السياسي لم يتوفر بنفس الوضوح في حالات مقتل عرب آخرين مثل مقتل شخصين يمنيين في ديربورن عام ١٩٧٦ (سيرد وصفه لاحقاً). إن جريمة قتل أليكس عودة عام ١٩٨٥ هي بالتأكيد أشهر جرائم القتل الناجمة عن دوافع سياسية، إلا أنها ربما لم تكن الأولى. فهذا الامتياز المشكوك فيه يعود إلى جريمة قتل أخرى أقل شهرة.

في ٦ نيسان/ ابريل ١٩٨٢، أحاط حريق غامض بمطعم طرابلس في بروكلين بولاية نيويورك. وقد نجم عنه مقتل امرأة واحدة وإصابة تسعة أشخاص آخرين. كان المطعم اللبناني يقع على شارع أتلانتك آفنيو عند طرف الحي الأمريكي العربي في بروكلين هايتس. وقد ذكرت مكالمات هاتفية أجراها أشخاص إدعوا بأنهم يتحدثون باسم عصبة الدفاع اليهودية مسؤولية المنظمة عن الحريق. وقد ادعى أحد المهاتفين أن المطعم كان "المقر السري لجيش التحرير الفلسطيني". ١٥ ومما يرجح الاشتباه بمسؤولية

---

١٣ . ذكر في تايمز اللجنة العربية لمكافحة التميز، لجنة مكافحة التمييز ١٥ شباط ١٩٨٦.

١٤ . في لوس أنجلوس أخبر إير ف. روبين، رئيس عصبة الدفاع اليهودية، الصحفيين بعد الانفجار بوقت قصير. " يجب ألا يذرف أي يهودي أو أمريكي دمعة واحدة على تدمير واجهة منظمة التحرير الفلسطينية في سانتا آنا أو أي مكان آخر في العالم. يستحق المسؤول / المسؤولين عن الانفجار ثناءنا لقيامهم بضرب قتلة الأمريكيين واليهود". (نيويورك بوست ١٢ تشرين١/ أكتوبر ١٩٨٥)

١٥ . منشورات لجنة مكافحة التشهير رقم ٩ (واشنطن العاصمة، لجنة مكافحة التشهير) استذكر عضو سابق في عصبة الدفاع اليهودية أنه في عام ١٩٨٢ كان "خمسون شخصاً طيباً ومخلصاً لعصبة

العصبة عن الحريق، كان الحادث قد وقع بعد يومين من قيام مسلحين مجهولين بقتل الدبلوماسي الاسرائيلي ياكوف بارسيمانتوف في باريس. وقبل ذلك ببضعة أيام، كانت السفارة الإسرائيلية في باريس قد تعرضت لنيران بندقية رشاشة في يوم ٣١ آذار. وقد إدعت المسؤولية عن الهجوم جماعة وهمية في بيروت تدعو نفسها بالفصيل اللبناني الثوري المسلح. ١٦

في الشهور الثمانية عشر التي أعقبت مقتل عودة كانت الهجمات العدوانية ضد الأمريكيين العرب والمنظمات العربية تتبع نمطاً يمكن التنبؤ به سياق مرصود. فقبل مرور شهرين على مقتل عودة، تعرض مقر اللجنة العربية لمكافحة التمييز في واشنطن إلى تدمير بالغ نتيجة حريق غامض أتى على الأقسام الرئيسية من المبنى.١٧ شب الحريق الذي لم تعرف أسبابه حتى الآن، مساء الجمعة ٣٠ تشرين٢، بعد خمسة أيام من قيام فدائيين من الجيش المصري بمهاجمة طائرة مصرية مختطفة فوق جزيرة مالطا في البحر الأبيض المتوسط. وقد أسفرت عملية الإنقاد عن وفاة تسعة وخمسين من مجموع الركاب والطاقم الذي كان أغلبهم من المصريين. ١٨

وقد أحدث الحريق الذي شب في واشنطن بعد وفاة أليكس عودة بوقت قصير، صدمة انتشرت بين أفراد الجالية الأمريكية العربية.١٩ كما يبدو أنه كان السبب الذي دفع ويليام ويبستر، مدير مكتب التحقيق الفدرالي، إلى التحذير من أن الأمريكيين العرب وسواهم ممن يناصرون "وجهات النظر العربية قد أصبحوا ضمن منطقة الخطر" من قبل مؤيدي إسرائيل.٢٠ ورد تحذير ويبستر ضمن جلسة تضمنت الإجابة على

= الدفاع اليهودية. .يجوبون شوارع نيويورك ليلاً بحثاً عن ضحايا من العرب أو الروس. في ذلك الصيف وقع ١٢ إلى ١٥ حادث تفجير. كان لدينا مختبر سري للقنابل في منتزه بورو يزدحم بالمتفجرات ورشاشات من نوع تومي وعوزي . . . " (فريدمان ١٩٨٨، ٤٦).

١٦ . نيويورك تايمز، ٤ نيسان ؛ كريسيان سينس مونتر، ٢ نيسان ١٩٨٢.

١٧ . قيم راي ألفريد، رئيس فصيل الحريق في واشنطن العاصمة ، الحادث على النحو التالي: "إنه أكبر من أن يكون مصادفة، لكن ليس لدينا ما يكفي لاعتباره جريمة حريق متعمد، ولهذا ستقوم بتصنيفه على أنه " مثير للشكوك في الوقت الحاضر" . (ستيوارت ١٩٨٥)

١٨ . في وقت سابق من ذلك الشهر "فككت شرطة لوس أنجلوس قنبلة عثر عليها على سلم مدرسة مجاورة لمسجد المؤمن في المنطقة المركزية من المدينة . . . " (بيسكي ١٩٨٦، ١٢).

١٩ . يعتبر تقييم اسماعيل أحمد، مدير مركز الجالية العربية في ديربورن، مثالاً على مستوى القلق في ذلك الوقت. فقد لاحظ "أن الجو الذي يعيش فيه الأمريكيون العرب هو، في الواقع، جو مخيف جداً . . . فالناس يحملون أفكاراً لا علاقة لها بالحقيقة حول ماهية العربي الأمريكي" . (ماكغرو ١٩٨٦).
تصاعد القلق إلى حد قرر معه أربعون من زعماء الجالية العربية في ديترويت تنظيم تجمع معادٍ للعنصرية، إضافة إلى إصدار رسالة بمناسبة العيد لأهالي مشيغان من الجالية الأمريكية العربية. وقد ظهرت الرسالة في الصحف المحلية خلال عطلة عيد الميلاد . وفي واشنطن قامت جماعة من الأمريكيين العرب بقيادة رئيس اللجنة العربية لمكافحة التمييز، أبو رزق، بتنظيم جماعة على امتداد البلاد تدعي "التحالف ضد الإرهاب في أمريكا" . وقد نشرت الجماعة اعلاناً بحجم صفحة كاملة في عدد الأحد من صحيفة نيويورك تايمز، ٥ كانون٢ ١٩٨٦ . وقد ضم الإعلان الذي نشر تحت عنوان "لا تسمحوا للإرهاب بالانتشار في أمريكا" أسماء حوالي مئة شخص من الأمريكيين البارزين بضمنهم أمريكيون يهود وعدد من الحاخامات .

٢٠ . نيويورك تايمز، ١١ كانون١ ١٩٨٥ . في اليوم نفسه أصدرت لجنة حقوق الإنسان في الولايات =

أسئلة المندوبين الصحفيين في نادي الصحافة الوطني في كانون١ ١٩٨٥. وقد كشف مدير مكتب التحقيقات الفدرالي كذلك عن أنه قد قام، عقب مقتل أليكس عودة، باستدعاء أربعين خبيراً من جميع أنحاء البلاد لكي يقوموا "بحشد إمكاناتنا في هذه المنطقة". ٢١ وعلى الرغم من ذلك فقد تواصل العنف ضد الأمريكيين العرب وممتلكاتهم.

في الأسبوع الأول من شهر كانون٢ ١٩٨، أثارت إدارة ريغان علناً احتمال القيام بضربة انتقامية ضد ليبيا بعد وقوع هجمات إرهابية عربية في مطاري روما وفيينا يوم ٢٧ كانون ١ قتل خلالها ١٢ شخصاً وجرح ١١٤ شخصاً. ٢٢ في ٧ كانون٢، أعلن الرئيس ريغان وجود دليل "غير قابل للطعن" يربط الرئيس الليبي معمر القذافي بحوادث الهجوم على المطارات. ٢٣ وقد انعكس التوتر الذي ساد في تلك الفترة في العناوين التالية: "الطائرات الليبية تلاحق طائرة أمريكية في دورية في البحر الأبيض المتوسط" (نيويورك تايمز ١٥، كانون١)؛ "شولتز يؤيد الرد المسلح" (نيويورك تايمز، ١٦ كانون٢)؛ "البحرية الأمريكية تبدأ مناورات مقابل ليبيا" (نيويورك تايمز، ٢٤ كانون٢).

كانت إدارة ريغان، في الواقع، قد استهدفت ليبيا كجزء من "حربها ضد الإرهاب الدولي" في مرحلة مبكرة من دورتها الأولى عام ١٩٨١. ويحفل السجل بالخداع وتشويه المعلومات من جانب الحكومة. في آب ١٩٨١، أسقطت البحرية الأمريكية طائرتين ليبيتين فوق خليج سدرة "خلال ألعاب حربية استفزازية بالقرب من الساحل الليبي. وفي شهر تشرين٢، اتهم الرئيس ريغان العقيد القذافي بإرسال "فرق ضاربة" لاغتياله وغيره من كبار موظفي الحكومة. وقد أعلن الرئيس أن "لدينا الدليل وهو [القذافي] يعرفه. وقد ولد الاتهام، الذى ثبت كونه تلفيقاً خالصاً، هستيريا معادية

= المتحدة بياناً أدانت فيه أعمال العنف والنماذج المثالية " الخبيثة" الموجهة ضد الامريكيين العرب. كما وعدت اللجنة بعقد جلسات استماع حول الموضوع في شهر شباط١٩٨٦. (أنظر١٦٩) وقد قام ويستر فيما بعد بابلاغ لجنة فرعية للكونغرس بأنه يبدو أن "لاعلاقة" بين الحريق والجماعات الإرهابية. ("رئيس مكتب التحقيق الفدرالي يشك في أن يكون الارهابيون هم الذين سببوا الحريق". نيويورك تايمز، ١٥ آذار، ١٩٨٦)

٢١ . نيويورك تايمز، ١١ كانون١ ١٩٨٥.

٢٢ . ظهر أن الهجمات، التي كانت غير مفهومة تماماً بالنسبة للكثير من المراقبين، كانت من عمل فرقة فلسطينية منشقة بقيادة أبو نضال. "كان غرضها سحب مصداقية الجناح الرئيسي من منظمة التحرير الفلسطينية وإعاقة محاولاتها لكسب قبولها في العملية السلمية العربية الإسرائيلية تحت رعاية الولايات المتحدة. (أنظر مناقشتي لهذه الحادثة، أبراهام ١٩٨٦).

٢٣ . إلا أن الرئيس، ضمن دائرته الخاصة، قاوم الدعوات إلى تسديد ضربة عسكرية مباشرة "بناء على بعض الأدلة التي تربط القذافي بتفجيرات المطار". (هيرش ١٩٨٧، ٧١). وقد وجد محقق آخر أن "الحكومتين الإيطالية والنمساوية أعلنتا أن الإرهابيين تدربوا في المناطق التي تسيطر عليها سوريا في لبنان وجاؤوا عبر دمشق، وهي الاستنتاجات التي أكدها وزير الدفاع الإسرائيلي اسحق رابين". وقد أكد موظفون في كلتا الحكومتين الرأي نفسه بعد ذلك بشهور. وقد جاء على لسان وزير الداخلية النمساوي بأنه "لا يوجد هناك أدنى دليل يورط ليبيا" (تشومسكي ١٩٨٦، ٣٥ـ ١٣٦).

للعرب وللشرق أوسطيين عمت وسائل الإعلام والجمهور بشكل عام. ٢٤ وعندما تعرضت المساعدة المقدمة لجماعة الكونترا في نيكاراغوا للتهديد عام ١٩٨٤، عاد القذافي مرة أخرى إلى جدول أعمال البيت الأبيض. بعد حادثة اختطاف طائرة الـ TWA عام ١٩٨٥، أصبحت ليبيا من جديد موضوعاً للنقاش، على الرغم من أنه لم يكن هناك، تبعاً لما ذكره سيمور هيرش، أي دليل يربط الاختطاف بليبيا، إلا أن المشاعر في صفوف إدارة ريغان كانت ترجح القيام بعمل، وكان ضرب إيران أو سوريا غير وارد. يلاحظ هيرش أن "التخطيط السري في البيت الأبيض قد تصاعد بشكل درامي.. " في أعقاب الحوادث الفظيعة في المطار في كانون١ ١٩٨٥. وقد تم في اجتماع على أعلى المستويات "اتخاذ قرار باستفزاز القذافي عن طريق العودة إلى إرسال البحرية وطائراتها الحربية للقيام بأعمال دورية في خليج سدرة حيث سيستغل أي رد ليبي لتبرير القصف". (هيرش ١٩٨٧، ٢٦، ٤٨). ٢٥

في ليلة ١٧ كانون٢ ١٩٨٦، تعرض مصطفى دباس الناشر البالغ من العمر ٥١ عاماً ومحرر صحيفة **الراية**، وهي الصحيفة الوحيدة التي تصدر بالعربية والإنجليزية في فيلادلفيا، إلى الضرب والخنق من قبل بضعة رجال. ويقول دباس إن أحد الرجال سأله أولاً عما إذا كان هو محرر **الراية**. وعندما رد بالايجاب. "ضربه الرجال حتى فقد الوعي، وتركوه بعد أن سببوا له كسراً في الجمجمة، وجرحاً بليغاً تحت إحدى عينيه، ونزيفاً من الأذنين". (ليرنر ١٩٨٦، ٢١). ويشير تقرير آخر إلى أن دباس "قارب الموت ضرباً، وقد أمضى بضعة أيام في العناية المركزة وهو يعاني من قطعة دم متجمدة في الدماغ، وكسر في الجمجمة و ١٧ غرزة لخياطة الجروح ومضاعفات أخرى". ٢٦

كان دباس، وهو مهاجر من سوريا، قد تعرض لمضايقات من قبل، إلا أنها لم تكن بمستوى الاعتداء الذي استهدفه شخصياً. ٢٧ وفي عاصمة البلاد، وقبل ذلك بعشرة أيام (٧ كانون٢ ١٩٨٦)، "أُرغم اثنان من أعضاء اللجنة العربية لمكافحة التمييز ADC على الانحراف عن الطريق أثناء عودتهما إلى منزلهما من قبل سيارة غادرتها مسرعة بعد ذلك". بعد ذلك بيومين، في ميلواكي، أطلق مسلحون النار على رأس بقال فلسطيني ولم يأخذوا أية

---

٢٤ . في مقابلة أجريت في شهر كانون٢ ١٩٨٦ رد أولفر ب. ريفل، المدير المساعد لمكتب التحقيق الفدرالي، الاتهامات القائلة بأن العقيد القذافي أرسل ارهابيين للقيام بأعمال انتحارية في شوارع الولايات المتحدة ووصفها بأنها "تلفيق كامل". ومن المعروف أن الإرهابيين الذين تدربوا في خارج البلاد يعيشون هنا (واشنطن بوست ٢٧ آذار ١٩٨٩) وقد كرر ريفل التصريح نفسه في مناسبات أخرى.

٢٥ . أنظر أيضاً نقاش نعوم تشومسكي الرائع حول تجريم ليبيا في إدارة ريغان .

٢٦ . ريهاوي (١٩٨٦). كانت ريهاوي نفسها قد واجهت تهديدات متكررة بالقتل، مما أرغمها على الاستقالة من عملها كمنسقة محلية للجمعية العربية لمكافحة التمييز في مدينة نيويورك.

٢٧ . عاملت شرطة فيلادلفيا الحادثة بصفتها حادثه سطو "لكن دباس ادعى أن شيئاً لم يسرق منه وقد أصر قائلاً. هوجمت لأنني لسان حال الجالية العربية هنا. في عام ١٩٧٥، وهو العام الذي تلا بداية عمل دباس في الطباعة، تعرضت آلاته للتخريب والسرقة في مناسبتين من قبل عصبة الدفاع اليهودية، على ما يبدو، التي تبجحت بالسرقة في صحف فيلادلفيا (ليرنر ١٩٨٦، ٢١).

نقود.٢٨

في أواخر كانون٢، كان القلق ما يزال متصاعداً في صفوف الأمريكيين العرب. وقد لفت الشعور السائد انتباه مجلة **نيوزويك** التي لاحظت أن "العداوة تنمو مع كل موجة إرهابية جديدة تقع وراء البحار". ٢٩ في ٢١ كانون٢ وفي مدينة فلنت بولاية مشيغان، أوقف ثلاثة أمريكيين عرب، رجلان وامرأة، في فندق حياة ريجنسي عندما أبلغ مستخدم الشرطة المحلية بأن الثلاثة جزء من "فريق ضارب يعود للقذافي". وتشير رواية إخبارية إلى أن "الثلاثة، وهم جميعاً مواطنون أمريكيون، قالوا إن الشرطة اعتدت عليهم بالكلام ورفضت إيضاح التهم". وأخبر الرجلان اللجنة العربية لمكافحة التمييز، التي تتخذ من وأشنطن مقراً لها، بأنهما ضربا من قبل حراس السجن: وذكر أن أحد الرجلين كُسرت قدمه وتركت دون علاج حتى الصباح.٣٠

كما تعرضت المساجد في كاليفورنيا للتخريب في أواخر كانون٢. وزعم أن طالباً ليبياً في ميلواكي تعرض للمضايقة من قبل مكتب التحقيق الفدرالي (FBI) ودائرة الهجرة والجنسية (INS) بسبب جنسيته. وقد تلقى ناشطو الجالية الأمريكية العربية، في جميع أنحاء البلاد، التهديدات والمكالمات الهاتفية البذيئة. (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٦٤ ـ ٦٦).

خلال هذه الفترة المشحونة بالتوتر، عرض تلفزيون NBC في ٩ شباط ووسط ضجة إعلامية عظمى، فيلم **تحت الحصار** وهو فيلم منتج للتلفزيون حول جماعة إرهابية أجنبية (القصد: "عربية") تشرع في حملة قتل عشوائية في عاصمة البلاد. ومما أثار فزع الجالية الأمريكية العربية الكبيرة في مشيغان، أن زعيم الجماعة الوهمية عثر عليه مختبئاً في حي تقطنه غالبية من اللبنانيين الشيعة في مدينة ديربورن بولاية مشيغان. ولم يرق الأمر للأمريكيين العرب في جميع أنحاء البلاد، فأمطروا محطات التلفزة المحلية بالاحتجاجات الغاضبة.٣١ وكان مصدر غضبهم أنهم كانوا ضحايا للإرهاب على أرض الولايات المتحدة وليسوا مرتكبيه كما أرادت صناعة التسلية وموظفون معينون في الحكومة أن يحملوا الجمهور على تصديقه.٣٢

٢٨ . وجدت الحادثة لدى فريدمان ١٩٨٦؛ وأورد شيدلوفسكي حادثة ميلواكي (١٩٨٦).

٢٩ . "تحطيم العرب في أمريكا"، ٢٠نيوزويك كانون٢ ١٩٨٦.

٣٠ . هندلي ١٩٨٧/أ. التقرير الإخباري يستند على معلومة مستلة من الجرد السنوي للمضايقات المعادية للعرب الذي تصدره اللجنة العربية لمكافحة التمييز المتخذة من واشنطن مقراً (ريباوي ١٩٨٦).

٣١ . تشير قصص إخبارية في صحف عبر البلاد إلى مدى الغضب الأمريكي العربي.

٣٢ . في شهادته أمام اللجنة الفرعية للكونغرس لخص ميرفن ديهالي، نائب كاليفورنيا، مدى "الإرهاب العربي" الذي يقال إنه حل في البلاد: لدينا صورة عن الجماعات العربية وهي منهمكة بأعمال سيئة في الولايات المتحدة . . . وطبقاً لإحصاءات مكتب التحقيق الفدرالي فإنه لا توجد هناك أعمال إرهابية ارتكبت من قبل جماعات عربية ضد جماعات أخرى غير عربية أو ضد أفراد في الولايات المتحدة في الفترة التي غطتها سجلات المكتب ما بين ١٩٧٧ و ١٩٨٥. وأضاف بأنه كانت هناك بضعة من "أعمال عنف ضمن الجالية الأمريكية العربية". وقد تضمنت "اعتصاماً في سفارة العربية السعودية" وهجمات بين مواطنين ليبيين من مؤيدي ومعارضي القذافي. وهي غير الصورة المألوفة لدى الجمهور عن الإرهاب العربي (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٩٠).

بعد يومين من عرض فيلم **تحت الحصار**، قام عدد من زعماء أمريكيين عرب، بصحبة أرملة أليكس عودة وشقيقه، بالمثول وفق ترتيب مسبق أمام لجنة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة حيث طالبوا بإجراء تحقيق حول النماذج النمطية الضارة في وسائل الإعلام، كما طالبوا بأن يشمل التحقيق المضاعفات والتمييز والعنف الموجه ضد الأمريكيين العرب. وقد خطأ الشهود من الأمريكيين العرب وسائل الإعلام والتسلية والجماعات اليهودية والسياسيين والوكالات الحكومية. وقد اتهم جيمس أبو رزق، وهو سناتور سابق من ساوث داكوتا، الرئيس ريغان بتضخيم النماذج النمطية المعادية للعرب، مشيراً إلى أن الرئيس بتصريحاته حول الإرهاب "خلق أجواء كاوبوي، معادية للعرب" (ثورنتون ١٩٨٦). ٣٣

في آذار ونيسان ١٩٨٦، تصاعدت التوترات العربية الأمريكية في الشرق الأوسط إلى درجة لم تصلها من قبل. ففي ٢٥ و ٢٦ آذار، هاجمت بحرية الولايات المتحدة أربع سفن ليبية في خليج سدرة محطمة اثنتين منها، وقد ترك الذين نجوا من القصف للموت. كما شنت طائرات الولايات المتحدة غارات على البر الليبي متوغلة إلى مسافة ثمانية أميال داخل الأجواء الليبية. وقد خلفت الغارات حوالى خمسين قتيلاً من الليبيين دون أن تلحق أية خسائر بالأمريكيين. وقد فشل الهجوم في إثارة هجوم ليبي مضاد أو إطلاق الإرهاب ضد المدنيين من مواطني الولايات المتحدة، وهو الهدف الواضح الذي توخاه، حسب رأي بعض المراقبين المطلعين. ويشير نوام تشومسكي إلى أن "عملية خليج سدرة . . . كانت ذات توقيت محدد بشكل واضح لإثارة الهستيريا الشوفينية قبيل تصويت مجلس الشيوخ الحاسم حول مساعدة الكونترا، وقد تزامنت مع "غزو" ملفق لهندوراس من قبل نيكاراغوا" (١٩٨٦، ٤٢ ـ ١٤٥). ويضيف هيرش بأن "فشل القذافي في ابتلاع الطعم أحنق موظفي مجلس الأمن القومي". فقد ظل السؤال الأساسي بالنسبة للمساعدين في مجلس الأمن القومي هو: كيف نقنع الرئيس الممانع بأن القصف كان ضرورياً" (١٩٨٧، ٧٤).

في مطلع نيسان، انفجرت قنابل وضعها إرهابيون مجهولون على متن طائرة TWA المتجهة من روما إلى أثينا (٢ نيسان) وفي نادٍ ليلي ببرلين الغربية (٥ نيسان) متسببة في مقتل مواطن أمريكي في كل من الحادثين من مجموع خمسة قتلى وعشرات الجرحى. وكان غالبية رواد النادي الليلي من الجنود الأمريكيين الأفارقة والمهاجرين من العالم الثالث مما يجعله هدفاً غير محتمل لهجوم ليبي. في خطاب متلفز بث على مستوى الأمة دعا الرئيس ريغان العقيد القذافي بـ "كلب الشرق الأوسط المجنون" ثم أقسم على الاقتصاص إذا ما أظهرت الأدلة تورط ليبيا بعمليات وضع القنابل. ٣٤ بعد

٣٣ أنظر أيضاً "دعوة الأمريكيين العرب للتحقيق الكامل بانتهاكات الحقوق" تقرير داخلي للجنة مكافحة التمييز، آذار ١٩٨٦؛ وجيمس زغبي "تصريح هيئة الولايات المتحدة عن الحقوق المدنية"، إصدارات ٨٦، واشنطن دي سي؛ المعهد العربي الأمريكي، آذار ١٩٨٦.

٣٤ . ادعى ريغان فيما بعد بأن لديه دليلاً "مباشراً" و "دقيقاً" "وغير قابل للدحض" يربط ليبيا بحادث ديسكو لا بيل. والواقع، كما يشير تشومسكي، لم يكن هنالك أبداً أي اثبات لتورط ليبيا: في مقابلة أجريت في ٢٨ نيسان مع مراسل لمجلة الجيش الأمريكي (نجوم وأشرطة) ذكر مانفريد غانشو،

ذلك باسبوع (١٤ نيسان) قامت طائرات مقاتلة تابعة للولايات المتحدة بقصف ليبيا رداً على تواطؤ القذافي المزعوم في قصف الديسكو في برلين الغربية. في مجال التعليق على الهجوم، يلاحظ تشومسكي:

كان هجوم ١٤ نيسان أول قصف في التاريخ يتم إخراجه للتلفزيون. فالسجلات التي نشرت لاحقاً تظهر أن غارات القصف قد وقتت بحيث تبدأ في تمام الساعة السابعة مساء بتوقيت شرق الولايات المتحدة (نيويورك تايمز، ١٨ نيسان، ١٩٨٦) أي في نفس اللحظة التي تبث بها قنوات التلفزيون الوطنية الثلاث برامجها الإخبارية الرئيسية التي قوطعت، بالطبع، لكي ينتقل مقدموها المنفعلون إلى طرابلس ليقدموا تقارير شهود العيان على الأحداث المثيرة. (١٩٨٦، ١٤٧)

بعد يومين من الهجوم في خليج سدرة، أثار جول ليسكر، المستشار الرئيس للجنة التشريعة الفرعية حول الأمن والإرهاب في مجلس الشيوخ، احتمال وجود إرهابيين من الشرق الأوسط يقيمون في الولايات المتحدة حين قال: "لديكم طاقم من الأفراد ذوي العلاقة بالشرق الأوسط، بعضهم مواطنون أمريكيون، والبعض الآخر من حملة "البطاقة الخضراء" [مقيمون دائمون] ممن تدربوا في الشرق الأوسط منذ أن جاؤوا إلى هنا. "ويحمل تحذير ليسكر شبهاً غريباً بادعاءات الحكومة عند توقيف سبعة من العرب وكيني واحد في لوس أنجلوس بعد ذلك بحوالى تسعة أشهر (سوف يتم التطرق إلى ذلك لاحقاً). كما أضاف ليسكر بأن الدول الراديكالية مثل ليبيا وسوريا وإيران "يمكن أن تدعو أياً من مواطنيها في الولايات المتحدة للعمل حسب ما يقتضيه التضامن... مع القومية العربية أو المشاعر المعادية للولايات المتحدة، بسبب ما يحدث في خليج سدرة، (ماكاسلن ١٩٨٦). وبعد ذلك بعشرة أيام (٢٨ نيسان) أعلن أدوين ميز، المدعي العام، أنه سيدرس القضية (أنظر لاحقاً).

مع وجود جو العدوانية الذي ساد خلال شهري آذار ونيسان ١٩٨٦ والأجواء السابقة للعنف الموجه ضد العرب في البلاد، أصبح من المحتمل جداً أن تبدأ الهجمات والتهديدات المعادية للعرب من جديد. وقد كان هذا ما حدث بالفعل. ففي ليلة الغارة الأمريكية، تلقى مقر اللجنة العربية لمكافحة التمييز في واشنطن مكالمات تهديدية تمت فيها الإشارة إلى الليبيين. وفي ديربورن بمشيغان، أوقف عدد من الأشخاص لتخريبهم متاجر ومنازل تعود لأمريكيين عرب، إضافة إلى مركز الجالية العربية. وتلقى مقر اللجنة في ديترويت تهديدات بالضرب بالقنابل. كما تلقى مركز الجالية العربية في ديربورن، والجريدة الأمريكية العربية المحلية تهديدات مماثلة وهو الأمر الذي أصبح حدثاً روتينياً أثناء تصاعد التوتر في الشرق الأوسط[٣٥]

= رئيس الفريق المكون من ١٠٠ رجل الذي تولى التحقيق في تفجير الديسكو "ليس لدي من الأدلة على علاقة ليبيا بالتفجير الآن أكثر مما كان لدي عندما اتصلت بي بعد الحادث بيومين، أي لا شيء". (١٩٨٦، ٤٩ ـ ١٥٠).

٣٥ . خلال اختطاف أشيلي لاورو في ١٩٨٥، مثلاً، اتصل شخص بالمركز الإسلامي في هيوستن مهدداً بأن "مقابل كل أمريكي يقتل، سيموت عشرة منكم... يا خنازير". في مطلع عام ١٩٨٦،

قبل القصف الأمريكي بيومين، كان خمسة طلاب عرب من جامعة سيراكوز، في نيويورك قد "ضربوا من قبل عصابة من الأمريكيين" في أحد البارات ضمن اندلاع مشاعر العداء الموجهة ضد العرب. وقد أوشك أحد الطلاب أن يفقد عينة. تم التبليغ عن هجمات مشابهة في ديترويت، ونيوهيفن، وكونكتيكت، في "صحيفة تدوين المضايقات والعنف" التي أعدتها اللجنة العربية لمكافحة التمييز. (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٦٧ ـ ٦٩). تشير الملاحظة الختامية في الفقرة المتعلقة بديترويت من الصحيفة إلى :

> لقد وقعت حوادث كثيرة لم يتم ابلاغ اللجنة عنها ، إنما تم التبلغ عنها لدى الشرطة فقط . وقد ذكرت شرطة ديربورن في التلفزيون بأن هناك عدداً أكثر من المعتاد من حوادث الهجوم المعادية للعرب. وقد رجا مدير مكتب التحقيقات الفدرالي في ديترويت المدير والتون الجمهور عدم توجيه عداوته إلى العرب الساكنين في ديترويت حيث لادخل لهم بالأزمة الراهنة. (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٦٩ أنظر أيضاً كامبل ١٩٨٦، وهام ١٩٨٦).٣٦

ربما كان أبرز هجوم معاد للعرب خلال تلك الفترة هو ذلك الذي وقع في ضاحية ويستلاند بمدينة ديترويت. فقد تم اقتحام بيت عائلة فلسطينية مهاجرة بعد مضي وقت قصير على قصف ليبيا في ١٤ نيسان. وقد قذفت قنبلة دخان إلى داخل المنزل وكتبت على أحد الجدران كلمات تقول "عودوا إلى ليبيا" . هربت العائلة مذعورة بعد أن اتصلت بالشرطة. وبالرغم من أن العائلة التي تنتمي إلى الطبقة العاملة لم تمارس نشاطاً سياسياً، فإنها كانت قد تعرضت لأعمال تخريب في السابق. فقد ذكرت الأم لأحد المندوبين الصحفيين أن بيتهم كان قد اقتحم وأضرمت النار في إحدى غرف النوم فيه في السنة السابقة (١٩٨٥).

> تعرضت النافذة الأمامية للرمي بالرصاص في مناسبات عديدة، وقد سرق صندوق بريدها ولطخت سيارة الأسرة بالبيض وكتبت عليها شعارات تدور حول موضوع "عودوا إلى أوطانكم يا عرب" . وطلب منها ابنها البالغ ست سنوات من العمر أن تغير اسمه إلى اسم آخر ذي وقع أكثر "أمريكية" ، ورجاها ألاّ تكلمة بالعربية خارج المنزل وألاّ ترسل معه إلى المدرسة الخبز البلدي. وقد أطلق عليه زملاؤه في الصف اسم "راكب الجمل" و "شقيق القذافي" . (ليريز ١٩٨٦، ٢٤).

= عندما كان يجري بث فقرات الدعاية لفيلم "تحت الحصار" الذي انتجته الـ NBC ، اتصل شخص آخر بالمركز نفسه مهدداً بقوله: "عودوا إلى بلادكم وإلا فستموتون" (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٦، ٢٠٢)، وقد تكرر الحال نفسه في أماكن أخرى.

٣٦ . في تقرير آخر، وجدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز أن: ما يقرب من ٤٠٪ من جميع حوادث المضايقة والعنف الموجه ضد العرب التي أبلغ عنها إلى المكتب الوطني عام ١٩٨٦ كانت تعزى مباشرة إلى زيادة التوتر المتعلق بقيام الولايات المتحدة بقصف ليبيا في نيسان ١٩٨٦. وقد شملت الحوادث أعمال تخريب وتهديدات بالعنف. (اللجنة العربية لمكافحة التمييز ١٩٨٧، ٢٩).

تعتبر الحادثة المؤلمة والمسرحية معاً التي وقعت على متن رحلة طائرة الدلتا رقم ١٣٦ المغادرة من فورت لودرديل إلى بوسطن في الأول من أيار ١٩٨٦ مقياساً آخر لقياس مستوى الهستيريا المعادية للعرب التي أعقبت الغارة الأمريكية على ليبيا. كانت ريا ج. سيمون، وهي أمريكية عربية في الثالثة والعشرين من عمرها، تقرأ كتاباً بعنوان "فلسطين ليست في الأردن" في المساحة المجاورة للبوابة. ثم استأنفت قراءة الكتاب بعد أن صعدت الطائرة. بعد ذلك بعشر دقائق، تقدم نحوها موظف تابع للخطوط الجوية وطلب منها أن تغادر الطائرة معه. في الطريق أخبرت بأن "أحد المسافرين أعرب عن قلقه من الكتاب" الذي كانت تقرأه. بعد تقليب الكتاب طلب منها الموظف أن "تتخلص منه" مضيفاً بأن موضوعه "يعتبر موضوعاً حساساً في المطارات". ويبدو أن مسافراً قلقاً قد أصر على الحصول على ضمانات بأن سيمون لم تكن إرهابية. "كما أنه أخبر الدلتا بأنه كان يخشى أن يكون الكتاب حول العقيد معمر القذافي" (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٤٥ ـ ١٤٦ من كتاب هنتون ١٩٨٦). وكون سيمون لم تفتش يشير إلى أن التهديد الذي مثلته قد بدا ضئيلاً جداً بالنسبة لسلامة الطائرة.

لم تكن تجربة سيمون حالة فريدة. فقد أشار أحد مدراء العلاقات العامة في الخطوط الجوية، ويدعى ريتشارد جوتز إلى أن "مجموعة من المسافرين على متن طائرة الـ دلتا قد تمت ملاحظتهم مؤخراً لأن لهم مظهراً شرق أوسطياً". كما أقرت الشركة بأنها أخلت إحدى الطائرات لأن شخصاً ذا مظهر إسباني كان من بين الركاب. وبنفس الطريقة، "أقر أحد ضباط الأمن في مطار فيلادلفيا الدولي بأن المسافرين ذوي المظهر العربي كانوا يستوقفون ويفتشون بشكل روتيني". وعلى نحو أعم، أظهر تدقيق أجرته اللجنة العربية لمكافحة التمييز بأن إدارة الطيران الاتحادي (FAA) اعترفت بأنها "استلمت شكاوى عديدة من أمريكيين عرب زعموا بأنهم تعرضوا لممارسات تمييزية قام بعضها على أسس عرقية" (اللجنة العربية لمكافحة التمييز ١٩٨٦، ٣٢).

ظل التوتر عالياً لأسابيع عدة أعقبت الهجوم على ليبيا في الرابع عشر من نيسان كما يظهر ذلك من التطورات التالية:

١٧ نيسان. قتل مسلحون في بيروت ثلاثة من الرهائن (بريطانيين وأمريكي واحد) رداً على الغارة الأمريكية على ليبيا.

١٨ نيسان. أجلي حوالى ٣٠٠ شخصاً من أسر موظفي السفارة الأمريكية وبعض الموظفين غير المهمين من السودان بسبب القلق على سلامتهم في أعقاب جرح أحد موظفي السفارة في العاصمة الخرطوم.

٢٣ نيسان. أعلن الرئيس ريغان استعداده لاستخدام القوة ضد سوريا أو إيران إذا قدم إليه دليل قوي على أن أياً منهما قد ساندت الإرهاب ضد مواطني الولايات المتحدة.

٢٤ نيسان. نقلت وكالة أنباء ABC عن تخمينات استخبارية، لوزارة الخارجية الأمريكية، ادعت أن القذافي أصبح الآن "أكثر خطورة" مما كان علية قبل

القصف الأمريكي، وأن الزعيم الليبي يسعى إلى "ثأر شخصي" من الرئيس ريغان عن موت ابنته وجرح اثنين من أبنائه.

٢٥ نيسان. قال المرشح الرئاسي الديمقراطي السابق والترمونديل أن على الولايات المتحدة أن تدين القذافي وتضع مكافأة لمن يقبض عليه إذا أثبتت الدلائل علاقته بمقتل مواطنين من الولايات المتحدة.

٢٦ نيسان. أطلق مسلحون النار على آرثر ل. بوليك، ضابط الاتصالات الأمريكي في سفارة الولايات المتحدة في اليمن الشمالية، وأصابوه بجراح. في الوقت نفسه، أبلغ الأمين العام لمجلس الروابط الإسلامية في الولايات المتحدة في باسيفيكا بولاية كاليفورنيا عن تلقيه عدة "مكالمات هاتفية تهديدية يسأل فيها أصحابها" هل هذه هي لجنة الارهابي الشيعي؟ لماذا تقتلون الأولاد الأمريكيين في بيروت؟ لماذا لا تعود إلى هناك بصحبة قنبلة في سيارة؟"

٢٧ نيسان قذف حجر على الزعيم المسلم عندما كان يشتغل في سيارته الواقفة في الموقف وقد تحطمت إحدى نوافذ السيارة (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٦٨).

٢٨ نيسان. قال المدعي العام ميز أنه سوف يبحث مع دائرة الهجرة والجنسية ومكتب التحقيق الفدرالي ما إذا كان يتوجب تخفيض عدد المواطنين الليبيين الموجودين في الولايات المتحدة للتقليل من احتمالات النشاط الإرهابي المحلي.[37]

من الصعب قياس مقدار الهستيريا المعادية للعرب التي أججت أحداث القتل المأساوية التي وقعت في فيلادلفيا في الشهر التالي.

ففي ٢٧ أيار ١٩٨٦، قتل الدكتور اسماعيل الفاروقي، ٦١ عاماً، وزوجتة لواز لميا، ٦٠ عاماً، بشكل وحشي في منزلهما الواقع في ضواحي فيلادلفيا. كما أصيبت ابنتهما الحامل إصابة بالغة، إلا أنها نجت بحياتها من هجوم المسلح المفرد الذي استخدم السكين في جريمته. وكان الزوجان الفاروقي من المثقفين الإسلاميين ذوي الشهرة الدولية. إضافة إلى ذلك، فإن اسماعيل الفاروقي، وهو فلسطيني شغل منصب آخر حاكم عربي لمدينة الجليل عام ١٩٤٨، كان أيضاً من نقاد اسرائيل الجريئين. وبالرغم من أن شخصاً قد اعتقل لاحقاً لعلاقته بجريمة القتل، فإن دوافع القاتل المزعوم ظلت محاطة بالغموض، باستثناء تأكيده على أن "أصواتاً" طلبت منه أن يقتل اسمياعيل الفاروقي. ليس من المؤكد وجود علاقة بين هذه الحادثة والمناخ السياسي السائد في ذلك الوقت. إلا أن "مصادر مقربة من التحقيق" أشارت في حينه إلى أن "آراء الدكتور الفاروقي في السياسة والدين كانت . . . تعتبر أسباباً محتملة للقتل".[38]

٣٧ . تسلسل زمني، تقرير واشنطن عن شؤون الشرق الأوسط. ١٩ أيار ١٩٨٦.

٣٨ . "جلسات استماع الكونغرس حول العنف المعادي للعرب" التقرير الخاص للجنة العربية لمكافحة التمييز ٩ آب ١٩٨٦. يقوم بعض الجدل حول مدى الظهور السياسي للفاروقي. فقد عبر عن وجهات نظر قوية ضد إسرائيل في مقالة نشرت عام ١٩٨٣ ("الإسلام والصهيونية" في أصوات بعث الإسلام، تحرير جون ل. اسبوزيتو، نيويورك؛ مطبعة جامعة أوكسفورد). ثم نشر مقاطع من المقالة في تقرير =

وقد أثارت الطبيعة الوحشية والمباغتة لجريمة القتل هذه، والوقت الذي وقعت فيه، الخوف في صفوف الجالية الأمريكية العربية في جميع أنحاءالبلاد.٣٩ بعد ذلك بعدة أسابيع، في ١٧حزيران، دمر حريق غامض مكاتب "النداء الفلسطيني المتحد" (UPA) وهي ثاني منظمة أمريكية عربية في عاصمة البلاد تستهدف خلال ستة أشهر. وقد تسبب الحريق في إلحاق أضرار زادت قيمتها عن ٦٠ ألف دولار. وقد قررت الشرطة أن الحريق كان متعمداً، إلاّ أنها أضافت جملة غريبة تقول "لا توجد أدلة تشير أن النار قد أضرمت من قبل إرهابيين".٤٠ وقد وجه الاتهام لاحقاً إلى مالك سابق للبناية، إلا أن دوافعه الفعلية لم تثبت أبداً. وأخبر مدير النداء الفلسطيني المتحدة بشارة بحباح جريدة الواشنطن بوست "إننا لا نستطيع إلا أن نفكر بأن الدافع لإضرام النار يتعلق بحقيقة كوننا فلسطينيين، إلا أننا لا نعرف.٤١

دفعت المضايقات والعنف المتصاعد خلال الشهور الاثني عشر السابقة ابتداءً من اختطاف طائرة TWA في حزيران ١٩٨٥، عضو الكونغرس جون كونيرز (من ديترويت، مشيغان)، رئيس اللجنة الفرعية حول الادانة الجرمية في الكونغرس، إلى عقد جلسات استماع حول العنف الموجه ضد العرب، وهي الجلسات الأولى من نوعها. وكان جزء من الدافع وراء تلك الجلسات مذكرة داخلية في الخدمة السرية تكشف أن التحقيق في مقتل أليكس عودة "قد فشل في تحديد الجاني ..." ولذلك فإن "مكتب التحقيق الفدرالي علق التحقيق في هذه القضية لعدم توفر القرائن التحقيقية".٤٢ وقد صعدت الوثيقة القلق بين صفوف الجالية الأمريكية العربية وتعالت الأصوات مطالبة بجلسات استماع في الكونغرس من أجل "إدخال مكتب التحقيق الفدرالي إلى العالم الحقيقي الذي يلقى فيه القبض على المجرمين والقتلة"، حسب ما ذكره عضو الكونغرس كونيرز. (شيا ١٩٨٦).

= الشرق الأوسط (٢٧ كانون٢ ١٩٨٤)، وهي لسان حال لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية، أهم تجمع موالٍ لإسرائيل في الولايات المتحدة. وقد ذكر صديق قديم للفاروقي أن آراء الفاروقي حول النزاع العربي الإسرائيلي أثارت تهديدات بالقتل من أشخاص ادعوا أنهم يمثلون عصبة الدفاع اليهودية ("قتلة الفاروقي". تقرير اللجنة العربية لمكافحة التمييز، واشنطن ١٩٨٦، ٧). في حين أكد الباحث رالف برايبانتي أن الفاروقي "لم يكن منخرطاً بنشاط في السياسة أو الدبلوماسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية. "فقد أكد في عمله ...على تدريس الإسلام، وتنظيم الهياكل المؤسسة لذلك التعليم وتشجيع الطلاب في كل مكان". (تقرير واشنطن عن شؤون الشرق الأوسط، ١١ آب١٩٨٦)

٣٩ . هناك حقيقة غير معروفة جيداً وهي أن ابن الفاروقي، الذي كان يخدم في الجيش الأمريكي في نيومكسيكو، "مات ميتة غامضة في حادث سيارة ربط، [على نحو غريب] في ذلك الحين، بينه وبين تسمم غذائي "قبل مقتل والديه بأسابيع. (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٢٠٢)

٤٠ . "جريمة حريق تصيب مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بأضرار في دي سي"، واشنطن بوست ١٨ حزيران ١٩٨٦.

٤١ . "جريمة حريق تصيب مكتب منظمة التحرير الفلسطينية.." واشنطن بوست، قارن تقرير اللجنة العربية لمكافحة التمييز الداخلي، تموز ١٩٨٦، ٣٢.

٤٢ . تم الحصول على الوثيقة المؤرخة في ٧ كانون٢ ١٩٨٦ بوساطة طرف ثالث بموجب طلب حسب قانون حرية المعلومات.

انعقدت جلسة الاستماع في ١٦تموز ١٩٨ . واستمعت اللجنة الفرعية للإدانة الجرمية إلى شهادات ما يزيد على أثني عشر شاهداً من بينهم أرملة أليكس عودة، وعدد من الضحايا، وثلاثة من أعضاء الكونغرس، وسناتور أمريكي سابق، وموظف في مكتب التحقيق الفدرالي وممثلان عن اللجنة اليهودية الأمريكية (AJC).٤٣ وقد لخصت نورما عودة إحباطات الأمريكيين العرب عندما أخبرت اللجنة الفرعية "في الوقت الذي تلاحق فية حكومتنا الإرهابين عبر العالم، تبدو عاجزة بوجه الإرهاب المحلي الموجه ضد العرب الأمريكيين" . (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٦ ـ ١٠٧).٤٤

كانت أشد الأسئلة هي التي وجهت في الجلسة التي استغرقت اليوم بطوله إلى أوليفر ريفيل، مساعد المدير التنفيذي لمكتب التحقيق الفدرالي، الذي أصر على أن وكالته لم تنه التحقيق في مقتل عودة، مدعياً بأنه "التحقيق الأكثر أولوية في برنامجنا المحلي لمكافحة الإرهاب، وسوف يظل كذلك لحين حل لغزه" . ثم أضاف ريفيل الحقيقة المدهشة بأن تحقيق المكتب "يمتد إلى ما وراء حدود الولايات المتحدة" . (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ١١)٤٥ وقد اهتم بموضوع أداء المكتب عضو الكونغرس من ولاية كاليفورنيا ميرفين ديمالي. فقد لاحظ ديمالي في شهادته أمام اللجنة الفرعية:

> إن سجلات مكتب التحقيق الفدرالي تظهر بأن غالبية الأحداث الإرهابية المسجلة والتي ارتكبت ضد العرب الامريكيين قد تم تتبعها إلى حيث تنتهي عند جماعة متطرفة واحدة. ولم أستطع أن أجد أي سجل لإعتقال أحد في أي من الحوادث الإرهابية ضد العرب الأمريكيين والبعثات الدبلوماسية العربية. (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٩١)

ردد رئيس اللجنة العربية لمكافحة الإرهاب جيمس أبو رزق ملاحظات ديمالي قائلاً: "رغم التأكيدات التي قدمها مكتب التحقيق الفدرالي بأن هذه القضايا تعتبر ذات أولوية قصوى، فإن أحداً من الجناة المسؤولين عن القاء القنابل أو التحرش أو العنف لم يتم توقيفه أو إدانته حتى الآن" . (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٥٧). بحلول

---

٤٣ . أعضاء الكونغرس المعنيين هم: نِك راحال الثاني (وِست فرجينيا). ميري روز أوكار (أوهايو) وميرفن ديمالي، كاليفورنيا.

٤٤ . الاشارة إلى اعتراض البحرية الأمريكية في ١٠ تشرين١ ١٩٨٥ طائرة مصرية تحمل أربعة فلسطينين اشتبه بأنهم مختطفي باخرة أشيلي لاورو. وقد عزف جيمس زغبي، مدير المعهد العربي الأمريكي، على وتر مشابه حين قال:
"كلما حرر بقال فلسطيني في ديربورن شيكاً لمنظمة التحرير ازدحم المكان برجال مكتب التحقيق الفدرالي . . . لماذا لم يمسك المكتب بالإرهابيين اليهود؟" (ورد لدى فريدمان ١٩٨٦).

٤٥ . استناداً إلى معلومات مستقاة من أعضاء سابقين في عصبة الدفاع اليهودية، ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز في ١٧ تموز:
"استجوبت شرطة وضباط شين بيت/ الشرطة السرية الإسرائيلية ـ بناء على طلب مكتب التحقيق الفدرالي ـ إثني عشر شخصاً في إسرائيل حول التفجيرات (ورد في "جلسات استماع الكونغرس حول العنف المعادي للعرب "التقرير الخاص للجنة العربية لمكافحة التميز، واشنطن، آب ١٩٨٦).

كانون الثاني ١٩٨٧، بلغ الشعور بالإحباط من عدم وجود أي تقدم في قضية عودة، التي كان قد مر عليها آنذاك عامان، حداً حمل اللجنة العربية لمكافحة التمييز على تقديم مكافأة مقدارها ١٠٠ ألف دولار لأية معلومة تؤدي إلى توقيف وإدانة المسؤولين عن مقتل أليكس عودة.٤٦ وقد ظل التحقيق مفتوحاً.٤٧

مصادر العنصرية وعنف الكراهية ضد العرب

تكشف مراجعه العنصرية وعنف الكراهية ضد العرب عن عدد من الملامح البارزة. أولها أن الأمريكيين العرب، والمسلمين وغيرهم من الشرق أوسطيين كانوا ضحايا لعنف ناجم عن الكراهية ظل، في أغلب وجوهه، غير مذكور في الدراسات التي وضعت حول الموضوع والتي تمت الإشارة إليها آنفاً (لوتز ١٩٨٧ : ADL ١٩٨٧، ١٩٨٨). ففي الفترة ما بين شهري آذار ١٩٨٥ وحزيران ١٩٨٦ وحدها، وهي الفترة التي وثقتها "سجلات المضايقات" التي نشرتها اللجنة العربية لمكافحة التمييز والتي قدمتها إلى جلسات الاستماع التي عقدها الكونغرس، تعرض الامريكيون العرب، والمسلمون إلى: أربعة حوادث لتفجير القنابل (من بينها واحد ضد مسجد والآخر ضد كنيسة أرثوذوكسية): وأربعة حوادث إشعال حريق، وثلاث وفيات، وعشر حالات للإصابة البدنية الخطيرة وسبع إصابات أخرى، وخمسة عشر حادث تخريب ممتلكات (ستة منها ضد زعماء مسلمين وأماكن للعبادة): وخمس شكاوى من مضايقات (اثنتان ضد سلطات قانونية) وحادث اقتحام منزل واحد على الأقل (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨ ٦١ ـ ٧٠) من المهم التأكيد على أن هذه الحالات تمثل فقط تلك التي أحيطت بها اللجنة علماً، وأن كثيراً غيرها، قد تكون أقل منها دراميه، لم يبلغ عنها. وعلى الرغم من أن هذه الأحداث قد تمثل فترة الذروة في تصاعد العنصرية

---

٤٦ . أعلن عن الجائزة من قبل اللجنة العربية لمكافحة التمييز (جبارة ١٩٨٧).

٤٧ . في مطلع عام ١٩٨٩، كانت السلطات الفدرالية تستعد لمحاكمة رجل قيل إنه "مشبوه رئيسي" في مقتل عودة وتهم أخرى. وكان المتهم، روبرت ماننغ، قد التجأ بصحبة مشبوهين آخرين من إرهابيي عصبة الدفاع اليهودية إلى مستوطنه كبريات أربع في الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل (ديترويت جويش نيوز، ٦ كانون٢ ١٩٨٩). وقد سلم ماننغ للولايات المتحدة في ١٩ تموز ١٩٩٣ ليحاكم عن مقتل باتريشيا ولكرسون، وهي سكريترة من مانهاتن بيتش، كاليفورنيا. وكانت روشيل، زوجة ماننغ، ما تزال تصارع قرار التسليم بالتهمة نفسها في ٩ تشرين١ ١٩٩٣. (أي. دي. سي. تايمز أيلول، ١٩٩٣، ص ٩: جيروزلم بوست، الطبعة الدولية، ٩ تشرين١ ١٩٩٣، ص٣).

كشفت مذكرة داخلية لمكتب التحقيق الفدرالي لعام ١٩٨٧ بأن السلطات الإسرائيلية أعاقت تحقيقاً فدرالياً على مستوى عال في قضية عودة وحوادث تفجيرات عصبة الدفاع اليهودية الأخرى. ذكرت الوثيقة التي حصلت عليها Village Voice / **صوت القرية** بأن "أدلة عديدة قدمت إلى وكالة الاستخبارات الإسرائيلية السرية في واشنطن العاصمة من خلال مقر مكتب التحقيق الفدرالي. وكان الرد على تلك الأدلة مهماً بالنسبة لحل الحوادث الإرهابية الخمس والعشرين وغيرها من النشاط الإجرامي الذي ارتكبته عصبة الدفاع اليهودية" (فريد مان ١٩٨٧/أ) (ورد في "مذكرة مكتب التحقيق الفدرالي: الاسرائيليون يعيقون التحقيق". واشنطن بوست ١٩ تشرين٢ ١٩٨٧).

ضد العرب، من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٦، فإن العنصرية والعنف الناجم عن الكراهية المواجهين ضد العرب، غائبين تماماً في دراسة (لوتز) التي تدعي كونها "أول نظرية وطنية شاملة عن العنف الناجم عن التعصب الشديد تشمل فترة تمتد لعدة سنوات [١٩٨٠ ـ ١٩٨٦] منذ عودة جماعات الحقد إلى الظهور في السبعينات" (المقدمة ١٩٨٧). وينطبق النمط نفسه على الأدبيات الأكاديمية أيضاً. حيث لم يشمل مجلد كامل عن العنف في الولايات المتحدة مثلاً، إلا على إشارة بجملة واحدة مبهمة إلى مقتل أليكس عودة، وقد وردت مجردة من موقعها ضمن إطار العنف الموجة ضد الأمريكيين العرب (تموز ١٩٨٩ ٢٢ ـ ٢٢٣).

المظهر الثاني للعنف الموجه ضد العرب، هو أنه لا يتمشى مع النموذج التقليدي للعنف العنصري المقدم في تقرير مركز التجديد الديمقراطي (CDR) وغيره من التقارير حول العنف. والواقع أن أياً من أحداث العنف ضد العرب وتخريب الملكيات وإشعال الحرائق، وما شاكل ذلك، لم ترتكب من قبل جماعات منظمة سواء كانت مسيحية تفوقية أو نازية جديدة. وهذا لا يعني، بالطبع، أن الأمريكيين العرب والشرق أوسطين يقعون خارج نطاق العنف اليميني الناجم عن الكراهية، إنما يعني أن معظم العنف الموجه ضد الأمريكيين العرب لا يأتي من هذا القطاع. فمعظم حالات العنف الخطيرة، وإن لم تكن جميعها، تأتي، كما رأينا، من الجماعات اليهودية المتطرفة. وعلى الرغم من أن هذه الجماعات تقع على هامش المجتمع، وربما يتوجب أن تصنف بصفتها جزءاً من أنشط وأخطر جماعات الحقد اليمينية، فإن الإشارات التقليدية إلى العنف تهمل الاشارة إليها ضمن هذا الإطار. فليس هناك، مثلاً، سوي إشارة عابرة لعصبة الدفاع اليهودية JDL في دراسة غور (١٩٨٩)، وحتى في هذه الحالة فإن ذكر المنظمة يرد فقط تحت باب "الإرهاب الأمريكي في القضايا الأجنبية" وليس تحت "التطرف اليميني" حيث ينتمي بالفعل.

المظهر الثالث للعنصرية والعنف الموجهين ضد العرب هو أنه، بالتأكيد، ليس مقتصراً على الجماعات الهامشية، بل أنه ينبع، أيضاً، من الموسسات السائدة، وغالباً ما تحركه شوفينية البيت الأبيض. وقد تم التأكيد على هذه النقطة في شهادات عدد من الشهود حول العنف الموجه ضد العرب أدلي بها في جلسات استماع الكونغرس. وقد ألقوا باللوم على وسائل الإعلام والتسلية، وإدارة ريغان، والساسة بشكل عام لقيامهم بخلق ما وصفة جيمس أبو رزق بـ "الجو الذي يؤدي إلى اعتقاد عام بأن العنف في الخارج والعنف المحتمل في الداخل لا يرتكب إلا من قبل العرب" (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٥٦). إلا أن وسائل الإعلام، وهي تتابع بشكل عام، المؤشرات التي تعطيها الإدارة عن الشرق الأوسط والإرهاب الدولي قد مالت، بدافع الإنصاف، إلى أن تقدم، في أغلب الأحوال، صورة متعاطفة مع الأمريكيين العرب وهمومهم في الثمانينات.[٤٨]

٤٨ . هنالك استثناءان يتميزان عن هذا الطرح الخبيث وغير الأمين للأمريكيين العرب بصفتهم إرهابيين، وتجار مخدرات، ومهربي سلاح هما: إيهود يوناي في "منظمة التحرير الفلسطينية السرية =

هناك ميل إلى تقديم العنف الناجم عن الكراهية الموجه ضد العرب بصفته نمواً فرعياً للنزاع العربي الإسرائيلي. كان هذا هو الاتجاه العام الذي ساد جلسات الاستماع التي عقدها الكونغرس حول العنف الناجم عن الكراهية الموجه ضد العرب. فقد جاء في شهادة عضو الكونغرس، ديمالي، أن "الفشل في التفريق بين. . . العرب الأمريكيين . . . وسياسات الدول العربية والأفراد في الشرق الأوسط" قد قاد إلى تحويل الأمريكيين ـ العرب إلى "أكباش فداء". وهكذا "واستناداً إلى أن التوصل إلى حل سلمي لمشكلة الشرق الأوسط غير منتظر الحدوث في المستقبل القريب، فإن ديمالي تنبأ بأن "من المحتمل أن يقع المزيد من أعمال الإرهاب ضد الأمريكيين العرب"(كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨ ، ٩٣ ـ ٩٤).

في شهادته أمام الكونغرس ميّز عابدين جبارة رئيس اللجنة العربية لمكافحة التمييز بين نوعين من الهجمات الموجهة ضد العرب. ١) "عمليات تخريب الملكية، أو الإهانات والكتابات الجدارية التلقائية الناجمة عن دوافع عنصرية أو دينية، تحركها، إلى حد كبير، "النبرة المعادية للعرب أو المسلمين" في الإدارة ووسائل الإعلام. و٢) "العنف ذي الدوافع السياسية" المخطط له سلفاً والذي يهدف إلى الحد من النشاط السياسي للأمريكيين العرب. إن الأخير هو "الأكثر خطورة" من بين الإثنين (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ١٢٦).٤٩ وكما سيتضح لاحقاً، فإن التمييز الذي قدمه جبارة، رغم فائدته، لا يأخذ بنظر الاعتبار نوعاً آخر من العنف والكراهية الموجهين ضد العرب لا ينبع مباشرة من النزاع العربي الاسرائيلي إنما من الرهاب المحلي ضد الأجانب. وبالنتيجة فإن جميع أنواع الكراهية الموجهة ضد العرب ترتكز، في مستوياتها العميقة، إلى أساس من العنصرية المعادية للعرب والمسلمين موجود في مجتمع الولايات المتحدة.

لعل أوضح تعبير عن نظرية انتساب الكراهية الموجهة ضد العرب إلى نزاع الشرق الأوسط هو ذلك الذي قدمته هيلين حطاب سمحان، نائبة مدير المعهد العربي الأمريكي. ففي مقالة يعود تاريخها إلى عام ١٩٨٧، أكدت سمحان على "أن ما يسمى اليوم بالعنصرية الموجهة ضد العرب في أمريكا ليس، في الواقع، عنصرية بالمعنى الكلاسيكي". إذ أن جذور "المواقف المعادية للعرب" تنطلق من مفاهيم سياسية ـ لا عرقية ـ خاطئة. وقد أوردت:

= في كاليفورنيا" نيووست (٢٦ شباط ١٩٧٩) وألان لانجيل وفرانك موزنيك، "عقدة الشرق الأوسط: كيف جاءت الحروب العربية إلى ديترويت." مونثلي ديترويت (شباط ١٩٨٤). لعله ليس من باب المصادفة أن تكون هاتان المجلتان من بين المطبوعات الإقليمية الممتازة التي توزع في أسواق تتوفر فيها جالية أمريكية عربية كبيرة وملحوظة. إذ أن وسائل الاعلام الرئيسية تميل، كما لاحظنا، إلى ترجيع أصداء واشنطن الشوفينية ومعاداة العرب المعادية للشرق أوسطيين خلال الأزمات الدولية.

٤٩ . في تصريحات لاحقة، ميز جبارة بين الهجمات "ذات الدافع العنصري أو العرقي" والهجمات "ذات الدافع الديني" مع تحديد الأخيرة بأنها "هجمات على المساجد الإسلامية" لكن هذا التمييز لم يفعل سوى تقسيم التصنيف إلى فروع دون إضافة أي جديد ("تحطيم العرب" وصف لمجموعة كونييرز. ديترويت نيوز ١٧ تموز ١٩٨٦).

إن المنشأ السياسي لما يمكن أن يدعى بالعنصرية يكمن في النزاع العربي الإسرائيلي، ويشكل بذلك، صراعاً إيديولوجياً أكثر منه عرقياً. والعرب الأمريكيون، الذين يختارون أن لا ينشطوا في القضايا أو المنظمات الفلسطينية والعربية، لا يكونون، في معظم الحالات، ضحايا هذه العنصرية السياسية. في حين قد يكون الأمريكيون غير العرب من ضحاياها في الحالات المعكوسة. (١٩٨٧، ١١).

ما مدى مصداقية محاججة سمحان؟ يكشف التدقيق المتأني في منشأ التعصب ضد العرب بأن محاجّتها ضيقة جداً. فالعنصرية المعادية للعرب لا تنبعث من مصدر واحد، وهي، بالتأكيد، ليست محصورة بالعواطف الناجمة عن النزاع العربي الاسرائيلي. ويمكن تحديد عدة أنواع من العنصرية والعنف الموجه ضد العرب. أولها وأشدها وضوحاً هو العنف السياسي الذي تمارسه الجماعات اليهودية المتطرفة والذي يعتبر ناتجاً مباشراً للنزاع العربي الإسرائيلي وهو ما تنطبق علية نظرية سمحان. النوع الآخر هو عنف ذو طبيعة محلية وينبع من "رهاب الأجانب" وهو العنف الذي تفشل نظرية سمحان في تفسيره. النوع الثالث عبارة عن نوع من العنف والكراهية الشوفينيين اللذين يرتبطان، عادة، بالأزمات الدولية ذات العلاقة بمواطني الولايات المتحدة. وهو قطاع آخر تتجاهلة نظرية سمحان: وسوف أتناول بالمناقشة كل نوع على انفراد قبل الانتقال إلى دور الزعماء السياسيين ووسائل الاعلام في خلق جو ثقافي يقود إلى نشوء العنف والعنصرية الموجهين ضد العرب.

العنف ذو الدافع الإيديولوجي

تندرج الهجمات المعادية للعرب، التي تحركها وترعاها وتنظمها عصبة الدفاع اليهودية والجماعات اليهودية المتطرفة الأخرى، ضمن تصنيف العنف والعنصرية السياسيين. وينظر المتطرفون إلى أفعالهم هذه بصفتها جزءاً من النزاع العربي الإسرائيلي الأكبر والصراع المستمر ضد "أعداء اسرائيل" والشعب اليهودي ككل. وبهذا المعنى، تكون أعمالهم ذات دافع وتصميم إيديولوجي وليست مجرد انفجارات تلقائية تنبع من الغضب، أو الخوف، أو الجهل.

تتوفر الأمثلة بكثرة عن تطرفهم. فخلال السبعينات ومطلع الثمانينات، ركزت عصبة الدفاع اليهودية هجماتها على المصالح السوفييتية السياسية والثقافية ومكاتب النقليات والخطوط الجوية في نيويورك وواشنطن.٥٠ ثم امتدت إلى أهداف عربية وأهداف أخرى. إلى جانب الهجمات المعادية للعرب التي ذكرت فيما تقدم، حامت

٥٠ . تفيد الأدلة التي كشفت مؤخراً إلى أن عصبة الدفاع اليهودية التابعة لـ كاهانا يمولها سراً زعماء يمينيون إسرائيليون اعتباراً من أواخر الستينات. وقد خطط زعماء مثل إسحاق شامير وغيولا كوهين "الحملات الصعبة التي كان أغلبها عنيفاً ضد الأهداف السوفييتية . . . " (فريدمان ١٩٨٨/ب). نشرت نيويورك تايمز (٦ حزيران ١٩٧٠) افتتاحية هاجمت فيها إصرار العصبة على إدانه جميع الروس لمجرد أنهم روس معتبرة هذا تطرفاً" (٢١ شباط، ١٩٧٢).

الشبهات حول العصبة في حوادث تفجير القنابل في عدد من البعثات الدبلوماسية العربية، ومساكن المتهمين بالنازية، وشقة في المدينة الجامعية التابعة لجامعة ولاية أريزونا. في أثناء هجوم أريزونا، كتبت على سيارات تعود لطلاب عرب يقطنون المبنى شعار "الموت لمنظمة التحرير الفلسطينية" مع نجمة داود.

هناك اعتقاد بأن عصبة الدفاع اليهودية والجماعات المنبثقة عنها، مثل منظمة الدفاع اليهودية والعمل اليهودي المباشر (JDA)، تقف وراء حادثي تفجير قنابل سبقا تفجير شهر تشرين١ ١٩٨٥ الذي أودى بحياة أليكس عودة. ففي الساعات المبكرة من يوم ١٥ آب ١٩٨٥ قتل تشيريم زوبزوكوف، وهو نازي سابق، عندما خطا خارج منزله الواقع في باترسون بنيوجيرسي. وقد أصيبت نتيجة الانفجار زوجته وابنته وحفيده البالغ من العمر أربع سنوات وجار لهم. في ٦ أيلول، انفجرت قنبلة أمام مسكن إلمارس سبروجيس في برنتوود بنيويورك، وهو ضابط شرطة سابق في لاتفيا تمت تبرئته من تهمة مساعدة النازيين. وقد أصيب سبروجيس وأصيب معه عابر سبيل فقد ساقية نتيجة الانفجار. وتفيد تقارير مكتب التحقيق الفدرالي إلى أن القنبلتين متشابهتان: وإنهما إما أن تكونا قد صنعتا من قبل شخص واحد أو أن الأشخاص الذين صنعوهما قد تلقوا التعليمات من المعلم نفسه (فريدمان ١٩٨٦). وقد تزامنت هذه الحوادث مع استقالة الحاخام مئير كاهانا في آب ١٩٨٥ من رئاسة العصبة التي أسسها عام ١٩٨٦.

إضافة إلى ذلك فإن من المعتقد أن عصبة الدفاع اليهودية مسؤولة عن الهجمات على محطات غاز غَلف أويل في الشمال الشرقي في شهر آب ١٩٧٥. وقد شب حريق مجهول في الشهر نفسه في مصفاة النفط الكبيرة التابعة لشركة غلف أويل في فيلادلفيا. وقد أعلن متحدث بالهاتف، فيما بعد "أن هذا نفذ احتجاجاً على خضوع غلف أويل وقيامها بتمويل الدعاية العربية المضادة للشعب اليهودي ودولة إسرائيل في الولايات المتحدة والعالم" (ADC). في شهر آذار ١٩٨٧، انعقدت هيئة محلفين كبرى للاستماع إلى "أدلة تتعلق بنشاطات واسعة النطاق لعصبة الدفاع اليهودية" بضمنها مقتل أليكس عودة (ADC ١٩٨٧).[٥١]

لما كان هدف الإرهاب هو إسكات وجهات النظر المعارضة من خلال التهديد فإنه لا يحتاج إلى أن يتخذ على الدوام شكل العنف الجسدي المباشر. ففي كثير من الحالات يكفي مجرد التهديد بالعنف الجسدي. لذلك فإنه ليس من المستغرب أن تقوم الجماعات اليهودية المتطرفة بانتظام بتهديد الأمريكيين العرب وغيرهم ممن تعتبرهم من الأعداء بواسطة الرسائل والمكالمات الهاتفية المتهجمة، واقتحام المنازل والمكاتب، ونشر لوائح

---

٥١ . اعترف فكتور فانسيير، زعيم عصبة الدفاع اليهودية في نيويورك، واثنان من شركائه بذنبهم في محاكمة عن تهم فدرالية اتهموا فيها بالمشاركة في سلسلة من "التفجيرات الإرهابية" في منطقة نيويورك منذ عام ١٩٨٤. واعترفوا بذنبهم عن "تهم تشمل أعمال التفجير وإشعال الحريق والتشويه والتزوير. وكان كل منهم يواجه إمكانية الحكم علية بالسجن عشرين عاماً. صدر الحكم على فانسيير بالسجن عشرة أعوام وانتحر المتهم الآخر جي كوهين قبل صدور الحكم علية (نيويورك تايمز، ١٤ آب و ٢٧ تشرين١ ١٩٨٧).

الضربات وبالتغلغل ـ على الأقل لمرة واحدة. وفي إعلان عمومي تحدث فيكتور فانسير زعيم عصبة الدفاع اليهودية بصراحة

حول إسكات بروفسور أمريكي فلسطيني بارز يعتبر مؤيداً صريحاً لمنظمة التحرير الفلسطينية. "اعتقد أن الرجل ليس سوى غول. وهذا يعني كل شيء آخر. فأنا أعتقد أن العرب هم النازيون الجدد، ورثة الرايخ الثالث. وأقل ما أقوله بحقه هو أنني لا أتمنى له الخير". (فريدمان ١٩٨٦)٥٢

كان التهديد إشارة لا لبس فيها إلى إدوارد سعيد، الاستاذ في جامعة كولومبيا، وهو بلا جدال أبرز شخصية فلسطينية في الولايات المتحدة. كان مكتب إدوار سعيد قد نهب واقتحم المبنى الذي تقع فيه شقته قبل صدور تهديد فانسير بالموت بعدة أشهر. وقد كرر رئيس فرع بيج تشابتر لعموم الروس التابع للعصبة تهديدات فانسير حين أخبر أحد الصحفيين "إن الأرق لن ينتابني لمقتل النازيين والعرب الأمريكيين الذين يساندون منظمة التحرير الفلسطينية. فقد كانوا مسؤولين عن موت عدد كبير من الناس". إن هذه الأهداف والمشاعر تنسجم مع النداء الذي أطلقه مؤسسو العصبة لخلق منظمة إرهابية سرية في الولايات المتحدة تتولى "بهدوء واحترافية تصفية هؤلاء الهتلرات الجدد الذين يهددون وجودنا نفسه" (فريدمان ١٩٨٦). في عام ١٩٨٦ قام مكتب التحقيق الفدرالي

بالكشف عن مؤامرة دبرتها عصبة الدفاع اليهودية لاغتيال جيمس أبو رزق مؤسس اللجنة العربية لمكافحة التمييز، الذي قال إن المكتب استدعاه بعد إحباط المؤامرة. إضافة إلى أن مكتب التحقيق الفدرالي أحبط مؤامرة وضعها عضو في كاخ من إسرائيل كان في لوس انجلوس واتهم بتجنيد عدوانيين يهود لاختطاف اثنين من رجال الأعمال من عرب اسرئيل يعملان في كاليفورنيا. (فريدمان ١٩٨٧ أ).

كاخ هو اسم حزب مئير كاهانا السياسي في إسرائيل. في وقت لاحق، وفي أعقاب اغتيال مئير كاهانا في تشرين الثاني ١٩٩٠، أصدر كاخ قائمة "الضربة" التي تضم أسماء ثمانية من منتقدي إسرائيل البارزين من العرب واليهود. وكان من بينهم إدوارد سعيد وأنتوني لويس كاتب العمود الصحفي في صحيفة نيويورك تايمز.٥٣

من بين الآخرين الذين استهدفتهم التكتيكات الإرهابية التي تتبع اسلوب عصبة الدفاع اليهودية: بوني ريهاوي المنسقة السابقة لمكتب اللجنة العربية لمكافحة التمييز في نيويورك. بعد قيام ريهاوي بفتح المكتب بوقت قصير، تعرضت لسلسلة من التهديدات والتوعدات وإعلانات الصحف الساخرة. وقد تعرض مكتبها لعدة محاولات اقتحام

---

٥٢ . استناداً إلى فريدمان ١٩٨٦، دعا كاهانا، اعتباراً من ١٩٧٤، إلى إيجاد جماعة يهودية عالمية مناوئة للإرهاب، تقوم "بنشر الخوف وترعب الأرواح، بين عرب إسرائيل لكي ترغمهم على الفرار حفظاً لحياتهم".

٥٣ . ديترويت فري برس، ٥ كانون ١٩٩٠، ١٧ أ.

(كانت واحدة منها ناجحة)، فقد تسلل إلى المكتب رجل تم تشخيصة لاحقاً بأنه مردخاي ليفي رئيس منظمة الدفاع اليهودية. ومن بين مئات المكالمات الهاتفية المزعجة التي تلقتها رياوي، كانت هناك مكالمتان غير مدفوعتي الأجر ادعى أصحابها أنها صادرتان من لجنة مكافحة الاغتصاب ومن مركز الاغتصاب. وقد ذعرت رياوي حين علمت، بعد مقتل أليكس عودة في تشرين١ ١٩٨٥ بأسبوعين، بأن اسمها ظهر في قائمة "الأعداء" التي نشرت في الصفحة الأولى من "الحياة اليهودية الأمريكية"، وهي صحيفة شهرية تصدر في نيوجيرسي. وقد وصفت رياوي بأنها "أحد منظمي منظمة التحرير الفلسطينية"، وجاء ذلك تحت عنوان "أعداء الشعب اليهودي" وهو حكم ضمني بالإعدام تحت الظروف السائدة. حيث كانت قائمة "أعداء" أخرى تتضمن اسم أليكس عودة قد وزعت في جنوبي كاليفورنيا قبل مقتله. وقد تركت رياوي عملها بعد ذلك بوقت قصير (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٤١ ـ ١٤٥، ٥٩ ـ ١٧٠).٥٤

لقد دأبت المنظمات اليهودية الرئيسية على التنصل من أفعال الجماعات اليهودية المتطرفة. فقد سارعت، مثلاً، لتبرئة نفسها من مقتل أليكس عودة. فقد اتصل هيمان بوكبايندر رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية هاتفياً بزعامة اللجنة العربية لمكافحة التمييز "للإعراب عن اشمئزازه الشديد". كما قامت اللجنة اليهودية الأمريكية بشجب التفجير. وحذا حذوها زعماء يهود آخرون.٥٥ إلا أن المنظمات اليهودية المؤسساتية كانت قد ساهمت في تشويه صورة الأمريكي العربي وسواه مساعدة بذلك على خلق أجواء الكراهية والعنف التي تظاهرت بإدانتها. فاضطلعت هذه المنظمات بنوع من الحرب الإيديولوجية أشد غدراً من تلك التي تمارسها الجماعات المتطرفة.

يمكن العثور على مثال على ذلك في حالة عصبة مكافحة التشهير (ADL) التابعة لمنظمة بناي بريث، وهي منظمة تربوية دينية يهودية معفاة من الضرائب. فقد استغلت العصبة مكانتها المحترمة جداً، بصفتها إحدى منظمات البلاد الرئيسية الداعية للحقوق المدنية، في التشهير بالبارزين من الأمريكيين العرب وغيرهم من الأمريكيين الذين ينتقدون إسرائيل ووصفهم بأنهم دعاة لمنظمة التحرير الفلسطينية. فقد اتهم ريتشارد لوبنثال، مدير مكتب العصبة في مشيغان، علناً، اللجنة العربية لمكافحة التمييز مرتين على الأقل بأنها "متحدثة باسم منظمة التحرير الفلسطينية". وفي مقابلة له مع صحيفة كريستيان ساينس مونيتر انتقد صراحة اللجنة مشيراً إلى أن "تلك الجماعة" بخلاف المنظمة التي ينتمي إليها، لا تواجه التمييز بفاعلية، وهي إشارة إلى كونها تتظاهر فقط بكونها منظمة تكافح التمييز وتخفي أغراضاً سياسية غير معلنة. (وايت ١٩٨٢) وقد رد جيمس زغبي، المدير التنفيذي للجنة العربية لمكافحة التمييز في حينه، على اتهامات

٥٤ . عينت رياوي محامياً ساعدها بالحصول على تراجع من ناشر كان، في الأساس، ممانعاً. وقد ظهر التراجع على الصفحة الأولى من عدد ٢٠ كانون١ من مجلة أميركان جويش لايف.

٥٥ . أنظر شهادات زعماء اللجنة اليهودية الأمريكية ديفيد غورديس وهيمان بوكبايندر في الكونغرس الأمريكي ١٩٨٨، ٣٩ ـ ٥٤ و ٨٠ ـ ٨٣. أنظر أيضاً بينسكي ١٩٨٦.

لوبنتال في رسالة بعث بها إلى محرر الصحيفة فنّد فيها تلك الاتهامات واتهم فيها عصبة مكافحة التشهير بأنها "مصدر مهم للتشهير الموجه ضد العرب في الولايات المتحدة . . . " وقد أكد زغبي أن العصبة

تلصق بحرية صفات مثل "مؤيد لمنظمة التحرير الفلسطينية" و "مؤيد لجبهة الارهاب" بالمنظمات والناشطين الأمريكيين الذين يساندون القضية الفلسطينية. إضافة إلى أن المنظمة اعتادت أن "توحي" بأن منظمات أمريكية عربية مختلفة "يمكن أن تكون لديها" بترودولارات أو ارتباطات عربية غير مشروعة (زغبي ١٩٨٢).

وقد انتقدت العصبة بشدة كذلك الجامعات الأمريكية والأكاديميين الأمريكيين بطريقة تعتبر تهديدية. في ١٩٨١، هاجمت العصبة الفيلم الوثائقي **نساء تحت الحصار** الذي نال شهرة رفيعة. يركز الفيلم، الذي كتبت نصة المولفة المعروفة إليزابيث فِرنيا عن حياة النساء الفلسطينيات القاطنات في مخيمات اللاجئين في جنوب لبنان. وقد اتهمت العصبة فِرنيا بأن عملها يعتبر "دعاية خالية من الحياء لمنظمة التحرير الفلسطينية". وقد دفع الاتهام مُمولي الفيلم الرئيسيين: المنحة الوطنية للإنسانيات، إلى شجب الفيلم بالرغم من أن المشاهدين غير المتحيزين اعتبروه معالجة منصفة لموضوع قل استطلاعة.

في تشرين٢ ١٩٨٤، اتخذت رابطة دراسات الشرق الأوسط (MESA) قراراً ينتقد عصبة الدفاع اليهودية لقيامها بالتشهير بطلاب مختلفين، ومدرسين، وباحثين بصفتهم "دعاة مؤيدين للعرب". وكانت العصبة قد أكدت أن أولئك الأفراد "استخدموا معاداتهم للصهيونية كقناع لمشاعرهم العميقة المعادية للسامية" (وينكلر ١٩٨٥، أنظر أيضاً كامبل ١٩٨٥). وقد ذعر أعضاء الرابطة عندما علموا أن قائمة سرية تضمن أفراداً زعم أنهم معادون لإسرائيل ومؤيدون للعرب قد وزعت على زعماء الطلبة في كليات مختلفة من قبل مكتب العصبة الآقليمي في نيوانكلاند. كما جاء ذكر لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية في قرار الرابطة نفسه لقيامها باستحصال "معلومات غير متوازنة عن الطلاب والمدرسين وجهات أخرى في المدن الجامعية الأمريكية" (ورد لدى وينكلر ١٩٨٥).

لقد وجد الكثير من الأكاديميين الشرق أوسطين بصمات الاسلوب المكارثي في إصدار القوائم السوداء، واضحاً في نشاطات المنظمتين اللتين تعتبران من أبرز المنظمات اليهودية في البلاد. وقد قامت عصبة الدفاع اليهودية بإصدار كتاب بعنوان "الدعاية المؤيدة للعرب في أمريكا" كان ، في الواقع ، مشابها لـ " قوائم الأعداء" تلك. وقد تضمن الإشارة إلى إحدى وثلاثين منظمة وأربعة وثلاثين شخصاً أغلبهم من الأمريكيين العرب الذين زُعم بأنهم يشكلون "شبكة الإسناد المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية" في الولايات المتحدة. (ADL ١٩٨٣) وقد أصدرت لجنة الشؤون الأمريكية الاسرائيلية هي الأخرى قائمتين مشابهتين. (AIPAC ١٩٨٣، كيسلر وشوابر ١٩٨٤). (من أجل أمثلة أخرى على الإرهاب الذي قامت به عصبة الدفاع

اليـهودية ولجنـــة الشؤون العامـــة الأمريكيـــة الإسرائيلية انظر فندلي ١٩٨٤ عاروري ١٩٨٥، تيغنان ١٩٨٧، فريدمان ١٩٨٧، مارسال ١٩٨٩).

في أواخر عام ١٩٨٨، أصـدرت مـنظمـة بنائي بريث الدوليـة، وهي أكبر المنظمات اليـهودية في العـالم والمنظمـة الأم لعـصبة الدفاع اليهودية، خطاباً لجمع التبرعات وجهته إلى ١٤ ألف شـخص من أعـضائها إدعت فيه أن "الوجود العربي في المدن الجامعية يقوم بتسـمـيم أفكار شـبـابنا"، وأشار الخطاب (خطأً) إلى أن "المال العربي ينهمر على المدن الجـامـعيـة في جميع أنحـاء الولايات المتحدة . . ." وبعد أن أثار الخطاب المخاوف من كـون "حلم اليـهـودية في خطر"، طلب من قـرائه أن "يوحـدوا قواهم ويهاجموا الشر" الـذي يـفترض أنه يشـمل "الوجـود العـربي" و"المذاهب والمذهبـيين". وعندمـا قـامت اللجنة العـربيـة لمكافحة التميز بانتقاد الخطاب، قدمت بنائي بريت اعتذاراً جزئياً مدعية بأن الخطاب قـد أعـد من قـبل مـتـعهد خارجي وأن "اختيار الكلمات والأحاسيس التي تعكسهـا لا يمثل وجهة نظرنا" (غولدمان ١٩٨٩). اللجنة العـربيـة لمكافحة التمييز أشارت لاحقاً إلى أن خطاب عام ١٩٨٨ مشابه لخطاب آخر صدر ١٩٨٧. وأن خطاب عام ١٩٨٧ اسـتـخـدم كـثيراً من "نفس العبـارات، والجمل والمصطلحات والمعلومات" لكنه لم يورد عـبارة "تسميم أدمغتنا" (كوك ١٩٨٩).٥٦

بوسع حملات التـشـهير، وقـوائم الأعـداء، وأشكال أخـرى من التنديد أن تخلق جـواً يقود إلى العنف. في نيسان ١٩٨٠، تعرض مكتب حملـــة حقوق الإنسان الفلسطينيـة (PHRC) في واشنطن العـاصـمـة إلى حـادثة تفـجير قنبلة. وقـد كـانت عـصبة الدفاع اليـهـودية مـسـؤولة عن التـفـجير. وقد وصف جيمس زغبي، مدير حملة حقوق الانسان الفلسطينيـة، في حـينه، الظروف التي أحـاطت بحـادث التـفجر في شهادتة أمام اللجنة الفرعية للادانة الجرمية في الكونغرس كما يلي:

> . . . على مـدى السنوات الـثلاث التي سـبـقت التـفجير . . . أخضعت حملة حقوق الإنسـان الفلسطينيـة إلى حملة تنديد . . . فقد وصفت لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيليـة الـحـملة، مـثـلاً، بأنها جماعة إرهابية وواجهة لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقـد اتهمت شـخـصـيـاً بكوني عـمـيـلاً لمنظمـة التحرير الفلسطينية، وعميلاً لليبيا، وعـمـيـلاً لكوبا. وقـد صـدرت كل هذه الاتهامات عن عصبة الدفاع اليهودية، وعن عصبة مكافحة التشهير. (كـونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ١١٣)

---

٥٦ . في توجـه مماثل انتصر مـارتن بيرتز، رئيس تحـرير نيو ريببليك، للعنصرية المعادية للعرب في رسالة استرضـاء وجهها إلى اليهود الأمريكيين من صيف ١٩٩١. وبعـد أن أشار إلى "المدنية العربية المغرورة والفـاشلة" و"هزيمة متعصبي القومية العربية في الخليج" و "منطق السياسة العربية" الذي قاد "حتماً" إلى اجـتـيـاح العـراق للكويت، امـتـدح بيرتز مجلته بصفـتـهـا "واقـفـة بالمرصاد لحماية سلامة الدولة اليـهـودية". وعندمـا تسـاءلت اللجنة العـربيـة لمكافحة التمييز عن أسباب استخدامه لمثل هذه النماذج النمطيـة، لم يكلف بيرتز نفسـه عناء الرد. ولا يحتـاج المرء إلى أكـثـر من اسـتـبدال كلمة "العربي" بـ "اليـهـودي" ليـتـصـور صرخات الاحتجاج والاتهام بـ "معاداة السامية التي ستصدر عن مجلات محترمة مثل **نيو ريببليك**".

كما تتوفر مؤشرات على قيام عصبة الدفاع اليهودية بالتجسس على أمريكيين عرب وغيرهم من منتقدي إسرائيل، حيث قامت بتمرير معلومات إلى مكتب التحقيق الفدرالي ووكالات حكومية أخرى. ويشير تقرير صحفي نشر في صحيفة صادرة في شيكاغو عام ١٩٧٥ إلى أن متحدثاً بلسان عصبة الدفاع اليهودية "قال بأنه، هو الآخر، يحتفظ بسجلات عن العرب الناشطين الذين يعيشون هنا وأنه يمرر المعلومات بشكل دوري إلى مكتب التحقيق الفدرالي" (يونغ ١٩٧٥). وقد أثبت التحقيق الملاحظات الهامة التالية: "إن موظفي مكتب التحقيق الفدرالي قد ذكروا بأنهم لم يستطيعوا التوصل إلى وجود أدلة راسخة على نشاط إرهابي يقوم به الأمريكيون العرب". وأن "مصادر استخبارية إسرائيلية" لم تحدد هويتها "تعتقد بأن الجزء الأكبر من النشاط العربي في الولايات المتحدة ليس إرهابياً". وإذا ما أخذنا هذه الملاحظات بقيمتها الظاهرية، فإنها تشير إلى أن استطلاعات عصبة الدفاع اليهودي ترقى إلى مستوى التجسس على أشخاص لمجرد قيامهم بممارسة حقوقهم التي ضمنها لهم الدستور في حرية الكلام والتجمع، وهو استنتاج يبدو أنه فات كاتب الموضوع. وهناك أيضاً أسباب للاعتقاد بأن معلومات مشابهة تمرر إلى الحكومة الإسرائيلية. وفي عام ١٩٩٣، تأكدت الشكوك المتعلقة بقيام عصبة الدفاع اليهودية بالتجسس عندما داهمت شرطة سان فرانسيسكو مكتبين للعصبة في كاليفورنيا. وقد خرجت الشرطة "بصناديق تحوي ملفات وصفها المدعي العام، في المحكمة لاحقاً، بأنها "محظورة" بضمنها نسخ سرية من تقارير سرية تتعلق بتنفيذ أحكام قانونية، وبطاقات تحمل بصمات أصابع. وصوراً فوتوغرافية لإجازة سوق السيارات، وسجلات جرمية فردية مستلّة من سجلات الشرطة" (ماك جي ١٩٩٣)

كانت شرطة سان فرانسيسكو قد تلقت إشعاراً من مكتب التحقيق الفدرالي بأن مخبراً شرطياً يعمل في شرطة سان فرانسيسكو ويدعى توماس جيرارد قد باع ملفات سرية عائدة للشرطة حول جماعات محلية مناوئة للفصل العنصري إلى وكيل استخباري يعمل لصالح جنوب أفريقيا، وكان شريك جيرارد في الجريمة شخص يدعي روي هـ بولوك، عمل جوسوساً سرياً لعصبة الدفاع اليهودية. وقد استطاع بولوك "لفترة تزيد على اثنين وثلاثين عاماً أن يجمع لعصبة الدفاع اليهودية ملفات كمبيوترية عن ٩٨٧٦ شخصاً وما يزيد على٩٥٠ جماعة من جميع الشرائح السياسية بضمنها NAACP وتحالف الرينبو، و ACLU ، والحركة الأمريكية الهندية، ومركز الاستطلاع التحقيقي وباسفيكا، وآكت أب وجماعات عربية وفلسطينية، وجماعة أمريكيون من أجل السلام الآن، ومنظمات مناوئة للفصل العنصري" (فريدمان ١٩٩٣) كما اشتبه بأن بولوك قام "بالتنصت على مكالمات هاتفية" و "الوصول إلى أجهزة الإجابة الذاتية على الهاتف وانتحال هويات مزيفة واختراق عدد من المنظمات"، كما أورد ذلك فريدمان.

وقد كشف التحقيق عن قيام عصبة الدفاع اليهودية بإدارة شبكة للتجسس على امتداد البلاد، وأن عمل تلك الشبكة شمل الحصول على ملفات سرية تتعلق بحالات تنفيذ الأحكام القانونية بضمنها ملفات تعود لمكتب التحقيق الفدرالي. وقد كشفت

التحقيقات التي أجراها مكتب التحقيق الفدرالي وشرطة سان فرانسيسكو عن قيام عصبة الدفاع اليهودية بتمرير معلومات إلى حكومتي إسرائيل وجنوب أفريقيا. "والأكثر من ذلك، استخدمت إسرائيل، كما يبدو، المعلومات التي قدمتها لها عصبة الدفاع اليهودية في اعتقال الأمريكيين الفلسطينيين الذين يسافرون إلى هناك" (فريدمان ١٩٩٣، ماك جي ١٩٩٣). وحسب تقرير قدمه عابدين جبارة، محامي الاتهام في قضية مدنية رفعت ضد عصبة الدفاع اليهودية "فإن هذا التعاون ما زال مستمراً، وقد أسفر عن عدد من المضايقات لأمريكيين عرب". "فبعد أن قدمت عصبة الدفاع اليهودية معلومات إلى السلطات الفدرالية حول سبعة رجال فلسطينيين وامرأة كينية واحدة يعيشون جميعاً في كاليفورنيا، جمع الأشخاص في حملة اعتقال جماعية ووجهت إليهم تهمة خرق لائحة ماكارين ـ ولتر" (جبارة ١٩٩٣) ومن الغريب في الأمر أن المدعي المحلي لـ سان فرانسيسكو أسقط الاتهام الجرمي في أواخر عام ١٩٩٣ لأن الجماعة، حسب توضيح المدعي المحلي، "قامت بأعمال طيبة كثيرة" (نيويورك تايمز ١٩٩٣).

إن الأثر النهائي لممارسات عصبة الدفاع اليهودية كان تعزيز صورة العرب بصفتهم إرهابيين ويشكلون تهديداً للأمن، وبهذا تخلق جواً من الخوف والشك والكراهية ضد الأمريكيين العرب وغيرهم ممن يحملون أراء انتقادية لاسرائيل قد يقود إلى تهديدات بالقتل والإصابات البدنية.

يشكل العنف والكراهية المنبثقان عن دوافع إيديولوجية لدى الجماعات اليهودية المتطرفة ونظيراتها الأقل خطراً في المنظمات اليهودية الرئيسية مصدراً رئيساً للعدائية والعنصرية الموجهة ضد العرب. إلا أنه سيكون من الخطأ اعتباره المصدر الوحيد، أو حتى الرئيسي، للعنصرية المعادية للعرب في الولايات المتحدة.

الرهاب المعادي للعرب

النوع الثاني من أنواع العنصرية المعادية للعرب يتكون من العنف والكراهية النابعة محلياً إزاء الأمريكيين العرب، والمسلمين، والشرق أوسطيين ومؤسساتهم. وغالباً ما يتحقق هذا النوع عندما تكون الطبيعة العرقية لهؤلاء واضحة. وهذا النوع من العدائية قد يكون ذا علاقة ضعيفة أو معدومة بالنزاع العربي الإسرائيلي، أو بتورط الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، أو أية اعتبارات سياسية خارجية أخرى. فهو يستند إلى الاختلافات المحسوسة في العنصر، والثقافة، والدين. وتمتد جذوره إلى مواقف عنصرية محلية موجودة في المجتمع. وكمثال متطرف على هذا النوع من العدائية، نورد حالة مقتل عاملين مهاجرين يمنيين في ديربورن في ربيع عام ١٩٧٦.

في الساعات الأولى من صباح ١٧ أيار، سقط صالح ناجي شاهين، ٣٤ عاماً، صريعاً بعيار ناري أصابه في الصدر. ولم يلق القبض على الجاني. بعد ذلك بثلاثة أسابيع، وفي الساعات التي سبقت فجر يوم ٥ حزيران، لقي يمني آخر يدعى علي

شبرين الشمام، ٣٢ عاماً، مصرعه بعيار أصابه في الرأس. ولم يلق القبض على الجناة الذين قيل أنهما كانا رجلين من البيض (ماغنوسون ١٩٧٦).٥٧ كما لم يتم التحقيق في دوافع القتل بالرغم من أن بعض الشبهات تركزت على متعصبين محليين يسعون إلى الثأر لأخطاء سابقة.٥٨ ولم يعثر في خلفية الضحايا عما يمكن أن يدل على القتلة. وتوحي ظروف الهجومين اللذين وقعا في حارات سكنها المهاجرون العرب منذ وقت طويل وخلال ساعات الصباح الأولى أثناء توجه الضحيتين إلى عملهما ـ بأن الضحيتين اختيرا بشكل عشوائي.

إذا ظهر أن هجمات كهذه ليست جرائم اعتيادية (بمعنى أنها ليست مرتبطة بعرقية الضحية) فإنها ترتبط عن جدارة بفصيلة جرائم العنصرية ورهاب الأجانب المحلي، أكثر من ارتباطها بـ "العنصرية السياسية" على حد تعبير سمحان (١٩٨٧). ولا بد من الإقرار بأن الخط الذي يفصل بين نوعي العنف والعدائية الموجهين ضد العرب قد يكون، في بعض الأحيان، غير واضح على الإطلاق، كما يحدث في حالة اندفاع الأشخاص المتعصبين إلى التصرف بما توحيه الدوافع الشوفينية التي تؤججها الأنباء عن أحداث تقع في الشرق الأوسط أو تصريحات الزعماء السياسيين وصناع الرأي في وسائل الإعلام (وهي قضايا سنعود إليها). إلا أن هذا لا ينفي، كما حاجج جيمس زغبي مدير المعهد الأمريكي العربي، وجود "مشاعر ذات جذور محلية قوية مناوئة للعرب في هذه البلاد، أو أن هذه المشاعر، رغم مشكلتنا الملحة مع وسائل الإعلام، لم تترجم إلى مشكلة كراهية موجهة للعربي المحلي (وردت لدى هندلي ١٩٨٧). ويسمح زغبي باستثناء واحد هو الجالية الأمريكية العربية في ديترويت، التي يجعلها ظهورها البارز هدفاً للهجمات. إلا أن المحاججة هنا دائرية (العرب لا يهاجمون إلا عندما يكونون بارزين للنظر) وهي تثير التساؤل عن سبب وجود العدائية من الأساس.٥٩

إن تاريخ الولايات المتحدة يزخر بالعنصرية ورهاب الأجانب. وكون هذه الحقيقة لا تطفو على السطح، إلا عند وصول مهاجرين جدد، يجب ألا تحجب كون العنصرية الثقافية والتعصب والنظرة المجحفة أموراً متغلغلة بعمق في ثقافة الولايات المتحدة. حتى الاختلافات الثقافية الطفيفة تكفي لتشكيل أساس للتمييز والإجحاف؛ ويزداد الأمر سوءاً عندما يكون القادمون الجدد من خلفيات تختلف جذرياً في مجالات الثقافة

---

٥٧ . أنظر أيضاً "يمني مهاجر قتل في ديربورن"، ديترويت نيوز، ٦ جزيران ١٩٧٦.

٥٨ . بعض "الأشخاص في الجوار" نسبوا القتل إلى "العداوة المتنامية بين الجماعة العربية وعمال مصانع جنوبيين بيض يحيطون بهم." (ديترويت فري برس، ٩ حزيران ١٩٧٦). آخرون توقعوا أن "النار أطلقت على العربيين من قبل قوادي دعارة يرفضون تعامل العرب مع بغاياهم" (ديترويت فري برس، ٨حزيران). أدى طعن شاب أبيض بعد جريمة القتل الثانية والزعم بأن العرب كانوا مسؤولين عن ذلك، إلى إضفاء بعض الثقل إلى الشكوك بأن الجرائم كانت مرتبطة بالعداوة بين العرب والبيض.

٥٩ . من الممكن أن يطرح المرء الحجة (التي لا مصداقية لها) بأن هناك شيئاً فريداً في شخصية أو سلوك الأمريكيين العرب في ديترويت يجعلهم عرضة للازدراء والعنف، إلا أنني أشك في أن هذا هو ما يجول في ذهن زغبي.

والدين واللغة،٦٠ كما هي الحال في ديربورن بولايــة ميشيغان، وهي موقع أكبر تجمع للمهاجرين العرب المسلمين في أمريكا الشمالية.

في نيسان ١٩٨٦، نشرت مجلة **مشيغان ماغازين**، وهي ملحق يوم الأحد لصحيفة **ديترويت نيوز** على غلافها موضوعاً عن الجالية العربية في ديترويت. وقد كان الموضوع ودياً رغم كونـــه غير متوازن. بعد ذلك بشهرين (في ١٥ حزيران) نشرت المجلة رسالة وردتها رداً على الموضوع. والرسالة تستحق أن تورد بالكامل:

> إنه لأمر سيء جداً أن يكون الموضوع العربي (٦ نيسان) وحيد الجانب إلى هذا الحد وإن يستدر التعاطف من كل من يقرأه. إلا أن من الصعب منح التعاطف عندما ترى العرب يستولون على زمام الموقف. إن من الصعب أن تجلس في الشرفة الأمامية تراقب النساء والأطفال وهم يتبولون في الشارع والماشي وعلى الأشجار. ويوازي ذلك صعوبة أن تفهمهم وهم يقطعون الأزهار من رواق منزلك، والخضار من حديقتك، والثمار من على أشجارك، ويقولون لك إن من حقهم أن يأخدوا ما يشاؤون.
>
> إن عليكم أن تخصصوا موضوعاً للعرب الذين يأخذون كل شيء ـ الغذاء المجاني، والملابس، والطعام وإعانات اللجنة العربية لمكافحة التمييز ـ ثم يؤسسون تجارة ولا يدفعون الضرائب.

وقد حملت الرسالة توقيع "ديربورني مدى الحياة: إي. إل. إم" واختتمت بالتعقيب التالي "إن التوقيع باسمي وإعطاء عنواني ورقم هاتفي يعني الانتحار: إن ما كتبته حقيقي ـ ونحن المواطنين الأكبر سناً لا نستطيع الكلام مخافة الانتقام". من الممكن أن يكون كاتب الرسالة، تبعاً لما يوحي به التعقيب الختامي، يعاني من حالة حادة من حالات رهاب الأجانـــب. إلا أن السؤال الكبير هـــو: لماذا اختار محرر **مشيغان ماغازين** نشر الرسالة (بلا تعليق). إن من المشكوك فيه إلى حد كبير أن يقدموا على نشر رسالة مشابهة حول نساء يهوديات أو أمريكيات أفريقيات يتبولن في "الماشي وعلى الأشجار". (لاحظ الإشارة إلى السلوك المشابه لسلوك الحيوانات) إن حقيقة نشر هذه الرسالة ذات الاتهامات العنيفة في صحيفة رئيسية تصدر في مدينة تقطنها جالية أمريكية عربية واسعة وملحوظة، تشير إلى المستوى الذي بلغتة العنصرية (والكلبيّة الشكيّة) بين أرفع الدرجات الاجتماعية السائدة. وفي حالة مشابهة نشرت جريدة **كوليجيان**، وهي جريدة جامعـــة توليدو، بولاية أوهايو في ١٧ كانون٢ عام ١٩٨٥ إعلاناً مبوباً عن الحاجة إلى شريك في الغرفة طبعت فوقه بالأحرف البارزة عبارة "ليس للعرب". وبوسع المرء أن يتخيل الضجة التي كانت ستقوم لو أن العبارة كانت تقول "ليس للسود" أو "ليس لليهود". إن هذه الحالـــة تساعد في إدراك مدى

---

٦٠ . إن المثال التقليدي يخص المهاجرين الإيرلنديين في القرن التاسع عشر الذين واجهوا عداء كبيراً من قبل الأغلبية التي يطغى عليها البروتستانت الأنجلو سكسونيون، ثم تحولوا فيما بعد إلى مستبدين اختاروا ضحاياهم من أولئك الذين هاجروا بعدهم كالإيطاليين مثلاً. أنظر فردركسون وكنويل ١٩٨٠.

ضلوع الجريدة المدرسية في هذا القدر من العنصرية.

إن مواقف إي. إل. إم. العنصرية والرهابية، رغم تطرفها، شائعة بالتأكيد، في منطقة ديربورن. ففي تغطية خبريـــة عن ارتفاع كلف الإسكان في المرتفعات المجاورة لديربورن، هددت إحدى مالكات المساكن بأن "تهجر المنطقة وتبيع بيتها لأول عربي أو أسود يريد شراءه" (ورد لدى هِتسكي ١٩٨٢). وقد نقل التعليـق كأمر واقع ولم يثر أي رد فعل لدى قراء الجريدة.

في عام ١٩٨٥، أحرز مايكل غيدو، الذي رشح نفسه لأول مرة لمنصب المحافظ، أسبقية حاسمة في الانتخابات المحلية عندما وزع على كل بيت من بيوت ديربورن كراساً انتخابياً من ثماني صفحات حمل عنوان "لنتحدث عن متنزهات المدينة والمشكلة العربية". لقد استهدف غيدو سكان المدينة من الأمريكيين العرب الذين يقدر عددهم بـ ١٥ ألف نسمة، ملمحاً إلى أن أعدادهم المتزايدة "تهدد أحياءنا وقيمة ممتلكاتنا والطريقة الطيبة للحياة التي نتبعها". وقد وعد غيدو، في الكراس نفسه، بأن يكون متشدداً مع الجيران العرب الصخابين الذين يهملون، حسب ادعائه، صيانة ممتلكاتهم، ويخرقون التعليمات الخاصة بالازدحام. كما تعرض لزعماء الجالية الأمريكية العربية المحليين الذين قال عنهم إنهم "يصدعون حكومتنا ويلحون عليها باستمرار لكي تمنحهم إعانات ضريبية". ويعزى فوز غيدو في الانتخابات التي شهدت تنافساً شديداً في تشرين٢ ١٩٨٥، حيث أحرز ٥٦٪ من الأصوات، إلى الموقف المعادي للعرب الذي تبناه في نهاية فترة حملته (تورك ١٩٨٦ و ١٩٨٦ ب).

إن كراس غيدو يغطي خزاناً من رهاب الأجانب والمواقف العنصرية الكامنة تحت السطح. وقد ظهرت تلك المواقـــف على السطح في مطلع ١٩٨٨ عندما استلم مايك حمود، وهو أمريكي لبناني، وخطيبته الأمريكية، إدارة مخبز بولندي قديم في ديربورن. وكان حمود يخطط للمحافظة على النكهة العرقية المميزة للمخبز التي جعلته تقليداً من تقاليد ديربورن. وقد قوبلت المحاولة بالعداء من جانب زبائن المخبز. وقد أخبر حمود صحيفة محلية بأنه "كان يتلقى حوالي ٥٠ مكالمة باليوم من أناس يقولون أشياء مثل: "أيها العرب الأغبياء، عودوا إلى أوطانكم". وقد أشارت الصحيفة إلى أن "مصالح أخرى يملكها العرب في ديربورن واجهت مشاكل مماثلة عند افتتاحها". (إيبرواين ١٩٨٨) وقد رفض ريتشارد أونيل، نائب رئيس غرفة تجارة ديربورن، الفكرة القائلة بأن المضايقة ناجمة عن رهاب الأجانب، وأدعى أن "العرب يتعرضون للمعاناة لأنهم لا يستطيعون أن يتكيفوا بسرعة كما يفعل الإيرلنديون أو البولنديون، على سبيل المثال" (ايبرواين ١٩٨٨). وهذا التأكيد، بحد ذاته، مؤشر على العقلية العنصرية لسكان المدينة.

وفي مثال آخر على العنصرية المعادية للعرب، عارض موظفو ديربورن وسكانها عرضاً تقدمت به جماعة إسلامية لبناء مدرسة على قطعة أرض خالية في شرق ديربورن وهي المنطقة التي تسكنها غالبية عربية. وقد أشارت الصحيفة المحلية إلى أن مفوضي تخطيط المدينة "قد أظهروا تدقيقاً غير مألوف للاقتراح وتبنوا موقفاً أرغم أصحابه على

اتخاد موقف يكاد يكون دفاعياً". ٦١ وفي الجانب الغربي من المدينة، حيث يعيش عدد أقل من العرب، أثارت رابطة أحياء محلية اعتراضات على وجود عائلة أفغانية في الجوار، مدعية بأن كبر حجم العائلة "سوف يعتبر سابقة" تؤدي "إلى تخفيض قيمة الملكية العقارية". وهو موضوع يتكرر في الطروحات السياسية في ديربورن. ولم ترتدع رابطة الحي عندما اتخذت الدائرة القانونية في المدينة قراراً بأن العائلة لم تخرق قانون السكن. ٦٢

مثل هذة المواقف العنصرية، كما يري زغبي (هندلي ١٩٨٧ب)، متوقعة لأنها تحدث في مدينة يكون الوجود العربي فيها بارزاً جداً للعيان (حيث يشكل العرب ١٥٪ من سكان المدينة البالغ عددهم١٠٠ ألف شخص). ويقول زغبي إن ديربورن، فوق ذلك، تشكل استثناء لأن البلاد لا تعاني من "مشاعر محلية قوية معادية للعرب". إلا أن المواقف المعادية للعرب موجودة في تلك المناطق من البلاد التي يشكل العرب فيها جالية كبيرة ملحوظة. في تشابيل هِل بولاية نورث كارولينا، قوبل طلب تقدمت به جماعة إسلامية لبناء مسجد في البداية بالرفض من قبل السكان كما حدث بالنسبة لاقتراح المدرسة الإسلامية في ديربورن. وقد اعترض أحد أعضاء مجلس التخطيط على أساس أن "معمار المسجد لا يتلاءم مع الجوار". ٦٣

إن هذا الرفض تقليدي. ففي براونزتاون، وهي ضاحية نائية من ضواحي ديربورن، رفضت السلطات المحلية السماح لجماعة أغلبها من المسلمين الباكستانيين والهنود عقد تجمع ديني حيث أعرب المقيمون عن "مخاوفهم من أن يجتذب تجمع المسلمين المحليين الإرهاب، والعنف على الطريقة البيروتية، أو أن يتسبب في ازدحام حركة المرور". وقد أسرّ أحد المعارضين بأن الخوف "الأشد إلحاحاً" كان من قيام المسلمين "بالاستيلاء" على القطاع الإسكاني المجاور (ثورتيل ١٩٨٥). وفي شيكاغو وضع أصحاب محلات البقالة في الجانب الغربي إشارة في نافذة دكانه المغلق تقول: "الدكان يعاد تصميمه. لاعلاقة للعرب بالأمر". بكلمة أخرى: إن الدكان لم يتم شراءه من قبل العرب (كاس١٩٩٠).

ليس لهذه المواقف العنصرية والرهابية سوى علاقة ضئيلة بالنزاع العربي الاسرائيلي والتورط الأمريكي في الشرق الأوسط. إنها علاقتها بالعنصرية المحلية أقوى. وبسبب طبيعتها غير الثابتة والمتقطعة فإن العنصرية المحلية أو الرهابية المعادية للعرب لا تسمح

٦١ . إفتتاحية ديربورن بريس أند غايد، ١١ أيار ١٩٨٩ . أنظر أيضاً موضوع المدرسة الإسلامية تحض على التنازع" (ديربورن بريس أند غايد، ١٢ حزيران ١٩٨٩) حيث احتج السكان الذين دعوا إلى اجتماع عام حول وضع المسلمين، بأن "المهاجرين . . يرفضون التكيف مع طريقتنا في العيش" وأنهم قد حولوا المنطقة إلى حظيرة خنازير.

٦٢ . "موضوع اليعاقبة الساخن في اجتماع" (ديربورن بريس أند غايد، ٦ تشرين١ ١٩٨٨) أطلق السكان في اجتماع لرابطة الجوار" اتهامات بأن اليعقابة يعيشون "كعشيرة" أو كما لو كانوا يديرون "قسماً داخلياً". واليعاقبة كانوا يوماً ما أسرة ثرية هربت من الغزو السوفييتي والحرب التي أعقبته في موطنها الأصلي أفغانستان .

٦٣ . "السكان يعارضون اقتراحاً لبناء مسجد للطلاب". نيويورك تايمز، ١٢ شباط ١٩٩٠.

بطبيعتها بالتوثيق. إلا أن بالإمكان العثور عليها كيفما اتفق وفي كل مكان من البلد، تقريباً، وفي أي وقت. وعندما يقترن هذا النوع من العنصرية بالسياسة الخارجية فإن بوسعه أن يكون مزيجاً ملتهباً من العنصرية الشوفينية.

العنصرية الشوفينية (الوطنية المتعصبة)

النوع الثالث من العنف والعنصرية الموجهين ضد العرب هو العنصرية الشوفينية. إن العنصرية الشوفينية، التي تشابه في كثير من الوجوه المحلية الرهابية، هي خليط غريب من الوطنية المتشنجة والعنصرية البيضاء الموجهة ضد الشعوب السمراء غير الأوربية وغير المسيحية. إنها عنصرية تنتج عن الجهل السياسي، والوطنية المزيفة، والعرقية المركزية الفائقة. وبخلاف العنف ذي الدافع الايديولوجي للجماعات اليهودية المتطرفة، الذي يكون في الغالب مخططاً سلفاً، فإن العنف الشوفيني يميل إلى أن يكون تلقائياً، وانعكاسياً، ومؤقتاً. وبشكل يكاد يكون دائماً، يحدث هذا النوع من العنف أثناء تصاعد التوترات الدولية (خطف الطائرات، أخذ الرهائن، النزاع العسكري) وخصوصاً إذا شمل الحدث مواطنين من الولايات المتحدة، وإذا جاء رد فعل الزعماء السياسيين ووسائل الإعلام حاداً على الأزمة. في لحظات كهذه، يسارع "المتحمسون" إلى الانقضاض على "العدو" غير مدركين للفرق بين العربي والإيراني، السني أو الشيعي ، الفلسطيني أو الباكستاني.

يبدو أن العنصرية الشوفينية المعادية للعرب كانت وراء اندلاع حالات تخريب الملكية والعنف الموجه ضد المباني والمساجد والمتاجر العائدة للجالية العربية أو للجاليات الشرق أوسطية والتي صاحبت أحداثاً من نوع اختطاف طائرة TWA المغادرة إلى بيروت، والضربات العسكرية الأمريكية ضد ليبيا. وقد وقع حادث لاحق في صيف عام ١٩٨٩ ، خلال لحظة عالية التوتر في أعقاب اختطاف رجل الدين المسلم الشيعي الشيخ عبد الكريم عبيد في لبنان من قبل جنود اسرائيليين. وقد قام المتشددون اللبنانيون، رداً على ذلك، بإعدام ويليام هيجينز، وهو ضابط بحري كان قد أخذ رهينة منذ شهر شباط ١٩٨٨ ، وهددوا بقتل رهينة أمريكي آخر. أعقبت الإعدام الذي نفذ في ٣١ تموز أيام مشحونة بتوتر حين كان قادة الأمة يقلبون مختلف الردود. في تلك الأثناء، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز

> أن نشرات مكتوبة باليد، تحث على استخدام العنف ضد العرب، وزعت في أجزاء من بروكلين في ولاية نيويورك. إضافة إلى ذلك، وضعت لافتة مكتوب عليها "موسم اصطياد الشيعة" على سياج من سلاسل في "برادلي آفنيو" عبر محطة قطار ستيتن آيلاند. علقت لافتة أخرى كتب عليها "بيروت أف ـ ١٤" ووقعت من قبل "الأمريكيين المخلصين في بيسايد" على محطة قطار لونغ آيلاند في كوينز. (لي ١٩٨٥)

وتضيف صحيفة **تايمز** بأن المحافظ إد كوخ كان قبل ذلك ببضعة أيام قد قال في تجمع إن على الولايات المتحدة أن تفرش منطقة البقاع وغيرها من المناطق اللبنانية بالقنابل ما لم يتم إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين.

وكما أسلفنا من قبل، فإن سياق العنف الشوفيني أصبح واضحاً ويمكن التكهن به. فالاحداث التي تقع في الشرق الأوسط، خصوصاً حين يستخدم العنف ضد مواطني الولايات المتحدة، غالباً ما تطلق موجة من العنف ضد العرب الذين يخلطون بهم مثل المسلمين، والايرانيين، والباكستانيين. وينبغي الإقرار بأن ليس من السهل دائماً أن يعرف ما إذا كان الحادث الموجه ضد العرب نابعاً عن العنصرية الشوفينية أو الرهاب المحلي، أو أن يكون الحادث ناجماً عن نزاع شخصي. إن العدائية الشوفينية، شأنها في ذلك شأن ردود الأفعال الرهابية، تقترن، بشكل يكاد يكون دائماً، بالإشارة إلى عرقية الضحية. ولا يُشترط لاندلاع العنف ضد العرب أن تكون التوترات الدولية شديدة. ففي منتصف حزيران ١٩٨٨، حيث كانت الأحداث في الشرق الأوسط قليلة، اقتحم مخربون بيت عائلة لبنانية تعيش في ديربورن هايتس بمشيغان، وهو حي يقطنة البيض المنتمين إلى الطبقة الوسطى. وقد خط المخربون بطلاء الأحذية الأسود والبني شعارات: "عودوا إلى إيران"، "عودوا إلى بلادكم"، "عودوا إلى الخميني" إضافة إلى قيامهم بسرقة النقود والمجوهرات من المنزل. (بريتر ١٩٨٨) ولا شك أن جذور هذه الحادثة، بما تحملة من مزيج المشاعر الرهابية والشوفنينية، تمتد إلى العنصرية العميقة المعادية للعرب وللشرق أوسطين والتي تبدو واسعة الانتشار في ثقافة الولايات المتحدة.

وقد وقع مثال أكثر نموذجية للعنصرية الشوفينية المعادية للعرب بعد قصف قاعدة المارينز الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣. فقد تعرض الأمريكيون العرب في جميع أنحاء البلاد للمشاعر الشوفينية، حتى في مناطق نائية، مثل فيكسبرغ، في مسيسيبي حيث تلقت عائلة أمريكية عربية مندمجة بالمجتمع الأمريكي نداء هاتفياً يحذرها من أنها "من الآن فصاعداً سوف يحرق بيت لبناني في فيكسبرغ عن كل فتى أمريكي يقتل في لبنان" (أورفليا ١٩٨٨، ٢٥١).

الأمريكيون العرب: أنذال ثقافياً، ومجذومون سياسياً

تتغذى جميع أنواع العنصرية المعادية للعرب، وبدرجات متفاوتة، على النماذج النمطية السلبية العديدة للعربي، والتي سادت، بشكل خاص، في أعقاب الحظر النفطي الذي فرض في تشرين١ ١٩٧٣، وتغلغلت في ثقافة الولايات المتحدة. وقد استغلت الإدارات المتعاقبة وعدد كبير من أعضاء الكونغرس والطامحين السياسيين تلك الصور للحصول على مناصب انتخابية أو لجمع التأييد العام لأهداف تتعلق بالسياسة الداخلية أو الخارجية. لقد تم الآن نسيان الجزء الأكبر من تاريخ هذه الديماغوجية. إلا أن أثرها قد ترك أثراً عميقاً وراسخاً في الضمير السياسي للأمريكيين مساهماً في موقف الجمهور المتسامح من العنصرية للعرب. وفيما يلي ثلاثة أمثلة فاضحة، وإن تكن ثانوية.

حاول موظف وزاري في إدارة نيكسون تشويه سمعة محامي الاستهلاك رالف نادر بدعوته بـ "عربي قذر".

اقترح ستيوارت إي. أيزنستات، كبير مستشاري جيمس كارتر، حول الشؤون الداخلية، في مذكرة داخلية مسربة إلقاء اللوم على العرب فيما يتعلق بمشاكل الطاقة في البلاد.

قدم ريموند دونوفان، أول وزير للعمل في إدارة ريغان، وهو الشخص الذي عانى من الفضائح طول مدة وجوده في منصبه، عرضاً ضمن فعالية أسماها "أصدقاء دونافان" أمام ٩٠٠ من مؤيديه في تشرين١ ١٩٨٢، ضمت ثلاثة رجال يرتدون زي الشيوخ العرب ويقومون بتوزيع نقود مزيفة.[٦٤]

وقد حدثت أمثلة مشابهة للاستخدام المقذع للنماذج النمطية المعادية للعرب عن جهات في مختلف المستويات الحكومية. فقد كتب تيريل بيل، الموظف الوزاري السابق في إدارة ريغان، في مذكراته أن موظفي الدرجات الوسطى اليمينيين في البيت الأبيض ودوائر الإدارة والميزانية كان "يسرهم" أن يوجهوا الإهانات العنصرية والازدرائية إلى الأمريكيين الأفارقة وغيرهم من الأقليات. ويكشف بيل عن أن "العرب كانوا يدعون بـ **زنوج الرمال** أثناء مناقشة قضايا في الشرق الأوسط في وزارة الخارجية".[٦٥]

وتتعلق حادثة أخرى تحمل نفس الدلالة، رغم كونها هزلية نوعاً ما، بأعلى المستويات في وكالة المعلومات في الولايات المتحدة (USIA)، فقد حملت مذكرة داخلية للوكالة مؤرخة في ٨ كانون٢ ١٩٨٦، تم الحصول عليها بموجب قانون حرية المعلومات، أخباراً مقلقة: فقد اتخذ بائع طعام يحمل اسماً "يمكن أن يكون فلسطينياً أو شرق أوسطياً" لنفسه موضعاً أمام بناية الوكالة في واشنطن حيث يستطيع أن "يراقب تحركات المدير [تشارلز ويك] والزوار الرسميين، ومنتسبي الوكالة". وقد وصف البائع بأنه "تهديد محتمل للأفراد أو للسلامة البدنية. وهكذا بدأت حملة استمرت عامين لإزاحة جميع الباعة من المنطقة المحيطة بمبنى الوكالة. وفي محاولة لحمل وكالات قطاع كولومبيا على اتخاذ الإجراءات (حيث كانت أقصى الأحكام قد استحصلت حول الموضوع) كتب أحد موظفي الوكالة. "سنظل على ثقة من أن عمليات الباعة المتجولين أمام الوكالة غير ملائمة ومضرة بالمصلحة الوطنية". وأضاف الموظف بأن "طاولات الباعة وغيرها من المعدات يمكن أن تستخدم لإخفاء أجهزة تفجيرية". ولم يتأثر

---

٦٤ . نشرت واشنطن بوست، في ما يمكن اعتباره لحظة غير مشرفة في عمر الصحافة الأمريكية، مقالة مطولة وفكهة عن الحادث في قسم "الأسلوب" تحت عنوان "رأي دونوفان يحصل على شيخ عادل" (١٤ تشرين١ ١٨٩٢). وكان من بين جمهور الـ ٩٠٠ "المؤيد والمصفق" المدعي العام الأمريكي ورئيس دائرة الخدمات الصحية والبشرية ومدير وكالة الاستخبارات المركزية وكبير موظفي البيت الأبيض. ثم ألقى الدوين ميس، الذي كان يشغل في حينه منصب المستشار الرئاسي، تحية لدونوفان . وكان الأخير، كما وصفته الـ بوست، "إحراجاً دائماً للإدارة بسبب الاتهامات المستمرة بوجود علاقات سابقة له بالجريمة المنظمة".

٦٥ . اقتبس في " نكات عنصرية في البيت الأبيض نشرت في كتاب"، نيويورك تايمز، ٢١ تشرين١ ١٩٨٤ . شغل بيل منصب وزير التربية في إدارة ريغان الأولى ١٩٨١ ـ ١٩٨٤ .

موظفو قطاع كولومبيا بالهوس الرهابي وسمحوا للباعة بالبقاء (كورن وموريلي ١٩٨٨).
حتى في مشيغان، موطن أكبر الجاليات الأمريكية العربية في أمريكا الشمالية، لم يكن الحاكم معارضاً لاستخدام الديماغوجية المعادية للعرب. فقد قام ويليام ميليكن، وهو أحد أطول الحكام عهداً في تاريخ الولاية، بابلاغ أحد الصحفيين بوقاحة بأنه "سيشير إلى العرب الملعونين". وإلى جانب ما حملته من إساءة، فإن ملاحظة الحاكم تستحق الملاحظة لأنها لم ترد في معرض ردود الفعل على الحظر النفطي عام ١٩٧٣، إنما جاءت في أواخر عام ١٩٨١ في معرض الإشارة إلى الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تزعزع اقتصاد مشيغان. وكانت أمور كثيرة قد وقعت بين التاريخين بضمنها هروب الصناعة المعملية الأمريكية إلى مناطق أخرى ومن ثم إلى الخارج، وتدفق البضائع المستوردة ذات النوعية المتفوقة، وتطورات أخرى في مجال اقتصاد الولاية. وقد أحدثت محاولة الحاكم إلقاء اللوم على العرب في مجال المشاكل الاقتصادية التي تعاني منها ميشغان ضجة في أوساط الجالية الأمريكية العربية في الولاية مما دفع بميليكين في النهاية إلى إصدار اعتذار عام للجالية (كراتشفيلد ١٩٨١).
في الحملة الرئاسية لعام ١٩٨٤، أعاد وولتر مونديل تبرعات بمبلغ ٥ آلاف دولار لأنها كانت مقدمة من مواطنين من أصول عربية. ثم اعتذر عن ذلك بعد أن وجهت جماعات أمريكية عربية النقد له علناً. وسارع منافسه غاري هارت إلى تسديد قرض بمبلغ ٧٠٠ ألف دولار كان قد اقترضه من مصرف في واشنطن العاصمة بسبب أخبار ذكرت أن مصالح عربية تمتلك المصرف.٦٦ وكان هذا التقليد قد أرسي أثناء نزاع سابق حول التبرعات المالية العربية المقدمة لمنظمة "أوبريشن بوش"، وهي المنظمة التي تتخذ من شيكاغو مقراً لها ويرأسها جيسي جاكسون المنافس الرئاسي الديمقراطي الآخر. وقد كانت نقطة في صالح جاكسون ـ أنه رفض الانسياق إلى استخدام العرب كوسيلة للتشهير بمنافسية.
في عام ١٩٨٣، وأثناء التنافس على رئاسة بلدية فيلادلفيا، أعاد المرشح ولسون غود مبلغاً يزيد على ألفي دولار من تبرعات الحملة التي كانت قد جمعت أثناء حملة أمريكية عربية لجمع التبرعات عندما اتهمه منافسه الجمهوري علناً بقبول "المال العربي". ولم يقدم غور، الذي فاز في المنافسة، اعتذاراً وظل يرفض على مدي عدة سنوات عروضاً للقاء بممثلي الجالية الأمريكية العربية المحلية.٦٧ في سنة ١٩٨٦ الانتخابية أعاد جو كنيدي الشاب، الذي كان يخوض حملته الأولى من أجل الدخول إلى الكونغرس، تبرعاً

٦٦ . ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال في ٢٣ أيار ١٩٨٤: "لم يخطر ببال مساعدي الحملة إلا لاحقاً أن أحداً يمكن أن يستغل حقيقة كون البنك قد بيع إلى جماعة من المستثمرين الشرق أوسطيين في عام ١٩٨٢. ويقال أن حملة المنافس مونديل قد سربت معلومات عن هذه العلاقة المحرجة إلى الصحافة. قال كينيث غيدو، المستشار الخاص لحملة هارت: "لم نكن نعلم أنه بنك عربي. وقد أخرجنا هارت من الأمر بمجرد علمنا بذلك".
٦٧ . لم يقدم غود أبداً تبريراً لفعله باستثناء القول " أنا مناصر شديد لإسرائيل. وأنا أعتقد أن وجود الدولة اليهودية في الشرق الأوسط ضرورة لهذه البلاد". (وردت في مقال بعنوان "غود يخطط لإعاده ٢٠٠٠ دولار جمعها" نشرته صحيفة فيلادلفيا انكوايرر في ١٦ تشرين الأول ١٩٨٣).

شخصياً بمبلغ ١٠٠ دولار قدم من قبل جيمس أبو رزق، وهو أمريكي عربي بارز وعضو سابق في مجلس الشيوخ عن الحزب الذي ينتمي إليه كنيدي. وكان كنيدي، في الواقع، قد قبل التبرع في البداية شاكراً أبو رزق على "شعوره الطيب". وبعد ذلك بشهرين، قام ستيف روششتاين، أحد المساعدين في حملة كنيدي، بإشعار أبو رزق بأن تبرعه قد أعيد مضيفاً بأن حملة كنيدي لا تريد أن تتورط في شؤون الشرق الأوسط "على هذا النحو" ومشيراً إلى علاقة أبو رزق باللجنة العربية لمكافحة التمييز (روبنسون ١٩٨٦).

وقد كتب أبو رزق في صحيفة **بوسطن صنداي غلوب** متكهناً بأن معسكر كنيدي خشي أن يتسبب اسمه في الإضرار بالجهود المبذولة لجمع التبرعات في صفوف اليهود الأمريكيين. ومن الجدير بالملاحظة أن مكالمة روششتاين الهاتفية جاءت يوم ١٦ نيسان، بعد القصف الأمريكي لليبيا بيوم واحد، مما يشير إلى احتمال قلق حملة كنيدي حول جمع التبرعات بين صفوف جميع الشرائح المؤيدة له بسبب العنصرية المعادية للعرب بشكل عام. وبعكس غور فقد قدم كنيدي اعتذاره فيما بعد، عارضاً قبول التبرع بعد ظهور تقارير محرجة في الصحافة.[٦٨]

من الغريب أن الحملة الرئاسية لعام ١٩٨٨ خلت إلى حد كبير من الإشارة الصريحة للعرب وعمليات إرجاع التبرعات التي ميزت الانتخابات السابقة. والسبب في ذلك موضوع للتكهنات. حيث أن احتجاجات الجماعات الأمريكية العربية ومنظمات الحركات المدنية لعبت، دون شك، دوراً في الحد من هذه الممارسات. وقد يكون تضاؤل فائدة الشوفينية المعادية للعرب والعالم الثالث في غسق سنوات إدارة ريغان قد لعب دوراً، وإن يكن محدوداً (تشومسكي ١٩٩١، فصل ٨). ويبدو أن المحاولة الوقحة الوحيدة للنيل من العرب فشلت في الحصول على تأييد كبير. ففي وقت مبكر من الحملة طالب المتنافس الرئاسي الجمهوري بات روبرتسون بحماية الشرطة السرية لأن آراءه المؤيدة لاسرائيل قد تجعل منه، على حد قول أحد المساعدين، هدفاً "للجماعات العربية الأكثر تطرفاً" (أسو شيتد بريس ١٩٨٧).

ومن الغريب أنه كانت هناك عودة قصيرة إلى التنديد بالعرب على نحو يشبه ما جرى في السبعينات والثمانينات في الجولة الجمهورية الأولى لعام ١٩٩٠ في القطاع ٤٤ في كاليفورنيا، الأمر الذي أظهر، مرة أخرى، أن العنصرية المعادية للعرب ما زالت قوة فاعلة في سياسة الولايات المتحدة. ففي تلك المنافسة، قام المرشح راندي "ديوك" كننغهام بتوزيع نشرات انتخابية يستخدم فيها العرب بصلافه للتنديد بمنافسه جو غوغاسيان. وقد طرح أحد الكراسات بالأحرف البارزة السؤال التالي: "أي المرشحين

---

٦٨ . في أيار ١٩٨٦ أعاد روبرت نيل، وهو مرشح لانتخابات الكونغرس عن المنطقة الرابعة ولاية مرلاند، مبلغ ٥٥٠٠ دولار إلى الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين "لأن الأفضل أن تكون آمناً على أن تصبح آسفاً". وكان نيل، قبل ذلك بيوم واحد، قد تعرض للانتقاد من قبل صحيفة بالتيمور صن لقبوله مال من منظمة ذات "روابط مع منظمة التحرير الفلسطينية". التقرير الداخلي للجنة مكافحة التمييز (واشنطن العاصمة، ١٤ حزيران ١٩٨٦).

للكونغرس تموله المصالح النفطية العربية؟" وقد زين الكراس برسم لبرميل للنفط يصب من حنفية جانبية دولارات تحمل صور أشخاص شبيهين بالملك فهد ملك العربية السعودية ومعمر القذافي رئيس ليبيا. وقد أشار الكراس إلى أن غوغاسيان ولد ونشأ في الشرق الأوسط (وهو أرمني مصري المولد) مضيفاً بمكر إلى أنه "كان خارج الولايات المتحدة طيلة السنوات الثماني الأخيرة التي قضاها في بلدان عربية". ومع أن هذا الادعاء كان صحيحاً، فإن الكراس أغفل الإشارة إلى أن غوغاسيان أمضى تلك الفترة مبعوثاً لريغان، أولاً كرئيس لفيالق السلام في اليمن، ثم كسفير للولايات المتحدة في قطر. وبخلاف حملات التشويه المعادية للعرب في السابق، فقد حظيت هذه الحملة بتغطية إعلامية ملحوظة توجهت نحو موازنة تلميحات كننغهام بما يقابلها من الحقائق (فايكس ١٩٩٠، هوارد ١٩٩٠). إضافة إلى ذلك، قوبلت حملة التشهير بالشجب من قبل موظف رفيع المستوى هو إد رولنز، الرئيس الوطني المشارك للجنة الحملة الجمهورية لانتخابات الكونغرس. وكما أشارت صحيفة "الواشنطن تايمز" ذات الاتجاه السياسي المحافظ فإن شجب رولنز المفاجيء للتشهير أثناء الحملات المستند إلى "الخلفية الدينية، أو العرقية أو العنصرية للمرشح "كان" انعطافة حادة من قبل المدير السياسي السابق للبيت الأبيض في زمن ريغان" (هالو ١٩٩٠).

وعلى النقيض من ذلك، فإن مراقبة الحكومة ومضايقتها للأمريكيين العرب ازدادت في نفس الوقت الذي تضاءلت فية مظاهر التنديد بالعرب ورفض التبرعات في الحملات الانتخابية في نهاية التسعينات. فقد كان الأمريكيون العرب، منذ نهاية الستينات، موضع تمحيص مكتب التحقيق الفدرالي ودائرة الهجرة والجنسية. وفي سنوات نيكسون، اتخذت اجراءات خاصة ضد الطلاب العرب والمهاجرين العرب والأمريكيين العرب. وقد شملت الإجراءات تقييدات الدخول على مواطني الدول الأجنبية، ومراقبة مكتب التحقيق الفدرالي، وجمع المعلومات حول المنظمات والنشاطات السياسية وحتى تقييد حصول العرب على وضع المقيم الدائم (بسيوني ١٩٧٤، هاغوبيان ١٩٧٥، ١٩٧٦).٦٩ كانت الإجراءات، في الظاهر، موضوعة للحيلولة دون عمل الإرهابيين العرب داخل البلاد. أما في الحقيقة، فإن الحجة كانت مضللة، إذ لم يحدث قط أن سجلت أية حالة لإرهاب عربي في الولايات المتحدة حتى عام ١٩٩٣، حين وقع تفجير المركز التجاري العالمي. وقد تركزت معظم مراقبة وتحقيقات مكتب التحقيق الفدرالي على نشاطات ضمنها الدستور ضمن حرية الكلام والتجمع، وهي لا تعتبر غير مألوفة بمقاييس مكتب التحقيق الفدرالي، لكنها ليست من نوع النشاطات التي ترتبط بتوقيف الإرهابيين.

وتقدم قضية نهى إسماعيل، موظفة المكتبة من مينسوتا، مثالاً على ذلك. فقد كانت إسماعيل، وهي أم أمريكية فلسطينية، ناشطة في القضايا الأمريكية العربية لوقت طويل. وعلى الرغم في أن نشاطاتها تقع بالكامل في حدود دستور الولايات المتحدة،

---

٦٩ . دور الـ ف بي آي كـ "شرطة سياسية للبلاد" وثقه بدقة تشيرتشل، فاندر وول، ١٩٨٨؛ ١٩٩٠. أنظر أيضاً جلسبات ١٩٩١؛ أو رايلي ١٩٨٩؛ كرايلي ١٩٩٠.

وأنه لم يحدث أن خرقت القانون أبداً، فإن اسماعيل وضعت تحت المراقبة من قبل مكتب التحقيق الفدرالي. وقد علمت صحيفة **مينسوتا ستار أند تربيون** أن مكتب التحقيق الفدرالي كان يستجوب جيران اسماعيل عما إذا كان لديهم أي سبب يجعلهم يعتقدون بأنها إرهابية. وقد أدانت الصحيفة المراقبة مرغمة مكتب التحقيق الفدرالي على اصدار اعتذار نادر في نوعة إلى إسماعيل.[٧٠]

ثمانية لوس أنجلوس

وقع أخطر مثال على مضايقة الحكومة للأمريكيين العرب عام ١٩٨٧. ففي صباح ٢٦ كانون٢، قام عشرات الوكلاء التابعين للشرطة، ومكتب التحقيق الفدرالي ودائرة الهجرة والجنسية بالإغارة على بضعة منازل تعود لأفراد الجالية الأمريكية العربية في لوس أنجلوس، وقد اعتقلوا ستة فلسطينيين مع زوجة أحد المعتقلين الكينية. بعد ذلك ببضعة أيام اعتقل فلسطيني آخر بينما كان يؤدي الامتحان في كلية مجتمع كافي في مقاطعة سان برناردينو (بيل١٩٩٠). وقد سردت زوجة أحد المعتقلين الفلسطينيين الطريقة التي قاموا بها باعتقال زوجها فقالت: "اندفع رجال دائرة الهجرة والجنسية إلى شقتنا وبدأوا البحث عن المسدسات. وقد أصيبوا بخيبة أمل شديدة لعدم وجود أسلحة لدينا . . . وسألناهم أي حق لهم في دخول منزلنا، لكنهم اكتفوا بالضحك" (نيشن ١٩٨٧).

مكث الثمانية رهن التوقيف لما يقرب من ثلاثة أسابيع. ولم يسمح لهم برؤية محاميهم أو أقاربهم إلا وهم "مقيدو الأيدي والأقدام والسلاسل تحيط بأوساطهم". وصف خضر موسى حميد، ٣٢ عاماً في حينه، المتهم بكونه زعيم الحلقة، الاعتقال الذي تعرض له. فقال

> كانوا يضعون اثنين منا في زنزانة مساحتها ٦ × ١٠ قدم لمدة ٢٣ ساعة باليوم. خلال اليومين الأولين، ظلت الأضواء مشتعلة ٢٤ ساعة باليوم، وقد وجهت كاميرا إلى رأسي. لم يسمح لنا بالمكالمات الهاتفية، ولا حتى للاتصال بمحامينا. لم أكن أعرف النهار من الليل. ولم أعرف مكان زوجتي. ولم أعرف مكان أصدقائي. . . وقد دعانا بعض الحراس ببضعة نعوت عنصرية، وفعلوا ما يلزم للتأكد من سماعنا للنكات العنصرية التي كانوا يطلقونها. (ورد لدى هنتوف ١٩٨٧).

كانت الاعتقالات تتويجاً لثلاثة أعوام من تتبع مكتب التحقيق الفدرالي لفعاليات الناشطين من الأمريكيين العرب (بيل١٩٩٠). بالأساس اتهم "ثمانية لوس أنجلوس"، كما صاروا يعرفون، بموجب فقرة قلما تستعمل من قانون ماكاران ـ ولتر للهجرة لعام ١٩٥٢، "التي تسمح للحكومة بتسفير الأجانب الذين يقومون، عن سابق معرفة،

٧٠ . أنظر التفاصيل في تقرير واشنطن حول شؤون الشرق الأوسط، ٨ أيلول ١٩٨٦.

بنشر أو توزيع أو طبع أو عرض مواد تدعو إلى الإطاحة بحكومة الولايات المتحدة، أو الذين يؤيدون أو يعلمون مبادىء الشيوعية العالمية. "(نيشن ١٩٨٧). وفي المحكمة، لم يستطع المدعون الحكوميون تقديم أي شيء أكثر من مجلات ومواد مطبوعة لغرض ربط المتهمين بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهي منظمة ماركسية.

ونظراً لعدم استطاعتهم إلصاق تهمة التخريب بالمتهمين، أسقطت دائرة الهجرة والجنسية التهمة عن ستة من أفراد الجماعة مكتفية باتهامهم باختراقات فنية لتأشيرات الدخول/ الفيزا التي يحملونها. في حين وجهت إلى الاثنين الباقيين، وهما خضر موسى وميشيل شحادة، وكلاهما مقيم دائم في الولايات المتحدة، تهمة الانتماء إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وقد قامت دائرة الهجرة والجنسية بتسجيل اتهامات أخرى ضد الاثنين بموجب قانون الهجرة لعام ١٩٩٠. فالقانون الجديد يبطل، من الناحية النظرية، الأرضية العقائدية للتسفير والاستبعاد التي نص عليها قانون ماكاران ـ ولتر. إلا أن القانون يحتوي على نص يتعلق بـ "النشاطات الإرهابية" الذي تم بموجبه اتهام موسى وشحادة بجمع الأموال لـ"منظمة إرهابية" ـ هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (ACLU ، ١٩٩٢).

بعد مرور ما يقرب من السبع السنوات، لم يتم توجيه أي اتهام بفعل جرمي ضد الثمانية (ACLU، ١٩٩٢، ميدانز ١٩٩١). وفي عام ١٩٩٣، كانت القضية ما تزال تجتذب الاهتمام على صعيد وطني (كول١٩٩٣؛ نيويورك تايمز١٩٩٣). في ذلك العام، كتب ستة اساتذة في قانون الهجرة للمدعي العام في الولايات المتحدة يعترضون على استمرار دائرة الهجرة والجنسية بمتابعة القضية ضد موسى وشحادة وقيامها بتشويه قانون الهجرة لعام١٩٩٠ (لويس ١٩٩٣).

وقد قام الوكلاء الحكوميون، على هامش اعتقالات ثمانية لوس أنجلوس، بتوقيف طالبة كلية في الثانية والعشرين من العمر، محتجزين إياها في التوقيف طوال الليل. ولم تقدم ضدها أية تهمة. وهي فتاة مولودة في مدينة رام الله الفلسطينية ونشأت في سان دييغو بكاليفورنيا. وقد روت تجربتها في شهادة تحت القسم وفي مقابلة مع أنتوني لوس، الكاتب الصحفي في نيويورك تايمز (١٩٨٧) فقالت:

> كنت أدرس وحيدة في مكتبة المدرسة، ليلة ٢٨ حزيران. في حوالي الثامنة والنصف، جاء رجل ضخم يبلغ طوله ٦ أقدام، ولوح بورقة أمامي. كشف عن شيء بدا لي مثل شارة، وقال: "إيفلين [ليس اسمها الحقيقي] نريدك أن تأتي معنا". كان يحمل مسدساً في حامل معلق في وسطه. أخذ ذراعي اليسرى بذراعه اليمنى. ظهر رجل آخر ـ كشف هو أيضاً عن مسدس يحمله ـ وأمسكني بشدة من ذراعي الأيمن. ثم أخذاني خارجاً إلى سيارة نبيذية داكنة، وأوثقا يدي أمامي ودفعا بي الى المقعد الخلفي.

أمضت ايفلين الساعات الاثنتي عشرة التالية في منزل غامض في مكان ما من الضواحي. "أخذت إلى داخل غرفة كبيرة عارية ذات أرضية اسمنتية. وكانت هنالك

منضدة معدنية كبيرة. كما كان في الغرفة عمود معدني مثبت في الأرضية الاسمنتية. وكان في أعلاه كلاّب مثل نوع من مثبتات الربط". يثير الوصف تداعيات صور أوورويلية (نسبة إلى الكاتب البريطاني جورج أورويل مؤلف رواية ١٩٨٤ ـ المترجم) عن الدولة الشرطيّة. في "غرفة معتمة الإضاءة" دفع بإيفلين "وهي ما تزال موثوقة اليدين إلى كرسي معدني رمادي" وعلى وجهها يتركز "ضوء مصباح نيوني ساطع".

رموا على المنضدة صورة، كانت صورةٍ لي وزوجي و س. (الصديق الذي تم اعتقاله). ضربوا على الصورة وقالوا: "مَن هو هذا الرجل؟ عرّفيه". رفضت، وقلت لهم إن ما يفعلونه بي ليس قانونياً. قال أحدهم: "يا حلوة. نحن القانون".

بحلول منتصف الليل، كانت إيفلين قد ربطت، موثوقة اليدين، إلى الكلاّب الموجود في أعلى العمود. وكان عليها أن "تمد ذراعها اليسري لكي تبلغه". وقد تركت في ذلك الوضع غير المريح لمدة ثلاث ساعات. عندما عاد الرجال، طلبت أن تستخدم الحمام، إلا أنهم لم يسمحوا لها بذلك. وقد أخبرت إيفلين بأن زوجها كان في الاعتقال، وكان ذلك كذباً، وقد عرضت عليها صفقة مقابل قبولها بالشهادة ضد واحد من ثمانية لوس أنجلوس. رفضت. حوالي الثامنة والنصف من الصباح التالي أنزلت على مسافة حوالي ميلين من منزلها. وقد أرعبت التجربة إيفلين إلى حد جعلها ترفض التكلم عنها علناً.

خشي كثير من دعاة الحريات المدينة وسواهم ممن تجمعوا لتأييد ثمانية لوس أنجلوس أن تكون الاعتقالات حالة اختبارية تقوم بها السلطات الفدرالية كخطوة أولى في خطة أوسع ترمي إلى إسكات النشاطات السياسية للأمريكيين العرب المعارضين للسياسة الخارجية الأمريكية والحد منها. وقد تصاعد القلق عندما حصلت صحيفة **لوس انجلوس تايمز** بعد اعتقال الفلسطينيين بوقت قصير على نسخة من خطة سرية لدائرة الهجرة والجنسية. وقد كشفت الوثيقة الحكومية الداخلية، التي كتبت في العام السابق، عن وجود خطة طوارىء داخلية لاعتقال وحجز وتسفير أعداد كبيرة من الطلاب العرب والإيرانيين والمقيمين الدائمين، وحتى مواطنين أمريكيين، خلال حالة للطوارىء على مستوى البلاد، يعلن عنها الرئيس. وكانت مدينة أوكديل بلويزيانا قد حددت كواحدة من مواقع الاعتقال الرئيسية. وحسب ما ورد في الخطة، فإن "جماعة محددة . . . أقل من ١٠ آلاف شخص بكثير" كان قد تقرر احتجازها وتسفيرها (دائرة الهجرة والجنسية ١٩٨٦).

ظهرت في شهر آذار ١٩٨٩ دلائل أخرى تشير إلى أن الاعتقالات "جزء من خطة سرية تهدف إلى تجميد المعارضة في صفوف الأجانب الذين يعيشون في الولايات المتحدة" عندما حصل اتحاد الحريات المدنية الأمريكية بوساطة طلب قدم بموجب قانون حرية المعلومات على مقاطع من الأمر رقم ٢٠٧ الصادر عن الأمن القومي. وطبقاً للباحثة إيف بيل (١٩٩٠) فإن :

الأمر رقم "٢٠٧ قرار الأمن القومي" الذي يحمل عنوان "البرنامج الوطني لمحاربة الإرهاب" قد أناط بوزارة العدل مهمة الحيلولة دون دخول الإرهابيين إلى البلاد وطرد مَنْ يوجد منهم فيها. إلا أن واحدة من فقرات القرار ٢٠٧ لا تذكر الارهابيين على الإطلاق؛ بل تكتفي بأن تأمر بأن "يطرد من الولايات المتحدة الناشطين الأجانب الذين لا يتلاءم وضعهم بالنسبة للهجرة". وهذا يعني استهداف الأجانب الناشطين سياسياً ـ وهم الأشخاص الذين يمارسون حقوق حرية الكلام المضمونة للمواطنين ـ والتدقيق لمعرفة ما إذا كانوا في حالة خرق فني لتأشيرة الدخول الممنوحة لهم والقيام بتسفيرهم على عجل في حالة التحقق من ذلك . . . ومن أجل تنفيذ هذه المهمات، شكلت وزارة العدل مجموعة طوارىء سرية يرأسها موظف من دائرة والجنسية تدعى لجنة السيطرة على الحدود الأجنبية.

يبدو التشابة مذهلاً بين إجراءات الحكومة التي اتخذتها في حالة ثمانية لوس أنجلوس وبين الإجراءات المحددة في وثائق الحكومة السرية (استهداف الشرق أوسطيين، سجن المتهمين، رفض الكفالات، استخدام أدلة سرية، واللجوء إلى قانون ماكاران ـ وولتر للهجرة).

وقد سعت الحكومة أيضاً إلى تسفير فلسطيني آخر هو فاروق رافدي باللجوء إلى استخدام الأساليب الواردة في خطة طواري دائرة الهجرة والجنسية. كان رافدي، وهو بقال في كليفلاند، قد هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٥ من مدينة البيرة في الضفة الغربية. في عام ١٩٨٦، قام رافدي، البالغ من العمر ٣١ عاماً، برحلة إلى الخارج استغرقت أسبوعين حيث حضر مؤتمراً للشباب أقامتة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في سوريا. وتزعم دائرة الهجره والجنسية أنه قد أخفى هذه الحقيقة عن موظف الحدود عند عودتة إلى الولايات المتحدة. وبعد مضي ما يقرب من العام على عودته إلى كليفلاند، "واجهته دائرة الهجرة والجنسية بكونه "خاضع للاستبعاد" بصفتة شخصاً مخرباً أو شخصاً يعتبر قبوله معارضاً للمصلحة العامة" (لويس ١٩٨٨، بيل ١٩٩٠). ويجيز قانون ماكاران ـ وولتر للهجرة، الذي يعتبر من مخلفات عهد مكارثي، إجراء الاستبعاد الموجز. ويعتبر رافدي أول أجنبي مقيم يخضع لهذه الفقرة من القانون التي لا تنطبق إلا على الأشخاص المدانين بموجب أحكامه الإيديولوجية (لجنة العدالة ١٩٩٠، ٢).

من الواضح أن مواقف الموظفين المنتخبين إزاء العرب والرقابة التي تفرض على الأمريكيين العرب، وما يتعرضون له من مضايقات، إنما هي مؤشر إلى مواقف ثقافية عامة. وتتوفر كل الأسباب اللازمة للاعتقاد بأن هذه المواقف تنحدر نازلة من أعلى الهرم الاجتماعي لتؤجج وتجيز المواقف الشعبية.

بلغ العنف الناجم عن الكراهية والعنصرية الموجهين ضد العرب مستويات لم يسبق لها مثيل من قبل أثناء حرب الخليج. فمنذ بداية الأزمة في مطلع شهر آب ١٩٩٠، تعرض الأمريكيون العرب إلى التهديد وأعمال تخريب الملكية والعنف وأنواع أخرى من المضايقات. وقد تزايدت العدائية الموجهة ضد الأمريكيين العرب حدة بعد بدء الحرب الجوية في ١٧ كانون٢، ١٩٩١. كانت اللجنة العربية لمكافحة التمييز قد سجلت خمس جرائم حقد فقط، ارتكبت ضد العرب عام ١٩٩٠، قبل غزو الكويت في ٢ آب ١٩٩٠. أما بعد الاجتياح، فقد سجلت اللجنة ستاً وثمانين حادثة ما بين ٢ آب و٢ شباط، غير الحالات الكبيرة التي لم يبلغ عنها (اللجنة العربية لمكافحة التمييز ١٩٩١ أ، ١٩٩٠ ب؛ أبراهام ١٩٩١). وقد وجهت ٤٨ حادثة (٥٦٪) نحو منظمات أمريكية عربية، وناشطين سياسيين، وآخرين لهم مواقف معلنة مخالفة للسياسة الرسمية للولايات المتحدة. بعد اندلاع الحرب في كانون٢ ١٩٩١، تعرضت منظمات تابعة للجاليتين العربية والإسلامية في تكساس، وأوكلاهوما، ومشيغان، وكاليفورنيا إلى التخريب وتفجير القنابل أو المضايقة بطريقة أو بأخرى. وبالنظر لبروزها للعيان، فإن هذه الأهداف كانت تجتذب هذا النوع من النشاط مما جعل تلك الأحداث التي أحاطت بها غير مستبعدة.

إلا أن أهدافاً أقل بروزاً هوجمت أيضاً. حيث تعرضت متاجر ومصالح يمكلها العرب في مشيغان، وفلوريدا وأوهايو، وتكساس، وكاليفورنيا إلى التخريب وأتلف بعضها حرقاً، رغم أن الشرطة المحلية رفضت ربط بعض حالات إشعال النار بالعدائية العرقية. ويبدو أن الشوفينية كانت وراء كثير من تلك الحوادث.

وكانت أكثر الهجمات تعبيراً عن العدائية تلك الهجمات التي استهدفت أشخاصاً عاديين تنطبق عليهم أوصاف النماذج النمطية للعربي. وهذه الحالات تكشف عن عمق التعصب والعنصرية المعادين للعرب في مجتمع الولايات المتحدة. وقد جمعت اللجنة العربية لمكافحة التمييز ٣٦ حادثة (٤٢٪) ارتكبت ضد أمريكيين عرب عاديين وغيرهم ممن اشتبه بكونهم عرباً خلال الفترة ما بين ٨ آب ١٩٩٠ و ٢ شباط ١٩٩٠.

وقد شعر كثير من الأمريكيين العرب بالخوف على سلامتهم أثناء حرب الخليج. وكان هذا يصدق بشكل خاص في أوساط المهاجرين العرب الذين أرعبتهم مظاهر الشوفينية التي شهدوها. وقد كان المهاجرون عرضة، بشكل خاص، للسخرية، والتهكم والمضايقة الكلامية وحتى الاعتداء البدني لأنهم كانوا يرتدون الملابس الشرق أوسطية ويتركزون في أحياء يسهل تمييزها مثل شرق وجنوب ديربورن في مشيغان. حتى في منازلهم، لم يكن العرب في مأمن من مد الشوفينية الطاغي الذي عم البلاد أثناء الحرب. فمن طرف الولايات المتحدة إلى طرفها الآخر، قام الجيران المدفوعين بمزيج من العداء الشخصي، ورهاب الأجانب، والوطنية المفرطة بمضايقة جيرانهم من الشرق أوسطيين. وقد تلقى عرب كثيرون مكالمات هاتفية مزعجة، وقذفت بيوت آخرين

بالبيض، وأفرغت إطارات سياراتهم من الهواء.

كما حدث في السنوات السابقة، تولى البيت الأبيض والكونغرس ووسائل الإعلام والمعلقون السياسيون قيادة هذا الاتجاه. تهكم الرئيس جورج بوش بشكل متكرر على الزعيم العراقي صدام حسين ووصفه بأوصاف شيطانية داعياً إياه: "هتلر الشرق الأوسط الجديد". وقد ضخمت الصحافة المحلية اتهامات البيت الأبيض للعراقيين بارتكاب الفضائح ضد الكويتيين وبالغت في التهديدات العسكرية العراقية للعربية السعودية وغيرها من دول المنطقة. كما قامت إدارة بوش بإثارة المخاوف الكامنة من تكرار الشحة النفطية وارتفاع الأسعار. وقد حركت هذه الأساليب التخويفية مشاعر معاداة العرب والمسلمين والعالم الثالث العميقة والمتفشية في مجتمع الولايات المتحدة (ابراهام ١٩٩١، تشومسكي ١٩٩١).

زاد البيت الأبيض الأمور تعقيداً عندما أمر مكتب التحقيق الفدرالي، عشية الحرب، بوضع الأمريكيين العرب تحت المراقبة. وكانت إدارة بوش في هذا تقتفي آثار من سبقوها. واستناداً إلى إحدى التخمينات، قام مكتب التحقيق الفدرالي بالاتصال بأربعين زعيماً، على الأقل من زعماء الجالية الأمريكية العربية والناشطين وغيرهم أثناء فترة حرب الخليج. كما قام بمضايقة المتظاهرين ضد الحرب أيضاً. (MSN ١٩٩١) بعد الحرب، أرسل الرئيس بوش لائحة تجريمية إلى الكونغرس أعطت وصفاً غير محدد للإرهابي بكونه أي شخص يقوم بجمع الأموال، أو تجنيد الأفراد، لأية منظمة تورطت في العنف، كما دعت اللائحة إلى تشكيل محكمة حكومية سرية تنظر في دعاوي تسفير الإرهابيين. ومن شأن التشريع أن يخول الحكومة احتجاز الارهابيين المشتبه بهم لفترات غير محددة. واللجوء إلى المرافعات السرية واستخدام الأدلة السرية (كوك ١٩٩١؛ جونسون ١٩٩١)، ومن حسن الحظ أن التشريع لم ير النور. فقد أدين التشريع التعسفي الذي أطلق علية اسم "إزاحة الإرهابيين الأجانب" بشكل كامل من قبل منظمات الحريات المدنية ووسائل الاعلام الرئيسية. وقد كتبت صحيفة **نيويورك تايمز** في افتتاحية لها أن "هذه اللائحة ستجعل الولايات المتحدة تبدو بنفس المستوى من الحماقة وانعدام العدالة الذي تميزت به المحاكم التعسفية في الكويت بعد الحرب (NYT ١٩٩١).

أخرجت الحرب إلى السطح المشاعر الكامنة المعادية للعرب. وتم التعبير صراحة عن الإهانات والإشارات الازدرائية المضادة للعرب في المقابلات الإذاعية، ورسوم القمصان، والملصقات، والدبابيس والصور التزيينية. وقد حمل ملصق شائع صورة بدوي يركب جملاً يظهر من خلال منظور بندقية قنص مع شعار يقول: "أقطع ١٠ آلاف ميل لأدخن سيجارة الجمل". وقد تملق الكوميديون المشاعر العنصرية لدى جمهورهم مستخدمين نكاتاً قبيحة معادية للعرب. وكانت محطات الإذاعة تعزف ألحاناً شائعة حورت لتحمل رسالة معادية للعرب، وفي بعض الحالات، كانت الأغاني قد حوّرت منذ العقد الماضي مثل أغنية "بومب إيران" المحوّرة عن أغنية بيتش بويز/ فتيان الشاطىء الشهيرة "باربارا آن".

وفوق كل شي، أصبحت فترة حرب الخليج علامة لاستمرارية التوجهات السابقة للعنف والعنصرية المعادين للعرب. وعند المقارنة بما بلغه مد العنصرية المعادية للعرب السابق، ما بين ٨٥ ـ ١٩٨٦، تبدو أزمة الخليج أقل خبثاً. وعلى الرغم من التقارير العديدة عن هجمات ضد الأمريكيين العرب، فإن القليل من تلك الهجمات أسفر عن إصابات خطيرة، ولم تؤد أي منها إلى حالة وفاة. ولم يبلغ عن أكثر من خمس حالات لتفجير القنابل وإضرام النار في مصالح يمتلكها العرب، وحالة واحدة لتفجير قنبلة صوتية. ولم تتعرض أية منظمة عربية أو إسلامية إلى تفجير بالقنابل رغم أن الكثير منها قد تلقت تهديدات. وقد عثر على جهاز محرق لم ينفجر في المجلس الإسلامي الأمريكي في سان دييغو. ويمكن ربط خمس حوادث وقعت في هذه الفترة باغتيال الحاخام مئير كاهانا، الزعيم السابق لعصبة الدفاع اليهودية. فقد أثار مقتله في شهر تشرين٢ ١٩٩٠ موجة من التهديدات بالقتل والمضايقات الموجهة إلى أمريكيين عرب بارزين وغيرهم، بما فيها حادثة إطلاق نار في الشارع لم يصب بها أحد. ومن الواضح أن تلك الحوادث كانت جرائم كراهية ذات دوافع إيديولوجية لها علاقة واهية بأزمة الخليج.

الخاتمة

هل توجد هناك في مجتمع الولايات المتحدة المعاصر عنصرية وعنف ناجمين عن كراهية موجهة ضد العرب؟ لسوء الحظ أن الجواب بالايجاب. والأكثر من ذلك، فإن العنصرية المعادية للعرب بعيدة عن أن تكون ظاهرة هامشية، إنما هي موجودة في أعلى مستويات المجتمع السائد. وبشكل عام، فإن العنصرية والعنف الناجم عن الكراهية الموجهين ضد العرب لا يقاسان بشيء إذا ما قورنا بالعنف العنصري الموجه ضد الأمريكيين الأفارقة وأقليات أخرى. إلا أن العنصرية المعادية للعرب تتفرد بكونها تلاقي تسامحاً كثيراً من قبل المجتمع السائد.[٧١]

يميل الزعماء الأمريكيين العرب وسواهم إلى إرجاع ظاهرة العنصرية المعادية للعرب إلى اسقاطات النزاع العربي الإسرائيلي . هناك بعض المصداقية في هذا الادعاء ، إلا أنه لا يمثل الصورة الكاملة. من المؤكد أن الجماعات اليهودية المتطرفة، التي تتصرف بوحي من ايديولوجيتها، تبدو مسؤولة عن بعض الحالات المهلكة من العنف الموجه ضد الأمريكيين العرب وغيرهم من المتعاطفين مع قضية الفلسطينيين. إلا أن هذا ليس سوى جزء صغير من الكيان الكامل للعنف والعنصرية النازلين بالأمريكيين العرب المسلمين، والشرق أوسطيين على مدى العقدين السابقين.

عند التمحيص الدقيق، يظهر أن الكثير من العنف والعنصرية الموجهين ضد العرب ما هو إلا نتيجة لمزيج ملتهب من الشوفينية المقترنة بالعنصرية المحلية. وقد كان المتحدثون الأمريكيون العرب محقين في ربطهم لهذا النوع من العنف والعدائية

٧١ ـ ناقشت طريقة تعامل الأمريكيين العرب مع اغترابهم وهامشيتهم في مجتمع الولايات المتحدة في مكان آخر (١٩٨٩).

بالأحداث التي تقع في الشرق الأوسط. ومن المهم ملاحظة أن العنصرية الثقافية المعادية للعرب تشكل جزءاً أساسياً من مكونات المزيج. وقد كانت العنصرية المعادية للعرب وحدها خلف الكثير من حالات تخريب الملكية والإهانات والتهديدات والهجمات ضد شرق أوسطيين ومؤسساتهم حتى في فترات الهدوء النسبي في الشرق الأوسط. ولم تسمح العنصرية بديماغوجية الساسة والمعلقين السياسيين فحسب، بل بالعنف الشوفيني والمتطرف الناجم عن الكراهية والموجه ضد العرب أيضاً.

يمكن الاستدلال على وجود عنصرية معادية للعرب من الحادثة التالية ومن ردود الفعل التي وردت في الصحافة. ففي١٨ تشرين١ ١٩٨٣، دخل إسرائيل روبينوفيتش، وهو اسرائيلي في الثانية والعشرين، إلى الصالة العمومية في مجلس النواب وهو يحمل قنبلة. اكتشف روبينوفنيتش وألقي القبض عليه، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر بعد أن اعترف بارتكابه الذنب الأقل عقوبة وهو إزعاج الكونغرس. وقد تم تعليق الحكم عندما وافق على أن يسفَّر من البلاد مع وعد بعدم العودة مطلقاً. رغم أن الحادثة قد وقعت في ذروة حرب إدارة ريغان ضد الإرهاب، فقد تم التقليل من شأنها عمداً من قبل الإدارة والصحافة، كما لاحظ ذلك ديفيد سعد من الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين في شهادته أمام اللجنة الفرعية للإدانة الجرمية:

> إن **واشنطن بوست** التي أوردت الخبر في اليوم التالي، دفنته في صفحة التأبينات في القسم الثالث من الصحيفة. وأضافت تغطية متابعه نشرت بعد ذلك بعشرة أيام في قسم المترو بعض المعلومات الجديدة. وأخيراً قامت **نيويورك تايمز** بتغطية الحادثة في ٢ تشرين٢ (كونغرس الولايات المتحدة ١٩٨٨، ٧٩).

ماذا لو كان روبينوفيتش عربياً أو مسلماً؟ هل كانت إدارة ريغان ستعامل الأمر بهذه البساطة، حتى تقرر أن الشخص المعني غير مستقر عقلياً؟ هل كان أعضاء المجلس سيظلون ملتزمي الصمت كما فعلوا؟ هل كانت الصحافة ستغطي الخبر بهذه الطريقة؟ هذه أمور مشكوك فيها. وإن المرء ليرتعب من تصور انفجار الهستريا الوطنية الذي كان سيقع لو أن حامل القنبلة كان فلسطينياً أو ليبياً أو لبنانياً شيعياً. إلا أن المرء لا يحتاج إلى الافتراضات عندما يقدّم التاريخ العديد من الأمثلة الحقيقية، مثل فرق الضربة الليبية الأسطورية التي شكلها ريغان والتي ولدت، على الصعيد الوطني، توجساً وجنوناً لم تعرف لهما الذاكرة العربية مثيلاً.

هناك إضافة مثيرة للاهتمام لقصة إسرائيل روبينوفيتش. بعد مرور عامين على الحادث، أشار جيم رايت، الذي كان عندها متحدثاً بلسان الكونغرس، إشارة عابرة إلى الحادثة في مناقشة حول مكافحة الإرهاب. قال رايت الذي كان في برنامج "أخبار الصباح" على قناة الـ CBS:

> منذ حوالي عام ونصف، وبدون أن يعلم بذلك الجمهور، دخل رجل إلى صالة النواب في الكونغرس الأمريكي وكان مستعداً لتفجير نفسة وإثارة شظايا الزجاج التي كانت يمكن أن تكون مدمرة جداً وتقتل الكثير من الأشخاص، (أوردته

أسوشيتد بريس ١٩٨٦).

وأضاف المتحدث بلسان المجلس بأن الرجل اعتقل "في الوقت المناسب. الأمر الأكثر للدهشة، في كشف رايت، كان تأكيده على أن الأمر "كان متعلقاً باحدى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية". ولا داعي للقول بأن القضية قد طمست بسرعة، ولم تصدر أية ردود فعل، بالرغم من أن تصريحات رايت نقلتها محطة إرسال رئيسية ونشرت في واحدة على الأقل من الصحف الأمريكية الرئيسية.[٧٢]

إن العنصرية المعادية للعرب ليست فريدة في نوعها. فما على المرء إلا أن يقارن مواقف الولايات المتحدة إزاء اليابان، وضد فرنسا تحت حكم شارل ديغول لكي يدرك كيف يمكن لثقافة ما (ثقافتنا نحن في هذه الحالة) أن تحمل مواقف مختلفة إلى هذا الحد إزاء شعوب مختلفة. لم يتم التنفيس عن الإحباط الذي شعرت به الولايات المتحدة إزاء فرنسا المتحدية تحت حكم ديغول بصورة مشاعر معادية لفرنسا. بخلاف الاحباط الأمريكي إزاء اليابان الذي انفجر أكثر من مرة بشكل تعبيرات قبيحة عن العنصرية المعادية لليابانيين. والقول بأن اليابان اليوم تمثل تهديداً أكثر خطورة من فرنسا ديغول يستدعي المقارنة بين مواقف الولايات المتحدة من اليابان وألمانيا، وهي المنافس الاقتصادي الرئيسي الآخر للولايات المتحدة.

إن اليابان عملاق صناعي. وهي قادرة على انتزاع الاهتمام والاحترام بغض النظر عن عدم الرغبة في تقديمهما لها. لكن، ماذا عن العرب والمسلمين والشرق أوسطيين بشكل عام؟ كيف سيستطيعون مجابهة العنصرية العميقة المعادية لهم؟ حتى اغتيال مئير كاهانا، مؤسس عصبة الدفاع اليهودية، أبدى أن العنف ذا الدوافع الإيديولوجية للجماعات اليهودية المتطرفة قد أخذ يتبدد نتيجة ضغوط إجراءات السلطات الموكلة بتطبيق القانون. وكذلك بدا أن العدائية والعنف الشوفينيين أخذا بالضمور في أواخر الثمانينات، عندما تراجعت الحرب التي أعلنتها إدارة ريغان على الإرهاب الدولي. ومع حلول العقد الحالي، بدا أن حقبة العنصرية غير المنضبطة ضد العرب وجرائم الكراهية، والعنف والتهديد، تتحول ببطء إلى شيء من الماضي. إلا أن أزمة الخليج في آب ١٩٩٠، والحرب التي أعقبتها غيرتا كل هذا. فقد ذكرت الحرب الكثير من الأمريكيين العرب بأن العنصرية المعادية للعرب ما زالت تكمن تحت سطح المجتمع. وأنه ما دامت العنصرية المعادية للعرب قابلة للاستخدام من قبل زعماء الحكومة، والسياسيين، ووسائل التسلية، وأجهزة الإعلام، والمؤسسات الثقافية، وسوف تستمر في ترجيع صوتها غير مكبوحة ولا معترض عليها على المستويات الشعبية في المجتمع.

---

٧٢ . على الرغم من أن الاسوشيتدبريس (١٩٨٦) ذكرت جنسية روبينوفيتش وحقيقة أنه أُبعد إلى إسرائيل، فإن قراء كثيرين ما كانوا ليلاحظوا، بالضرورة، التناقض بين هذه الحقائق واتهامات رايت الباطلة، ما دام موضوع البرقية لم يشر إلى العلاقة بين الحقيقتين المتباينتين.

REFERENCES

Abraham, Nabeel. 1986. "The Real Target of the Airport Atrocities." *Middle East International* (Jan. 24): 14–16.
———. 1989. "Arab-American Marginality: Mythos and Praxis." In *Arab Americans: Continuity and Change,* ed. Baha Abu-Laban and Michael Suleiman. Belmont, Mass.: Assoc. of Arab-American University Graduates Press.
———. 1991. "The Gulf Crisis and Anti-Arab Racism in America." In *Collateral Damage: The New World Order at Home and Abroad,* ed. Cynthia Peters. Boston: South End Press.
ACLU. 1992. "No Peace for 'L.A. Eight'." *Civil Liberties,* Summer-Fall.
ADC. n.d. "The Jewish Defense League: A Cult of Racism and Terror, and A Threat to Arab-Americans." *ADC Issues,* no. 9.
———. 1986. *Insider's Report.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee. June.
———. 1987. *Insider's Report.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee. May.
———. 1991a. *1990 ADC Annual Report on Political and Hate Violence.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee. Feb.
———. 1991b. "Hate Crimes Chronology, Update." Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee. Feb. 6.
ADL. n.d. "A Decade's Perspective 1979–1989." *1988 ADL Audit of Anti-Semitic Incidents.* New York: Anti-Defamation League.
———. 1983. *Pro-Arab Propaganda in America.* New York: Anti-Defamation League.
———. 1985. "Meir Kahane: In His Own Words." New York: Anti-Defamation League. October.
———. 1987. "The Hate Movement Today: A Chronicle of Violence and Disarray," (Special Report). New York: Anti-Defamation League.
———. 1988a. *Hate Groups in America.* New York: Anti-Defamation League.
———. 1988b. *Extremism on the Right: A Handbook.* New York: Anti-Defamation League.
AIPAC. 1983. *The Campaign to Discredit Israel.* Washington: American Israel Public Affairs Committee.
Applebaum, Elizabeth. 1990. "No More Mr. Nice Guy." *Detroit Jewish News,* Feb. 23.
Aruri, Naseer. 1985. "The Middle East on the U.S. Campus. *The Link.* New York: Americans for Middle East Understanding. May-June.
Associated Press. 1986. "U.S. Deported Israeli with Bomb in Capitol," *Detroit Free Press,* Jan. 9.
———. 1987. *New York Times,* Nov. 4.
Baker, Bob. 1986. "Anti-Arab Violence Represents 17% of Racial, Religious Attacks in 1985." *Los Angeles Times,* Mar. 1.
Bassiouni, M. C. 1974. *The Civil Rights of Arab-Americans: "The Special Measures."* Information Paper no. 10. Belmont, Mass.: Association of Arab-American University Graduates.
Campbell, Colin. 1985. "Middle East Scholars Upset by a List." *New York Times,* Jan. 30.

———. 1986. "Attacks on U.S. Arabs: The Middle Eastern Link." *New York Times,* July 20.
Chomsky, Noam. 1986. *Pirates and Emperors: International Terrorism in the Real World.* New York: Claremont and Amana.
———. 1991. *Deterring Democracy.* London & New York: Verso.
Christison, Kathleen. 1987. "The Arab in Recent Popular Fiction." *Middle East Journal.* Summer.
Churchill, Ward, and Jim Vander Wall. 1988. *Agents of Repression.* Boston: South End Press.
———. 1990. *The Cointelpro Papers: Documents from the FBI's Secret Wars Against Dissent in the United States.* Boston: South End Press.
Cole, David. 1993. "It's Alive and Well at the INS." *Nation,* Feb. 15.
Committee for Justice. 1990. "Fouad Rafeedie Case." *Call for Justice.* Newsletter of the Committee for Justice. Los Angeles, Calif.: Committee for Justice. Spring.
Cook, Christopher. 1989. "Jewisn Group's Letter in Flap Similar to '87 Appeal." *Detroit Free Press,* Feb. 12.
———. 1991. "Fearful of Curbs on Freedom, Arabs Fight Antiterrorism Bill." *Detroit Free Press,* May 17.
Corn, David, and Jefferson Morley. 1988. "Beltway Bandits." *Nation,* Oct. 10.
Criley, Richard. 1990. *The FBI v. The First Amendment.* Los Angeles: First Amendment Foundation.
Crutchfield, James. 1981. "Reported Milliken Slur Angers Arab Americans." *Detroit Free Press,* Dec. 18.
Cummings, Judith. 1985. "F.B.I. Says Jewish Defense League May Have Planted Fatal Bombs." *New York Times,* Nov. 9.
Eberwein, Cheryl. 1988. "Arab Businessman Faces Harassment." *Dearborn Press & Guide,* Mar. 24.
Fikes, Brad. 1990. "Sling Slime, Not Mud." *The Star-News.* Chula Vista, Calif. May 30.
Findley, Paul. 1984. *They Dare to Speak Out.* Westport, Conn.: Lawrence Hill.
Fredrickson, G. M., and D. T. Knobel. 1980. "History of Prejudice and Discrimination." In *Harvard Encyclopedia of American Ethnic Groups,* ed. Stephen Thernstrom. Cambridge: Belknap Press.
Friedman, Robert I. 1986. "Nice Jewish Boys with Bombs. *Village Voice,* May 6.
———. 1987a. "Who Killed Alex Odeh?". *Village Voice,* Nov. 24.
———. 1987b. "PACmen." *The Nation,* June 6.
———. 1988a. "Kahane's 'Good Jewish Boys.'" *Nation,* Jan. 16.
———. 1988b. "How Shamir Used JDL Terrorism." *Nation,* Oct. 31.
———. 1990. *The False Prophet: Rabbi Meir Kahane, From FBI Informant to Knesset Member.* Brooklyn: Lawrence Hill.
———. 1993. "The Enemy Within." *Village Voice,* May 11.
Gelbspan, Ross. 1991. *Break-ins, Death Threats and the FBI: The Covert War Against the Central America Movement.* Boston: South End Press.
Ghareeb, Edmund. 1983. *Split Vision.* Washington, D.C.: Arab-American Affairs Council.
Goldman, Ari. 1989. "B'nai B'rith Apologizes for Letter Containing Anti-Arab Statements." *New York Times,* Feb. 10.

Gurr, Ted Robert, ed. 1989. *Violence in America.* Vol. 2, *Protest, Rebellion, Reform.* Newbury Park, Calif.: Sage Publications.

Hagopian, Elaine. 1975–76. "Minority Rights in a Nation-State: The Nixon Administration's Campaign against Arab-Americans." *Journal of Palestine Studies,* Autumn-Winter.

Hallow, Ralph. 1990. "Arab-Baiting 'Appalls' GOP Campaign Chief." *The Washington Times,* June 4.

Hamm, Steve. 1986. "Anti-Khadafy Backlash Stings Foreigners Here." *New Haven Register,* May 11.

Harris, John W. 1987. "Domestic Terrorism in the 1980s." *FBI Law Enforcement Bulletin.* Oct.

Hentoff, Nat. 1986. "You Can't Tell a Terrorist by the Cover of Her Book." *Washington Post,* June 21.

———. 1987. "The FBI Tries to Build a Gulag." *Village Voice,* Apr. 28.

Hersh, Seymour M. 1987. "Target Qaddafi." *New York Times Magazine,* Feb. 22.

Hitsky, Brian. 1982. "Taxpayers Revolt." *The Dearborn Heights Leader,* Mar. 18.

Hoffman, Bruce. 1986. *Terrorism in the United States and the Potential Threat to Nuclear Facilities.* U.S. Department of Energy. Santa Monica, Calif.: Rand Corp.

Huard, Ray. 1990. "Congress Hopeful Demands Apology From GOP Rival." *San Diego Tribune,* May 30.

Hundley, Tom. 1987a. "State Had Most Cases of Arab Harassment." *Detroit Free Press,* Apr. 3.

———. 1987b. "Detroit's Arabs Keep Sense of Community," *Detroit Free Press,* July 5.

INS. 1986. "Alien Border Control (ABC) Committee, Group IV—Contingency Plans." Memorandum, Investigations Division. Washington, D.C.: Immigration and Naturalization Service. Oct. 31.

Jabara, Abdeen. 1987. "Terrorism Hits Home but Very Few Seem to Care." *Orange County Register,* Calif., Jan. 11.

———. 1993. "The Anti-Defamation League: Civil Rights and Wrongs." *Covert Action.* Summer.

Johnston, David. 1991. "Crime Bill Would Establish Alien Deportation Tribunal." *New York Times,* June 1.

Kahane, Meir. 1981. *They Must Go.* New York: Grosset & Dunlap.

Kass, John. 1990. "'No Arabs' Sign Removed; Apologies to Be Sent Out." *Chicago Tribune,* Apr. 5.

Kessler, J. S., and J. Schwaber. 1984. *The AIPAC College Guide: Exposing the Anti-Israel Campaign on Campus.* Washington, D.C.: American Israel Public Affairs Committee.

Kotler, Yair. 1986. *Heil Kahane.* New York: Adama Books.

Lee, Felicia R. 1989. "Arabs Feel Anger Flare in New York." *New York Times,* Aug. 6.

Lerner, Steve. 1986. "Terror Against Arabs in America." *New Republic,* July 28.

Lewis, Anthony. 1987. "Is This America?" *New York Times,* Feb. 10.

———. 1988. *New York Times,* April 14.

———. 1993. *New York Times,* Sept. 20.

Lutz, Chris. 1987. *They Don't All Wear Sheets: A Chronology of Racist and Far Right Violence—1980–1986.* Atlanta: Center for Democratic Renewal/ Natonal Council of Churches.

Magnusson, Paul. 1976. "Two Sought in Shotgun Slaying in Dearborn." *Detroit Free Press,* June 6.

Marshall, Rachelle. 1989. "The Decline of B'nai B'rith: From Protector to Persecutor." Washington, D.C.: *Washington Report on Middle East Affairs,* Apr.

McCaslin, John. 1986. "Terrorists Trained Abroad are Known to Live Here." *Washington Times,* Mar. 27.

McGee, Jim. 1993. "Jewish Group's Tactics Investigated." *Washington Post,* Oct. 19.

McGraw, Bill. 1986. "Anti-Arab Sentiment Worries Local Leaders." *Detroit Free Press,* Dec. 13.

Michalak, Laurence. 1984. "Cruel and Unusual: Negative Images of Arabs in Popular American Culture." *ADC Issues.* Washington, D.C.: American-Arab Anti-Discrimination Committee, Jan.

MSN. 1991. "Domestic Repression and the Persian Gulf War." *MSN News,* Special Edition, 7(1). New York: Movement Support Network.

Mydans, Seth. 1991. "Free Speech is at Issue as Palestinian Fights Deportation." *New York Times,* Dec. 8.

Nation. 1987. "The Untouchables." Editorial. Mar. 21.

New York Times. 1991. "No Terror Court for the U.S." Editorial, June 20.

———. 1993a. 'Exorcising McCarran-Walter's Ghost." Editorial, Oct. 4.

———. 1993b. "Inquiry Into a Jewish Group's Methods is Dropped." Nov. 17.

O'Reilly, Kenneth. 1989. *"Racial Matters": The FBI's Secret File On Black America, 1960–1972.* New York: Free Press.

Orfalea, Gregory. 1988. *Before the Flames.* Austin: University of Texas Press.

Palermo, D., and G. Jarlson. 1985. "Bomb Kills Leader of Arab Group in Santa Ana Office." *Los Angeles Times,* Oct. 12.

Pell, Eve. 1990. "Kicking Out the Palestinians." *Nation,* Feb. 5.

Pinsky, Mark I. 1986. "The 'Quiet' Death of Alex Odeh." *Present Tense,* Winter.

Prater, Constance. 1988. "FBI Enters Ethnic Slur Probe in Dearborn Hts." *Detroit News,* June 16.

Reyes, D., and L. Jones. 1985. "Odeh Becomes Victim of the Violence He Decried." *Los Angeles Times,* Oct. 13.

Ridgeway, James. 1985. "American Arabs and the Jewish Right." *Village Voice,* Nov. 17.

Rimawi, Bonnie. 1986. "A Rash of Death Threats and Arson Followed Bombing of Tripoli." *Guardian,* New York, July 9.

Robinson, John. 1986. "Kennedy Rapped on Rejected Check." *Boston Globe,* Apr. 22.

Ryan, Sheila. 1987. "Palestinian Deportation Case Continues." *Mideast Monitor* 4(2).

Said, Edward W. 1978. *Orientalism.* New York: Pantheon.

———. 1981. *Covering Islam.* New York: Pantheon.

Samhan, Helen Hatab. 1987. "Politics and Exclusion: The Arab American Experience." *Journal of Palestine Studies,* Winter.

Schidlovsky, John. 1986. "Arab-Americans Fear Growing Hostility." *Baltimore Sun,* Aug. 10.

Shaheen, Jack. 1984. *The TV Arab.* Bowling Green: Popular Press.

Shea, Terence F. 1986. "'Arab-Bashing' Described to Conyers' Group." *Detroit News,* July 17.

Slade, Shelly. 1981. "The Image of the Arab in America: Analysis of a Poll on American Attitudes." *Middle East Journal,* Spring.

Soble, Ronald. 1987. "Deportation Bid in Arab Case Focuses on Magazines." *Los Angeles Times,* Feb. 17.

Stuart, Reginal. 1985. "Arab Office Fire Termed Suspicious." *New York Times,* Dec. 1.

Suleiman, Michael W. 1988. *The Arabs in the Mind of America.* Brattleboro, Vt.: Amana Books.

Tal, Rami. 1990. "Kahane Wants A Half-Million Dollars." *Yedioth Aharonoht,* Feb. 12. Trans. Israel Shahak.

Terry, Janice. 1985. *Mistaken Identity.* Washington, D.C.: American-Arab Affairs Council.

Thornton, Mary. 1986. "Arab Americans Ask Rights Inquiry." *Washington Post,* Feb. 12.

Thurtell, Joel. 1985. "Cultures Clash Over Islamic Gathering." *Detroit Free Press* June 6.

Tivnan, Edward. 1987. *The Lobby: Jewish Political Power and American Foreign Policy.* New York: Simon and Schuster.

Turque, Bill. 1986a. "Arabs Facing a Wave of Bias." *Dallas Times Herald,* Oct. 12.

———. 1986b. "Immigrants Fear Anti-Arab Feeling Growing." *Dallas Times Herald,* Oct. 12.

U.S. Congress. House. 1988. Committee on the Judiciary. Subcommittee on Criminal Justice. Hearing. *Ethnically Motivated Violence Against Arab-Americans.* 99th Cong., 2d sess., July 16, 1986. Serial 135.

White, George. 1982. "Detroit's Arab-American Community: Thriving and Active." *Christian Science Monitor,* Jan. 5.

Winkler, Karen J. 1985. "Political Tensions of Arab-Israeli Conflict Put Pressure on Scholars Who Study Middle East." *Chronicle of Higher Education,* Mar. 27.

Young, David. 1975. "Arabs in U.S. Accuse FBI of Spying on Them." *Chicago Tribune,* July 13.

Zogby, James. 1982. Letter to the Editor. *Christian Science Monitor,* Jan. 14.

المحتويات

تطور الهوية الأمريكية العربية

في بداية القرن الحادي والعشرين، ستمر الولايات المتحدة بتجربة تغيير ديموغرافي حين تصبح تلك الجماعات ، التي ظُنّ أنها أقلية في السابق، أغلبية. والأمريكيون العرب، الجماعة سريعة النمو والذين قدموا من آسيا وشمال أفريقيا، هم من بين أولئك الذين سيشكلون قريباً هذه الأغلبية الجديدة. ويقدم كتاب: تطور الهوية الأمريكية العربية وصفاً لتجربة الهجرة المبكرة لهؤلاء حتى وقتنا الحالي.

كيف ينظر الأمريكيون العرب إلى القيم الأمريكية التقليدية؟ كيف يتلقون معاملتهم كمهاجرين جدد؟ هل تغرّبوا تماماً عن ثقافتهم السائدة؟ تجيب هذه المجموعة من المقالات على هذه الأسئلة التي تعالج، على نحو خاص، المشهد المعاصر. وبعد أن تعرض هذه المقالات الخلفية التاريخية لهذا كله ، تعالج الصراع من أجل هوية دينية وسياسية وثقافية واجتماعية تتضمن كلها التعامل مع النمط والتهميش اللاشعوريين والواعيين للعرب والأمريكيين العرب.

المحرر: إيرنست ماك كاروس، أستاذ علم اللغويات: العربية والكردية، جامعة ميشيغان.



دار النسر للنشر والتوزيع / عمان ــ الأردن
هاتف/فاكس ٤٦٥٩٤٦٠
ص.ب ٩١٠٥٨٦ عمان ١١١٩١ الأردن